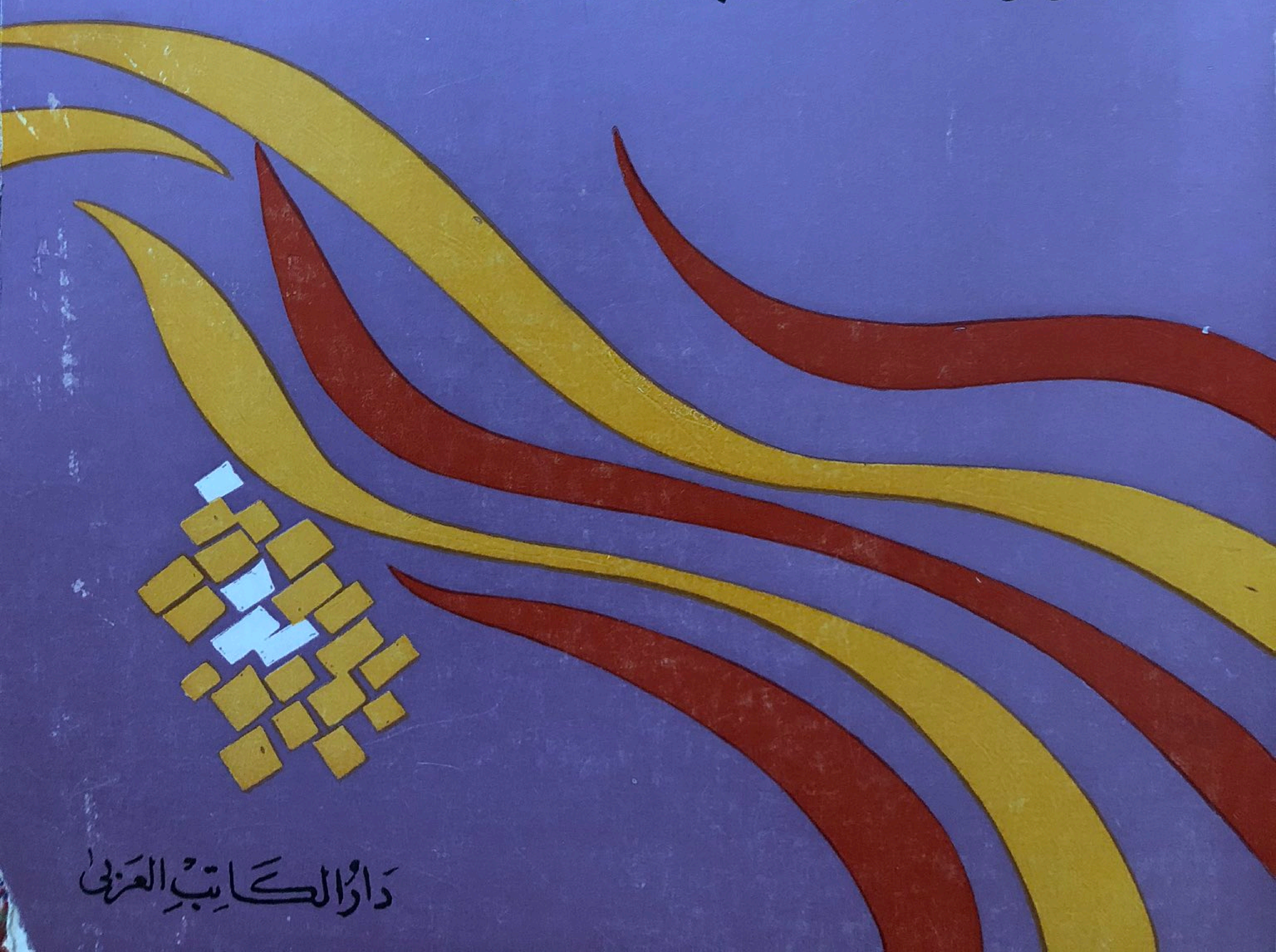
قدري قلعجي

موعد مع الكرامة

قبس من حياة فيصل بن عبد العزيز وآرائه السياسية



دار الكاتب العربي

قدري قلعجي

موعد مع الكرامة

قبس من حياة فيصل بن عبد العزيز وآرائه السياسية

دار الكاتب العربي


موعد مع الكرامة
قبس من حياة فيصل بن عبد العزيز وآرائه السياسية

تدنو من العظمة بقدر مـــا ندنو من الكرامة .

طاغور

ذو الكرامة يفرض احترامه حتى على اولئك الذين تنقصهم الكرامة .

ديدرو

كل امرىء يعتقد بأنه يملك احـــدى الفضائل ، وأسمى هـــذه الفضائل جميعاً : الكرامة .

ف. سكوت فيتز جيرالد

لقد بدأت أشعر بأن المجد أمر تافـه ، وان قيمتي ليست في حمائـل سيفي وقوائم عرشي ، بل في كرامتي الشخصية .

نابوليون

الكريم على الناس هو الكريم على شخصه ، ومن الخطأ ان نفرق بين الكرامة القومية للبلاد ، والكرامـــة الشخصية للأفراد ، فالكرامة كلٌ لا يتجزأ .

فولتير

اذا أضعت كرامتي فقد أضعت نفسي .

شكسبير

من هانت عليه نفسه وكرامته ، هان عليه وطنه وأمته .

اندره فيكتور

شيئان مـــا انفكا يثيران في نفسي الاعجاب والاحترام : السماء ذات النجوم من فوقي ، والشعور بالكرامة في داخلي .

كانت



الفصل الأول

البلادُ السَّعُوديّة في رِحابِ التاريخ

التاريخ هو الشعر الحقيقي ، فان الحقيقة اذا ترجمت بصحة وعبّـر عنها بدقة كانت أعظم من الخيال .

كارليل



مَنبتِ العرُوبةِ ومَهْد الإسْلام

الحديث عن المملكة العربية السعودية هو استرجاع الصدى لأحاديث المجد والبطولات ، والصفحات المضمخة بعبير الخلود ، ونشيد أنشاد الكرامة الانسانية والعزة البشرية ، ونخوة الاباء وانتفاضة الكبرياء ، يشد المتحدث الى تلك التربة الطيبة التي كم صبرت على الظمأ ، يحرقها هجير الشمس اللافحة ، وتتلاعب برمالها الرياح المتناوحة ، حتى اذا أذن الله بآية رحمته فدرج عليها الرسول الكريم محمد بن عبدالله ، جادت الدهور بغيث الهدى ، وروت العصور بديم الخير ، ومَرَدَ اولئك الرجال الدين كانت تتلاعب بهم ريح الأهواء والفتن العمياء ، فغدوا حمَلَة رسالة ودعاة هدى ، واندفعوا في مشارق الأرض ومغاربها ، سيوفَ فتح فيها بريق الرحمة ، وفيها أمانة شريعة تنتزع الشعوب تِلوَ الشعوب والأمم إثر الأمم ، من مهاوي الغواية والجهالة ، لتندرج بها آية خير واشراقة حياة ، تساوي الأسود بالأبيض ، والأعجمي بالعربي ، ليسيروا جميعاً تحت راية الاسلام ونور الايمان ، في معارج الرقي وبناء الحضارة ، تواضعاً للحق فيه كل انتفاضة الكبرياء ، وليناً بالجانب عز على عاتي الأيام وكشفَ غياهب الظلام . وما ذلك إلا لأن النفس العربية قد أشربت روح الاسلام ، وإلا لأن العرب حملوا رسالة محمد بن عبدالله. وهكذا فتحت الدنيا سِفْر خلودها لأولئك القوم الذين كانت الشعوب تعيّرهم بأكل الضباب ، واذا بهم بعد حمل مشاعل الرسالة الكريمة ، يتلو الدهر بلسان شعرائه نعوتهم ومزاياهم ، فكان بعض ما قيل فيهم تلك الآية الشعرية التي تختصر سفر المجد خير اختصار وتوجزه أروع ايجاز :

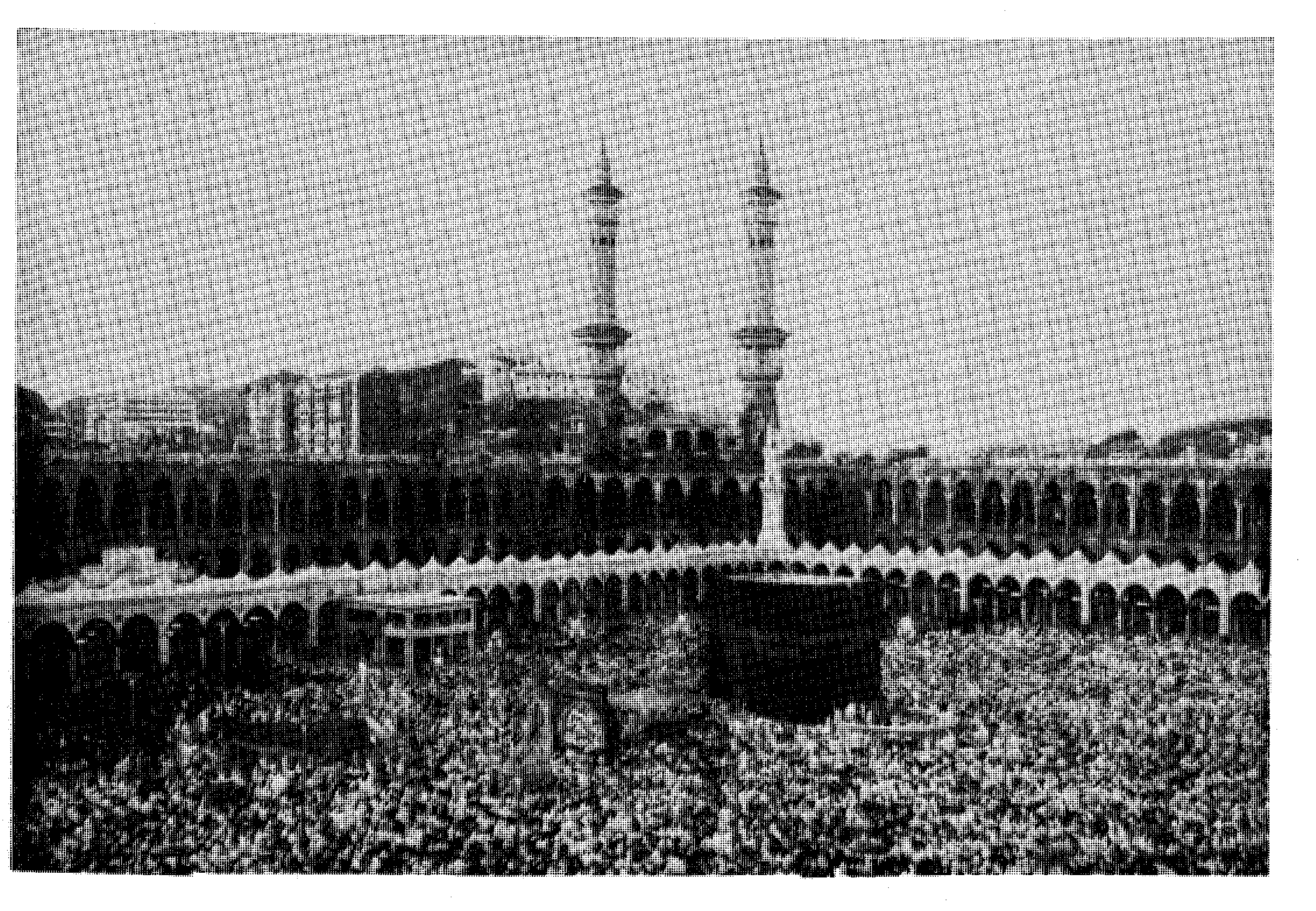
محاسن من مجد متى تقرنوا بها — محاسنَ أقوام تكن كالمعـايب
معالٍ تمادت في العلو كأنمـــا — تحاول ثأراً عند بعض الكواكب

وتاريخ الدولة السعودية بضعة كريمة من تاريخ الجزيرة ، وفصل مشرق من سِفر الاسلام ، ومتى استطاع مؤرخ أن يتحلل من وثاق الأرض ، مدرَج كل حدث وأم كل تاريخ . فاذا كان الحديث حديث اسرة راشدة او انسان حكيم ، فهو قبل كل شيء حديث الجو الذي احتضن ، والتربة التي أنبتت . ومن هنا يكون منطلقنا ، مستلهمين أطيب منبت وأكرم مهــد ، في رحلة الكرامة هذه ، التي تُطلقنا من جو الجغرافيا بيئة ومدرجاً ، لتسلمنا الى يد التاريخ حدثاً وذكراً ، وأطيب به من حدث نبيــل ، وأعزز به من ذكر جميــل .

التحوّلات التاريخية في المجتمعات الإنسانية

لقد درج المؤرخون على تقسيم تاريخ الدولة السعودية الى مراحـل تاريخية ثلاث ، هي بمثابة الصوى للساري ، ان انتهت مرحلة أسلمت الأمانة لاختها ، وان استراحت هذه قليلاً على زند الزمن اتصلت رسالتها بالمرحلة الثالثة . وهي رحلة ليست ككل الرحلات ، تعتور الدالج فيهـــا زوابع زمنية ، تكاد تـغشي على العيون ، وتختم على الافئدة كمـــداً وحسرة ، لولا تلك الروح النضالية المتوثبة أبداً ، المندفعة قدماً ، تشق غياهب اليأس عن مشرق الأمل ، وتكشف اطباق الظلام عن بارق النور ، تأكيداً على اصـالة العروبة وعمق الايمان بالاسلام .

ونحن اذا ما رجعنا الى التاريخ العالمي ، وقفنا على حقيقة اكيدة هي ان



العربية السعودية ... تلك الأرض المقدسة : مهوى أفئدة المسلمين جميعاً .

اعظم التحولات التاريخية التي حدثت في اطار المجتمعات الانسانية ، كانت وليدة اجتماع العقيدة الفكرية التي تبرز كثورة بناءة على بالي القيم ، مع ارادة الكفاح البطولي للشعوب . فباجتماع هاتين القوتين : طاقة الفكر وارادة العمل ، تنبثق تلك الشرارات المضيئة في التاريخ البشري ، وتحدث فيه التحول الكبير ، مندفعة فيه بقوة ديناميكية هائلة ، لا تلبث ان تنعطف بالمجتمعات تحولاً بأساليبها الفكرية وأنماطها الحياتية . فالعقيدة ان لم تمدها الارادة الكفاحية لا تلبث ان تذوي وتتساقط كأوراق الخريف ، وارادة الكفاح ان لم يضئها نور العقيدة تندفع كالمدّ الصاخب الذي سرعان ما يعقبه الجزر .

وهكذا كانت نهضة العرب في تاريخهم الذهبي ، يوم مدتهم العقيدة الاسلامية ، بالقوى الكفاحية العالية والطاقات النضالية الرفيعة ، التي تجلت بتلك الفتوحات التي عرف الشاعر كيف يجلوها بأوجز عبارة ، مستلهماً ذكرى سيد كل من درج عليها :

يا نجيّ الخلود تلك سراياك	على كل ربوة غناء
حملت صبوة الشآم وفضّتْها	أريجاً على فم الزوراء
وشجتها غرناطة فشفت منها	فؤاد الصبية الحسناء
فاذا الأرض في عرائسك الأبكار	مغنى سنىً ومجلى سناء
يا عروس الصحراء ما نبت المجد	على غير راحة الصحراء
كلما أغرقت لياليها في الصمت	قامت عن نبأة زهراء
وروتها على الوجود كتاباً	ذا مضاء أو صارماً ذا مضاء

الوثبة الأولى : آية السّيف في نور الكتاب

من خلال هذا المنطلق الواقعي الحي ، كانت ولادة الدولة السعودية الأولى

عام ١١٥٧ هـ ١٧٤٤ م ، حاملة في أسسها ارادة الكفاح الذي حملت الاسرة السعودية رايته بقيادة محمد بن سعود ، منصهرة بالعقيدة الاسلامية السمحاء ، من خلال تجديد روح الدعوة التي رفع لواءها الشيخ محمد بن عبد الوهاب . ومن هنا كانت الدولة الأولى وليدة ارادتين تحمـــلان القوى الزاخرة الفعالة ، في طاقات نابضة بالحيوية والنشاط ، تهدف الى توحيد شبه الجـــزيرة العربية ، وتحريرهـــا من براثن الدولة العثمانية والاستعمار الاوربي ، في شعلة للنضال العقائدي لتحرير الاسلام من كافة الأباطيل والأراجيف التي دست عليـــه ، وحاولت أن تحرفه عن خط واقعه الحياتي المتفتح على الحضارة والنور .

ومن ثم بدأت ولادة مرحلة تاريخية جديدة، مختلفة عن سواها من المراحل التي عبرت ، وكانت العودة لروح الاسلام الصافية ، بسلفية فيهـــا كل القيم الروحية للايغال في ضمير المستقبـــل ، وبروز الدولة السعودية الأولى كقوة عملاقة تهدد الاستعمار العثماني الجاثم بثقيل كلكله على العالم العربي .

وكانت ردود الفعل العنيفة ، والتخوف العميق الذي خامر الدولة العثمانية التي نصبت نفسها ممثلة للعالم الاسلامي وحامية للديار المقدسة ، ولذا بـــدأت المؤامرات السريعة لتدمير الدولة السعودية ، وهي في بواكير ازدهارهـــا ، وقبل ان تستكمل قوتها ، فجردت الدولة العثمانية عليها الحملات العسكرية الواحدة تلو الأخرى ، لكنها منيت بالاخفـــاق جميعاً ، واستطاعت الدولة السعودية أن تمد حدودها في اتجاه بلاد الشام .

وتجاه هذا الوضع الجديد أوعزت الدولة العثمانية الى محمـــد علي واليها على مصر ، بالقضاء على الدولة الناشئة ، والعمل على تصفية الحركة التوحيدية في الجزيرة العربية .

وتتابعت الحملات المصرية البالغة العنف ، وهي تقابـــل بالنضال البطولي

والصمود الرائع أمام الجحافل المتميزة بكثافة العـــدة وكثرة العدد ، حتى اذا ما حم القضاء تمكنت القوات المصرية من الايغال في المعاقـــل السعودية ، واقتحام العاصمة « الدرعية » وتدميرها تدميراً تاماً عام ١٢٣٣ هـ ١٨١٨ م ، ودحرج رأس الأمير عبدالله آل سعود الذي اقتيـــد أسيراً الى الآستانة ، وبذا احتضرت الدولة الفتية دون ان يستطيع منطق القوة اخماد انفاس تلك الحركة الوطنية لأن وراءها الطاقة الروحية الزاخرة ، والمقاومة التي تأبى الهزيمة ، وهي ان انكفأت موقتاً ، فلتعيد الكرة ثانية ، ولتجدد الصراع .

الوثبة الثانية : الانتفاضات الكفاحية

لقد استطاعت الدولة العثمانية ان تحرك اتباعها ، وتقضي على الدولة السعودية الأولى ، ولكنها لم تستطع ان تنال من تلك الجذور اللاهبة المضطرمة في سويداء الاسرة السعودية ، أو أن تخمد ذلك الحافز الذي يمدها بنفحة بطولية رائعة . ويمكن القول بكل ثقة ان نهاية المرحلة الأولى كانت البداية لمرحلة جديدة تحمل طابع الانتفاضات المستمرة التي بدأها الأمـير السعودي تركي بن عبدالله إثر فراره من أسره في مصر ، وعمله على جمع الشتات لتطهير الجزيرة من جديد ، من كل القوى الدخيلة .

وما عتم الأمير تركي ان قاد حركة النضال التحرري ، موجهاً ضربتـــه الأولى الصاعقة الى مدينة الرياض التي لم تلبث ان سقطت في يده عام ١٢٤٠ هـ ١٨٢٤ م بعد ان استسلمت القوات التركية له .

وقامت الدولة السعودية الثانية تبسط سيادتها على نجد وباديتها، وتحررها من ظل السيطرة العثمانية التي لم تنفك تحيك المؤامرات على الدولة الفتيـــة ،

يشد أزرها المصريون . وعلى الرغم من قتل الامير تركي غيلة عـــام ١٢٤٩ هـ ١٨٣٣ م ، وشبوب حرائق الفتن الداخلية ، فقـد استطاع الأمير فيصل بن تركي ان ينقذ الدولة من المخاطر المحدقة بها ، وان يرسي دعائمهـــا على أرض راسخة .

ولكن ما كاد الأمير فيصل بن تركي يلبي نداء ربه عام ١٢٨٢هـ ١٨٦٥ م بعد ولاية استمرت ثلاثا وثلاثين حجة ، حتى شجر الخــلاف ما بين افراد الاسرة الواحدة ، وكان ذلك بداية النهاية للدولة السعودية الثانية ، في حين بـدأ يبزغ نجم اسرة منافسة هي اسرة آل الرشيد التي تمكنت من السيطرة على الرياض ، مستغلة الخلاف العائلي في الاسرة السعودية متذرعة بنصرة فئة على فئة ، وحينئذ بدأت نهاية الدولة السعودية الثانية .

ولكن هل تستسلم الاسرة السعودية ، وتدع مقاليد الأمور بيد المعتدين وتسلم النفس للآهات والحسرات ، والبكاء على أطلال مجد غابر ؟.. ذلك ما لم يكن ، ولا يمكن ان يكون ، فالجذوة المتوقدة هي أبداً عـــامل التحفز والتوثب في الصدور المؤمنة . وقد تجلت الانتفاضة الجديدة بقيادة الامـــام عبد الرحمن الفيصل الذي اكتشف مؤامرة مبيتة تهدف الى القضاء التام على الأسرة السعودية ، وكان رأس تلك المؤامرة ـ الخديعة سالم السبهان امير الرياض من قبل آل رشيد، فانقلب السحر على الساحر، ووقع بحبائل الخديعة مدبرها ، واستطاع الامام عبد الرحمن الفيصل القضاء على خصمه ، واستعادة الرياض عام ١٣٠٦ هـ ـ ١٨٨٨ م إلا ان الحظ لم يؤات عبد الرحمن الفيصل لاقامة صرح الدولة السعودية من جـــديد ، واستطاع ابن الرشيد تهديد السعوديين تهديداً فعالاً .

وحفاظاً على الرياض من التهديم ، وتجنباً لخوض معركة غير متكافئة ، آثر الامام عبد الرحمن عام ١٣٠٩ هـ ١٨٩١ م ، التخلي عـــن بلده الأثير ، والانسحاب مع أفراد اسرته الى قلب الصحراء ، ثم اتجـه شطر البحرين ،

واستقر أخيراً في ضيافة امير الكويت مبارك الصباح .

واذا كانت تلك الحقبة نهاية انتفاضات الاسرة السعودية ، فانها كانت في الوقت ذاته الوقوف على عتبة الانطـــلاقة الكبرى التي حملت طابع التغيير الجذري لجزيرة العرب بقيادة وريادة فهد الصحراء عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وشدت أنفاس التاريخ وهو يسجل سطور تلك الملحمة الاسطورية التي لازمت كفاح هذا البطل العملاق الذي كانت سيرته سيرة توحيد الجزيرة وانشاء المملكة العربية السعودية .

الوثبة الثالثة : قدر رجل ونشوء مملكة

كانت الاسرة السعودية الصغيرة التي التجأت الى الصحراء ثم استقرت في الكويت بقيادة الامام عبد الرحمن الفيصل ، تضم في عدادها صغيرها الأثير عبد العزيز آل سعود الذي طبعت الأحداث المتلاحقة أثرها البالغ في نفسه ومستقبله ، وتركت على ملامحه منذ اليفاعة سيماء الرجولة الحقة ، ومخايـــل البطولة الصادقة ، فبدا في تلك السن المبكرة وكأنه يمثل باندفاعـه الحماسي خصائص الجنس العربي أصدق تمثيل .

وكانت أحلام الفتى رغم حلاكة الأيام، تحمل في طياتها كل مطامح الاسرة السعودية من ماض تليد لخلق مستقبل عتيد ، وأخذ مكانتها في شبه جزيرة العرب ، واستعادة حقها كقوة محركة في هذه المنطقة لبناء دولة متكاملة ، نهوضاً بالمجتمع القبلي الممزق ، الى صعيد الوحدة والحضارة والرقي .

حلم كبير ، وطموح واسع ، وارادة فولاذية ، يمدها ذكاء فطري خارق، وبصيرة ثاقبة مضيئة ، وتحرك ذلك كله طاقة من الحماسة المتقدة ، وقبس من لهب مقدس ، وتوطيد للنفس على الثبات بوجه الدهر ، يعرف كيف يروضها

ان تململت ، ولن تتململ ، بقول الشاعر المغوار :

فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيـــل الخلود بمستطاع
فانك لو سألت بقـــاء يوم على الأجل الذي لك لن تطاعي

لقد عاش عبد العزيز مأساة الأسرة السعودية منذ مولده عام ١٢٩٢ ه ١٨٧٦ م ، من خلال معاركها الدائبة المتصلة لقيادة حركة التحرر الوطني العربية ، كما أبقت تلك الانتفاضة التي قام بها والده جذوة الصراع متقدة في فؤاده على الرغم من ان تلك الانتفاضة شعت كالنجم الساطع وهوت كالنيزك المشتعل ، فحمل الأمانة في طيات ذاته ليسطّر تاريخ الجزيرة العربية مـــن جديد ، على شبا حسامه الذي لم يعرف كصاحبـــه كيف يستريح ، الا في اللحظة التي تخلى فيها عبد العزيز عن سيفه ليلتفت الى العمل التنظيمي الكبير لكسب معركة التقدم والبناء الحضاري .

وقد استفاد عبد العزيز من فترة اقامته في الكويت بجانب أميرها مبارك الكبير الذي كان قرم نباهة وسياسة ، ودهاء وذكاء ، فوقف على حقائق الحياة السياسية وخفايا المؤامرات الدولية ، لاسيما وان الكويت كانت آنذاك مركزاً للتنافس السياسي والاقتصادي بين الدول الكبرى ، وبذا اجتمعت في نفس الأمير الشاب تجارب الحياة العملية الى جانب طاقات الفروسية .

عَوْدَةُ الرِّيَاضِ إِلَى حُكْمِ الأُسْرَةِ السُّعُودِيَّة

ووجد عبد العزيز متنفساً لاحلامه حين شارك الامير مبارك القتال دفاعاً عن الكويت ضد تهديد آل الرشيد الذين كانوا يحلمون بالسيطرة عليها، واقترح على الامير الكويتي ان يسير على رأس الف مقاتل لاستعادة الرياض ، ممـا

سيدفع ابن الرشيد الى التحرك لمواجهته ، منعاً لسقوط المدينة في يد الأمير السعودي ، فيتيح لأمير الكويت الفرصة للاستيلاء على بلدان نجد .

وكان لعبد العزيز ما أراد من الاستيلاء على الرياض ، الا انه ما كاد يشرع بحفر خندق يبلغ عبره الحصن الذي امتنعت به حامية ابن الرشيد ، حتى بلغته أنباء الهزيمة النكراء التي حلت بساحة الأمير مبارك إذ تمزق جيشه أشلاء مبعثرة في موقعه الصريف في ٢٦ ذي القعدة ١٣١٨ ﻫ ١٦ شباط ١٩٠١ م ، فأقلع عن مهاجمة الحصن ، وتخلى طوعاً عن الرياض ، وهو على يقين بأن له معها ومع التاريخ موعداً آخر .

والواقع ان مكثه في الكويت لم يطل أكثر من عام واحد لم يستسلم خلاله لليأس او يقبل الأمر الواقع، وانما هجر حياة القصر الى جوار امير الكويت، ولم ير له من راحة سوى الاندفاع الشجاع ، والمغامرة بالروح في ظلال السيوف ، ولئن افلتت الرياض من قبضته مرة ، فسيعيد عليها الكرة،ولكن باسلوب جديد ، ومن خلال استراتيجية الحرب الخاطفة .

ومع قلة من الرجال بايعوه على خطته الانتحارية ، وساروا معه لمواجهة المنية أو النصر ، انقض عبد العزيز على الرياض تحت جنح الليل في حركة سريعة مباغتة ، تم له فيها الاستيلاء على المدينة، واسقاط الحصن،والقضاء على الحامية العسكرية ، وحاكم المدينة من قبل آل الرشيد . وما ان أشرق يوم الثالث من شوال سنة ١٣١٩ ﻫ ١٥ كانون الثاني ١٩٠٢ م حتى عادت الرياض سعودية شعباً وحكماً ، وكان هذا اليوم الصفحة المشرقة الأولى من تاريخ الدولة السعودية الثالثة . وبايع أهل الرياض عبد العزيز بالامارة عليهم بعد ان رفض الامام عبد الرحمن تسلمها قائلاً له : « ان بلداً فتحته بعزمك لأنت أحق بالامارة فيه » .

وكان أول ما صنعه عبد العزيز بعد الاستيلاء على الرياض ، ان عزز دفاعه



المؤسس العظيم ... المغفور له الملك عبد العزيز .

عنها ، ونهد الى تجميع القوى الموالية له تحت لوائه، ثم قاد حملاته على المناطق التي تحيط به واحدة بعد أخرى ، بادئاً بأقربها اليه مكاناً وأدناها منه قلوباً. وشرعت أقاليم نجد تتساقط تحت سيفه ، بعد سلسلة من الغارات والغزوات ، والكر والفر ، والزحف تارة والحصار طوراً ، والمواجهة حيناً والمباغتة حيناً آخر ، في معارك لم تنقطع في طول البلاد وعرضها خلال أعوام عدة أضافت الى كتاب البطولة العربية صفحات رائعة الاشراق .

ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذي يلقاه فيها محبب

متابعة المسيرة الكفاحية

وتوجس ابن الرشيد خيفة ، وأحس بالخطر الداهم الذي يمثله عبد العزيز ، في حين كان يعدّ العدة للاستيلاء على الكويت ، الا انه رأى ان من الصواب مواجهة الخطر قبل استشرائه ، فوجه حملة عسكرية الى الرياض ، الا ان قواته عادت أشلاء ممزقة ، مما حمله على مواجهة خصمه بنفسه ، وشرع يحشد قواه العسكرية ليسير على رأسها في اتجاه الرياض .

الا ان عبد العزيز الذي تمرس بالنضال ، واكتسب الخبرة والحنكة في القتال ، استطاع ان يحدد الزمان الذي يشاء والمكان الذي يريد ، لخوض المعركة المقبلة بعيداً عن مدينة الرياض ، وذلك بخدعة عسكرية انطلت على ابن الرشيد ، وكان اول لقاء له بابن سعود نكالاً على جيشه الضخم الذي مزق شر ممزق ، فانكفأ الى الحفر واتجه منها صوب الكويت بهدف تحقيق كسب سريع يرفع من معنويات جيشه المنهارة ، ولحق به ابن سعود على رأس جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل لنجدة الكويت ، فرأى ابن الرشيد ان يبدل من خطته معتقداً ان الفرصة قد سنحت لضرب الحصار على الرياض ، الا ان

المدينة استطاعت الصمود بوجه الغازي رغم غياب أميرها عنها ، وكان حصاد عبد العزيز في طريق عودته من الكويت ، ضم جميع مناطق نجـــد الشمالية تحت لوائه .

لقد كان ابن الرشيد صنيعة الأتراك ، ومخلبهم الذي يثلمون بـــه العنصر العربي في الجزيرة ، فلم يتوانوا عن مده بكل أسباب القوة،مادية وعسكرية، لعجم عود عبد العزيز الذي غدا الممثل الفعلي لحركة وطنية عارمة لا يقتصر مداها على الجزيرة العربية وحسب ، ولكنه قـد يمتد الى أقطار أخرى من أقطار العروبة الرازحة تحت النير العثماني ، ولذا فقد أمد الأتراك ابن الرشيد بأحد عشر طابوراً وأربعة عشر مدفعاً لمنازلة عبد العزيز .

على ان الفتى العربي الذي وهب ذاته للقتال والنزال، والحرب والتحرير ، لم يقعد عن مواجهة خصميه العنيدين معاً ، ولسان حاله أبداً :

أرى كلنا يبغي الحياة بسعيه	حريصاً عليها مستهاماً بها صبّا
فحب الجبان النفس اورده التقى	وحب الشجاع النفس أورده الحربا
ويختلف الرزقان والفعل واحد	الى ان ترى احسان هذا لذا ذنبا

وهكذا خف عبد العزيز الى اللقاء ، ورمى بقواته صواعق مدمرة انزلت الهزيمة النكراء بابن الرشيد، الا انه لم يستطع ان يفتح ثغرة بالكتائب التركية التي واجهته بمربع كثيف من الرجال والفولاذ كان بمثابة نقطة التقاء لاعـادة تجمع العدو ، كما لعبت المدفعية دورها الحاسم في تشتيت القوى السعودية ، وقلبت بالتالي ميزان المعركة لمصلحة العدوين المتحالفين ، لاسيا وان عبد العزيز قد اصيب بشظايا احدى القنابل ، فلم يجد السعوديون بـــداً من الانسحاب وقائدهم مضرج بدمائه .

لكن الروح الكفاحية سرعان مـــا عادت بعبد العزيز لمواجهة هذين العـــدوين ، واستعادة زمام المبادرة منهما ، فسار اليهما بكتائب الموت

المنشدة :

وقد علم القوم الشقيون اننا	اذا ما تركنا أرضهم خلفنا ُعدنا
وا ّنا اذا الموت صر ّح في الوغى	لبسنا الى حاجاتنا الضرب والطعنا
قصدنا له قصد الحبيب لقاؤه	الينا ، وقلنا للسيوف: هَلـُمـّنـّا

وكان الالتحام الجديد ما بين فهد الصحراء وخصميه الأشد ّين ، وقد عرف عبد العزيز هذه المرة ان يضرب ضربته الصاعقة مبتدئاً بالقوات التركية التي هزمته في المرة الفائتة ، حتى اذا ما شتتها انسحب ابن الرشيد مذعوراً يلتمس قلب الصحراء ، في حين كانت القوات التركية تتقهقر صوب البصرة ، تطاردها القوة السعودية وتضرب في أعقابها ، حتى لم ينج منها سوى عشرين جندياً تركياً وهم في أشد حالات الاعياء .

وانفرد عبد العزيز بعد ذلك بابن الرشيد ومن خلفه من أفراد اسرته ، ينازلهم الكرة بعد الكرة ، وينزل بهم الهزيمة اثر الهزيمة ، لا يخرج من غارة الا ويتبعها اختها ، بقوة أشد ، وبعزيمة أمضى ، حتى احتل عاصمتهم حائل عام ١٣٤٠ هـ ١٩٢١ م ، وغدا سيد نجد غير المنازع .

في سبيل وحدة الجزيرة العربية

ولم ينتظر عبد العزيز استكمال بسط سيادته على نجد ، حتى ينهض الى تحقيق رسالته في توحيد شبه الجزيرة العربية وانهاء عوامل التجزئة الاقليمية، فمنذ عام ١٣٣١ هـ ١٩١٣ م ، يمم وجهه شطر الاحساء حيث أقام الأتراك حامية عسكرية قوية ، لينتزع من براثنهم هذه الامارة العربية التي حولوها الى قاعدة لهم ، ومنطلق لنفوذهم في شبه الجزيرة العربية ، وليشق لنفسه

منفذاً الى البحر كي لا يظل محاصراً وسط رمال الصحراء . وقد انتهز فرصة انشغال الامبراطورية العثمانية بمشاكل البلقان ، ليستولي بجرأة نادرة على مدينة الهفوف وقلعتها الكوت التي تتحصن فيها القوى التركية ، وقد أخذت هذه القوى على حين غرة فاستسلمت راغمة ، واضطر العثمانيون الى الاعتراف بالسلطة الفعلية لابن سعود على اقليم الاحساء .

واتجهت انظار عبد العزيز صوب اقليم عسير ، حين تطلعت قبائله اليه مستغيثة من جور حسن آل عائض الذي كان يحكمها بالعسف والظلم ، فندب لهذه المهمة ابنه الأمين فيصل ، وكان ما يزال في ميعة العمر ، تضج في عروقه دماء الشباب ، فتوجه على رأس قوة سعودية لاقتحام ذلك الأقليم الذي امتنع طويلاً على جحافل القوى التركية ، وتمكن الأمير الشجاع من احتلال تلك المنطقة الوعرة عام ١٣٤٠ ﻫ ١٩٢٢ م بهجمات باسلة خاطفة ، وبهذا شارك الفيصل أباه شرف فتوحاته الهادفة الى توحيد المناطق المشتتة في شبه الجزيرة .

وتستمر سيرة عبد العزيز ، وهو ماض في مسيرته البطولية الخارقة ، يحيا في ظلال السيوف ، ويعيش في قلوب المعارك :

تعوّد أن يغبّر في السرايا ويدخل من قتام في قتام

ويشخص بابصاره الى الحجاز إثر منع السعوديين من اداء فريضة الحج ، ولأول صدام بين القوات السعودية والقوات الهاشمية سقطت الطائف ، ليزحف عبد العزيز بعد ذلك مع رجال دولته وأفراد جيشه الى مكة ، في موكب حق وخير ، وأخوّة وسلم ، دخلها حاسر الرأس ، حافي القدمين ، أعزل من السلاح .

وكان الشريف حسين قد تنازل عن الحكم لابنه الملك علي الذي بادر الى الانسحاب من مكة ليستقر في جدة ، وبذا غدت الكعبة الشريفة في حمى

الاسرة السعودية التي لم تمهل الملك علي وانما تعقبت قواته ضاربة الحصار على جدة بقيادة الأمير فيصل .

ولما طال حصار جدة ، وضاق الأهلون به ذرعاً ، وعلم علي بن الحسين ان فيصل بن عبد العزيز يتأهب لاقتحامها ودخولها عنوة ، عمد الى التنازل عن العرش والرحيل الى البصرة ملتحقاً باخيه فيصل ملك العراق .

وبذا تم سقوط اقليم الحجاز باكمله بيد عبد العزيز الذي حق له ان يتمثل بقول الشاعر :

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قـــرّ عيناً بالاياب المسافر

ولكن هيهات لعملاق الجزيرة ان يهدأ أو يهنأ قبل كسب المعركة الكبرى ، معركة الوحدة الفعلية لبطاح الجزيرة العربية ، والدخول بتلك الوحدة عصر العلم والنور ، وتحقيق الملحمة الحضارية العظمى .

قيام المملكة العربية السعودية

ومع سقوط جدة بيد الاسرة السعودية في ٧ جمادى الثانية عام ١٣٤٤ هـ ٣٠ كانون الثاني ١٩٢٥ ، دخلت هذه المنطقة مرحلة جديدة من التاريخ ، إذ بويع عبد العزيز آل سعود ملكاً على هذه الدولة المترامية الأطراف ، التي بناها بشخصيته الفذة التي جمعت طاقة العقيدة الى مضاء السيف ،وقد توحدت سنة ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ باسم « المملكة العربية السعودية » . ويقول موريس جورنو : « اذا كان ابن سعود قد نجح في لمّ شعب الجزيرة العربية تحت لوائه ، واذا كان قد جعل من بلد مضطرب آهل بالعصابات البلد الاكثر أمناً في العالم ،

فمرد ذلك ليس القوة والسيف فحسب ، بل لأنه سكب في أعماق الأمة الناشئة أقوى عوامل التراص والتماسك ، أي التقيد الشديد باحكام القرآن » .

وهكذا ، وبعد ان كانت المعركة للسيف ، افتتح سيد الجزيرة ميدان معركة جديدة رائدة ، هي معركة تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والادارية للدولة الجديدة ، لتجاوز واقع التخلف ، واللحاق بركب الحضارة التي أخذت تشق طريقها بقيادة ذلك الربان الماهر في خضم من المعارضة المترمتة ، كما لو كان يدفع بسفينه في بحر من الرمال .

وأخذت الدولة الفتية تدخل ميادين الحياة الجديدة ، وتتفتح مزدهرة على العلوم الحديثة ، وتنشىء العلاقات السياسية والثقافية مع العالم الخارجي الذي أطلت عليه بوجه فيصل بن عبد العزيز اليد اليمنى لوالده ، ورفيق أسفاره ، وممثله في المفاوضات التي أجراها مع دول الشرق والغرب . ولقد عهد الملك عبد العزيز لابنه الفيصل بوزارة الخارجية لأنه كان يؤمن برجاحة عقله ، وبعد نظره ، وسعة أفقه ، وقدرته على الانفتاح على العالم الخارجي ، دون أن يشكل ذلك أي خطر على صعيد الحياة الاجتماعية والسياسية في المملكة .

وقد لبى عبد العزيز آل سعود نداء ربه في عام ١٣٧٣ هـ ١٩٥٣ م ، إلا ان سيرته ستظل سيرة الوحدة العربية داخل شبه الجزيرة العربية ، ورسالته رسالة النهضة في قطر متخلف انطلق به في موكب التطور ، حادياً اياه في سبيل المدنية والنور ، وقد ودّع هذا العالم قرير الروح مطمئن النفس ، لأنه أرسى القواعد الراسخة للمملكة العربية السعودية من خلال ذلك النسيج العضوي الحي ما بين المنطلق القومي الصحيح والعقيدة الاسلامية السمحاء ، وترك وراءه قائداً شجاعاً ، وربانا حكيماً ، وانساناً فذاً نذر حياته في سبيل كرامة العروبة وعز الاسلام ، هو فيصل بن عبد العزيز .



الفصل الثاني

الملك الإنسان

بعض الناس يولدون عظماء ، وبعضهم يكسبون العظمة ، وبعضهم يزجون فيها عنوة واغتصاباً .

شكسبير



الرُّجُولة الفاضِلة الكامِلة

انسان من نوع فريد ، لم يبطره الملك أو يغره السلطان أو تفتنه المتارف، فظل انساناً كبيراً بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان نبيلة ومشاعر كريمة ، للفضيلة في حياته المقام الأول ، يعيش في هدوء وتقى واعتدال ، لا يدخن ولا يشرب الخمر ولا يلعب الميسر ، ولا يتعلق بأي عرض من أعراض الدنيا، وله من النساء امرأة واحدة أخلص لهـــا الحب والوفاء . فهو مثال الرجولة الفاضلة الكاملة ، وهو طاهر المجلس لا يُذكر بين يديه الا الخـــير ، طاهر اللسان لا يشتم ولا يتبذل قط ، طـــاهر القلب لا يفكر الا بمصلحة قومه وبلاده ، وكل صفاتـــه ومزاياه عناوين ناطقة بصفاء الجوهر وقوة العزم وسكينة اليقين .

وملك من طراز جديد،لم تقطع السلطة الوشائج القائمة بينه وبين الناس،ولم تحمله على اطراح الأخلاق والقيم . اذا قال كلمة فهي كلمة الشرف التي يذود عنها حتى آخر نقطة من دمه ، واذا أتى عملاً حكَّم ضميره وعقله فيه قبل أن يقدم عليه ، واذا قضى في أمر حَكَمَ بالحق والعدل والانصاف لأن المواطنين كلهم عنده سواء . فهو عبقرية فذة يلتقي فيهـــا سداد الفكر وشجاعة الضمير ، وينيرهـــا ذلك القبس الذي يومض في نفوس الهداة الراشدين الذين خلقهم الله ليوجهوا ويقودوا وجعلهم أئمة يهدون الى صراط مستقيم .

يؤمن بحرية الرأي ، ويشجع عـــلى الكلمة البناءة ، ويكره المنافقين

والمتزلفين عبيد السلطان ومطايا الطغيان ، ويدعو العاملين معه الى مصارحته بالحق غير متحرجين ولا متجفظين ، والى مجاهرته بالخطأ والصواب ،والتمسك بالكرامة والأمانة والصدق وشرف القول والعمل .

يفهم الاصلاح على انه عمل صامت دؤوب في سبيل نشر العلم والعمران ، وتحقيق العدالة الاجتماعية ، وتوفير الخدمات الصحية ، والارتفاع بمستوى المعيشة ودخل الفرد ، وبناء نهضة شاملة تجمع القلوب والطاقات والسواعد على صعيد الحب والايمان والعمل المشترك لغد أفضل ، لا على انه شعارات براقة ودعايات خداعة ، تستر ما وراءها من ظلم واستبداد ، وقمع الحريات، وسلب الأموال ، والتحلل من الأخلاق. فالاصلاحُ عملٌ وبناء ونهضة متكاملة في ظل الحرية والعدالة ، وليس مجرد كلمات وهاجة ، وأقوال لا تعقبها أفعال ، وعدوان على طمأنينة الوطن وكرامة المواطنين .

عربي يفخر بعروبته فهو من بيت عربي عريق ساهم في محاربة الاستعمار وجاهد في سبيل وحدة العرب ، ومسلم يعتز بدينه فهو من بلد كان مبعث النور ومهبط الوحي ومنطلق الرسالة الكريمة الى أنحاء الأرض . فالعروبة والاسلام قد اقترنا في بيت واحد وبلد واحد ، وكانت لهما حضارة واحدة وتاريخ مشترك . وهو يقول في ذلك : « اننا نمد أيدينا ونفتح صدورنا لأخواننا العرب بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، واننا على أتم استعداد للتعاونْ معهم الى أقصى حدود التعاون ، وعلى استعداد للوصول الى الغاية المرتقبة ، وهي الوحدة العربية الشاملة . ولكننا لا نستطيع في أي حال أن ننسى ما لهذه البلاد من صفة اسلامية قدسية تميزها من سائر شقيقاتها العربية بوضعها الجغرافي ، ووجود مقدسات المسلمين فيها . فنحن نقدس الاسلام قبل كل شيء ، ونحن نعتبر الاسلام ركننا الركين » .

وقد كانت المملكة في عهده ، كما كانت في عهد والده العظيم ، سنداً لكل



جلالة الفيصل بن عبد العزيز ... باعث نهضة الاسلام ، وجامع شمـــل العروبة .

عربي ، ودعامة لكل قضية عربية ، لا يحول بينها وبين القيام بواجبها في الازمات والملمات على الوجه الأكمل ، خلاف في الرأي ، أو في موقف معاد سلف من هذا المسؤول أو ذاك ، فكم تحمل فيصل بن عبد العزيز من تجني الأشقاء ، وكم تعرّض للنقد والأفتراء ، فعصمه أدب نفسه وعلو همته وقوة شكيمته وصلابة ارادته ، من مقابلة الاساءة بالإساءة والتجريح بالتجريح . وسرعان ما تراجع الناقدون وتصاغر المفترون ، حين وجدوا الاغضاء المتسامح والعفو الشامل من قلب رحيم يصفح عند المقدرة ويعفو عن كثير ، لأن حب الوطن عاطفة أكرم وأشرف من أن تلقي البغضاء في قلوب العالمين .

ذلكم هو فيصل بن عبد العزيز ، وكفاه هذا اللقب شرفاً واعتزازاً .

رجل المعرفة والوطنية والخلق

في ٢٧ جمادى الآخرة عام ١٣٨٤ (٢ تشرين الثاني–نوفمبر عام ١٩٦٤) ، قرر أهل الحل والعقد في المملكة العربية السعودية ، المناداة بفيصل بن عبد العزيز عاهلاً للمملكة ، وبويع بالملك من قبل آل سعود والعلماء والقضاة وأعضاء مجلس الوزراء ومجلس الشورى وممثلي الشعب،فقبل جلالته الاضطلاع بهذه المسؤولية الجسيمة والقيام بهذا الواجب المقدس ، وناشد أفراد الشعب السعودي أن يتعاونوا معه فرداً فرداً ، ويقفوا الى جانبه قلباً ويداً ، كي يحقق لهم ما عقدوه من آمال ، ويرتفع معهم بالبلاد الى المستوى المنشود والهدف المرسوم ، وأن يشعر كل منهم بأن المملكة انما تخوض معركة للبناء تتطلب صبراً وجهداً ، وتضحية ودأباً ، حتى تحقق النهضة أهدافها وتعطي ثمارها ، فيعم العلم والرخاء ، ويتوطد العدل والنظام، ويبلغ الاصلاح مراميه

في جميع مجالاته الادارية والاجتماعية والاقتصادية .

ولم يكن التمرس بالحكم أمراً جديداً بالنسبة لفيصل بن عبد العزيز ، فان مشاركته في الادارة واضطلاعه بالمسؤولية وشغفه بالاصلاح ، قد اتصلت بحياته واقترنت بسيرته وتفاعلت مع شخصيته ، منـــذ مطلع شبابه حتى يومنا الحاضر .

وهو بين الحكام العرب المعاصرين الحاكم الوحيد الذي رافق الأحـــداث العربية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى ، وأحاط بأبعادها وسبر خفاياهـا ، وعرف أقطابها وناقش صانعيها والمسؤولين عنها عرباً وأجانب ، وسمع وجهة نظر كل منهم ، وأدرك ما يعلن وما يبطن ، فغدا أعرف بقضية كل بلد عربي من أي حاكم عربي آخر .

وهذا ما جعل له في المؤتمرات العربية والمجالس الدولية ، تلك المنزلة العالية والمكانة الخاصة ، اللتين ترجعان الى سعة اطلاعه وبُعد نظره ورجاحة رأيه ، واحاطته بالجوانب المختلفة ، الظاهرة والخفية ، لكل مسألة تعرض على بساط البحث ، فضلاً عن ثقة الجميع بأن المزايا الوطنية لا تفترق في نفسه الكبيرة عن المزايا الأخلاقية ، فهو لا يقول الا صدقاً ، ولا يعمل الا حقاً ، ولا يلتزم الا بما يريد ان يفي به ، لايمانه العميق بأنه لا يمكن الوصول عن طريق غير شريفة الى هدف شريف ، وهو من الأمور النادرة في هذا الزمان ! . .

واذا كانت هذه هي مكانة فيصل في المجال العربي ، وتلك هي خـــبرته واحاطته في المجال العالمي ، فلا شك في ان معرفته بشؤون المملكة العربيـة السعودية ، ورؤيته الواعية لحقيقة أوضاعها ومشاكلها وحـــاجاتها ، وصلته الشخصية بأفراد شعبها التي توثقت في مجلسه المشرع الأبواب منذ خمسين عاماً ، أمام كل صاحب شكوى أو طالب حق ، تجعل منه الحاكم الأمثل في هـــذا البلد الأمين ، والأب الحادب لجميع المواطنين .

واذا كان النجاح والانتصار يـــدفعان ببعض الحكام الى مزالق الغرور والتعاظم والجبروت ، فانهما لا يزيدان فيصل بن عبـــد العزيز الا تواضعاً وتطامناً وايماناً بان هذا النجاح ما كان ليؤتيه ثماره ، وبأن هذا النصر مـــا كانت لتضفر له أكاليله ، لولا ثقة الشعب به والتفافه من حوله عقولاً وقلوباً وسواعد ، فالرابطة الوثيقة بين الشعب والحاكم هي العزم والقوة والحـافز . ومن هنا قوله في أحد الاحتفالات وقد عدد الخطباء مآثره واعماله :

« لست الا فرداً من أفرادكم ، لا أقول هذا مجاملة لكم ولكنه الحقيقة . واذا كنت وفـقت في بعض الأعمال ، كما تـذكرون ، فمرد ذلك الى ثقتكم ومعونتكم ، ودفعكم لي الى الأمام في كل خطوة أخطوها » .

مدرسة البطولة والحكمة

والواقع ان حياة فيصل بن عبد العزيز انما هي سلسلة مترابطة مـــن المسؤوليات والأعبـــاء والتضحيات والمعاني العظيمة التي لا يعرفها الا كل رجل عظيم .

ففي خضم النضال الاسطوري الذي كان يعيش غماره اسد الصحراء المغفور له عبد العزيز آل سعود، لتوطيد دعائم السلطة السعودية في نجد، يشق سبيل المجد بشبا حسامه وصادق الهامه ، وسط الاهازيج والزغاريد :

والزغاريد في شفاه الغواني تدفع الليث لاقتحام المجازرْ

في هذا الظرف بالذات من عام ١٣٢٤ ﻫ ١٩٠٦ م، ارتفعت زغردة جديدة تهنىء الأسد المتوثب، بشبل وليد رفعه بين يديه الكريمتين متفائلاً بانتصارات عتيدة ، وسماه فيصلاً ، ايماناً منه بأن السيف دعامة الملك ، وتيمناً منه باسم

فيصل بن تركي أحد الابطال الميامين ومؤسس الدولة السعودية الثانية ، لاسيما وان اطلالة الفيصل على الوجود جاءت تتويجاً لأفراح العاهـــل الكبير ، إثر انتصاره على عبد العزيز بن الرشيد في معركة روضة المهنا .

في ذلك الجو العارم من النضال المتواصل والمعارك المتواترة ، الآخذ بعضها برقاب بعض ، من سيرة البطل المغوار الذي كان كلما طوى الزمن يومــاً من حياته بسط برقعة ملكه ، ومدّ برواق نفوذه على ما يليه من تخوم الأرض التي يفتتح بسن سنانه ، والقبائل التي تؤخذ بروعة جنانـــه ، نشأ الفيصل وترعرع ابناً لخير أب وأشرف أم ، وحسب امه انهـا ابنة الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف أحد علماء عصره وأحد أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وقد تربى في كنف أخواله في بيت تقى وعـــلم ، فقبس عنهم الفضيلة ومكارم الأخلاق ، ودرج في ظل والده العظيم فأخـــذ عنه البطولة والحكمة والشخصية الفذة التي هي أشبه ما تكون بالبحر عمقاً واتساعاً .

وكان من حق فيصل ان يزهو ويعتز بهذه المدرسة التي نهـل من ينابيعها طفلاً ، وقبس من أنوارها شاباً ، واهتدى بتجربتها وحكمتها في رجولتـــه وتمرسه بالادارة والحكم — وهل من مدرسة أسمى من تلك المـدرسة الحية في البطولة النادرة ، والارادة الفولاذية ، وبُعد البصر وعمـق غور البصيرة — فيقول :

« ان المغفور له والدي عبد العزيز هو مدرستي ومنارتي التي استهدي بها. انني أحفظ كنزاً من تجاربه المرشدة . ان مـــدرستي الحقيقية هي شخصية المغفور له والدي عبـد العزيز الذي ترعرعت ونشأت في ظله ، وتمرست في الحياة بتدريبه ، فكان هو المدرسة التي استقيت منها دروسي وخبرتي » .

ومن هذا المعين الذي لا ينضب ، ومن خلال النضال الذي لا يفتر ، ومن قلب الصحراء العطشى التي تحترق رمالهـــا شوقاً وتطلعاً الى حلم الحضارة ،

درجت تلك الطفولة اليافعة تحمل سيماء الرجولة المبكرة ، في لافح الشمس ومن خلال التماع السيوف الطامحة الى السمو بمجد الدولة السعودية الفتية :

ورث الندى ، وحوى النهى ، وبنى العلا
وجـــلا الدجى ، ورمى الفضا بهـــداء

عبقرية مبكرة ذات وجوه متعددة

كان عبد العزيز محباً لأولاده حادباً عليهم ، الا أنه لم يعاملهم منذ نعومة اظفارهم الا معاملة الرجال ، فهم ورثة المستقبل وعماد الوطن . ومن خـلال هذه النظرة ، بل النظرية الحياتية ، دخل الفيصل مدرسة الحياة بأبعادهـا السياسية والعسكرية ، فلقد كان أحد سيوف والده وهو لم يسلخ الثلاثة عشر ربيعاً ، في حملة على آل رشيد وفي عقـــر دارهم . وتكشفت تلك الحملة عن المواهب العسكرية لذلك الفتى النابه ذي الاعصاب الفولاذية .

ولم تكن عبقرية الفتى موقوفة على الشؤون العسكرية ، وانمـــا كانت متعددة الوجوه والأبعاد ، فالى جانب عنصر الشجاعة المتميز كان هناك الذكاء والفطنة ورجاحة الرأي . وقد توسم عبد العزيز فيه النجابة المبكرة والميل الفطري لممارسة الشؤون السياسية ، وذلك من خلال حلقات مجلسه التي كان الأب يعقدها للتشاور في اوضاع الحاضر وخطط المستقبل .

وتبسم العقل ابتسام أقاحه — متزاهراً عن باكر الأنداء
وسرى له نجم يوافق نجمه — فمحا الظلام بطلعة زهراء
واذا التباس الرأي ألبس حيرة — أوفى عليه بأرشد الآراء

ومضى عبد العزيز يشجع الفيصل ويقدمه في هذا الميدان ، ويعدّه ليكون



الأمير فيصل في لندن : الفيصل يضطلع باعمـــال الكبار في سن الثالثة عشرة .

رجل الدولة المرتجى . وليس أدل على ذلك من انتدابه اياه ، وهو ابن الثالثة عشرة ، ليكون ممثلاً له في بعثة الى بريطانيا ، على رأس وفـــد سعودي ، تلبية لدعوة وجهتها الحكومـــة البريطانية سنة ١٣٣٧ ﻫ ١٩١٩ م الى أسد الجزيرة وآثر ان يمثله الفيصل في تلك المهمة ، حتى لكأنمـــا قصده الشاعر حين قال :

فيما الحـداثة من حلم بـــانعة ... قد يوجد الحلم في الشبان والشيب
ترعرع الملك الاستاذ مكتهلاً ... قبل اكتهالٍ ، أديباً قبل تأديب
مجرباً فهماً من قبـــل تجربة ... مهذباً كرماً من قبـــل تهذيب
حتى أصاب من الدنيا نهايتهـــا ... وهمّه في ابتـــداءات وتشبيب

ولم تكن البعثة السعودية مجـــرد رحلة استجمامية او للتعرف على معالم بريطانيا ، فقد كانت غايتها الاساسية الاطلاع على رأي الحلفاء بعد انتصارهم في الحرب العالمية الأولى فيما يتعلق بالقضايا العربية، مما يدل على الثقة الكبرى التي اولاها عبد العزيز لابنه فيصل .

وقابل فيصل بن عبد العزيز الملك جورج بحضور زوجته الملكة ماري في صبيحة الثلاثين من تشرين الأول ـ اكتوبر عام ١٩١٩ ، وسلمه هدية والده وهي سيفان عربيان ، ورسالة عبد العزيز .

وتباحث الوفد السعودي مع اللورد كرزون وزير خـارجية بريطانيا ، حول مستقبل العلاقات السعودية البريطانية ، والخـــلاف على الحدود بين نجد والحجاز .

وكانت لفيصل وقفة معمقة على معالم الحياة الحضارية في الغرب ، اذ زار مجلسي العموم واللوردات ، وجـــامعة كمبردج ، وكانت له جولة في مقاطعة ولز ومتحفها الوطني ، وزيارة مصانع الاسلحة في تستر ، ومصانـــع لسلي

للسيارات ، كما حضر عدة حفلات في المسارح البريطانية الشهيرة .

ومن بريطانيا انتقل الوفد الى فرنسة تلبية لدعوة الحكومة الفرنسية ، وأمضى الفيصل فيها مدة غير قصيرة ، تعرف خلالها على معالم الدولة الفرنسية ، واطلع على المحاولات الدولية لاقرار السلام العالمي ، وعلى مبادىء الرئيس ولسن في حق الشعوب بتقرير مصيرها ، والطموح الدولي لانشاء عصبة الأمم .

ويمكن القول بكل ثقة ان رحلة فيصل بن عبد العزيز في أول مهمة سياسية يقوم بها لديار الغرب ، التي استمرت ستة أشهر ، كانت رحلة ناجحة ، اذ استشرف فيها الفتى اليافع حقائق السياسة الدولية ، والاتجاهات الفكرية والسياسية السائدة هناك ، كما كانت تجربة بالغة الأهمية في حياته السياسية المقبلة ، زادت من حصيلة خبراته كرجل دولة وقائد مسيرة .

فتى تتبع الأزمان في الناس خطوه   لكل زمان في يديه زمام

من المهمّات السّياسية إلى المهمّات العسكريّة

لم يعرف الفيصل حياة الدعة والهدوء ، وانما كانت حياته بضعة حية في جسم الدولة السعودية . نضال صبور دؤوب متلاحق كانت تعيشه الاسرة السعودية ، في خضم أحداث لا انقطاع لها ، لتأدية رسالة تلك الدولة الفتية ، وهي ماضية قدماً في توطيد دعائمها ، والفيصل أبداً سر أبيه يدرج في مدارجه ، وينهل من معارفه ، في مدرسة الحياة بكل ما تغني من عمق غور واتساع أفق .

وتفاعلت العبقرية المبكرة بالأحداث التاريخية المتعاقبة على صدر الجزيرة

العربية ، فكانت الفكرة سرعان ما تتحول الى طاقة تغتلي في الدمـــاء ، ليترجمها الواقع الحي ملحمة كفاحية رائعة .

وما إن أزفت سنة ١٣٤٠ هـ ١٩٢٢ م حتى عقد له عبد العزيز لواء القيادة العسكرية على رأس حملة موجهة الى منطقة عسير ، لاخماد فتنة شبت هناك ، تغذيها أهواء خارجية تهب حيناً من الحجاز وطوراً من اليمن ، ناهيك عن ان الشريف حسين كان يعتبر اقليم عسيراقطاعاً تابعاً له ، ولذا فهو يـدأب على تغذية كل فتنة تهدف الى شق عصا الطاعة على الاسرة السعودية .

وكان أن تمردت عشيرة آل عائض على الولاء السعودي ، وجـــاء رد الفعل مسيرة سعودية الى ذلك الأقليم بقيادة الفيصل . وانطلق الفيصـــل الى هناك يردفه في مسيرته أفراد القبائل التي كانت تنضوي تحت جناح الأمـــير الشاب طائعة مختارة ، وهو أنىّ حل عزز السلطة السعودية ، حتى اذا بلغ مدينة أبها مركز آل عائض، كان هؤلاء قد أسلموا أرجلهم فراراً الى حرملة، ودخل الأمير المدينة دون مقاومة تذكر .

واتّبع الفيصل نهج عبد العزيز : القوة التي يمدها الحلم ، والحلم المنطلق من مركز القوة ، وحسم الموقف دون اراقة دمـــاء ، ودعا آل عائض الى الاستسلام ، الا ان قائد الفتنة رفض الاذعان ، ولم يجـــد فيصل مناصاً من الاندفاع بقواته شطر حصن حرملة ، واجتياحه وتدميره ، والتجأ آل عائض الى كنف شريف مكة .

وحسب الشريف حسين انه قد سنحت له فرصة ذهبية للاستيـــلاء على عسير بدعم آل عائض ، فأنفذ حملة عسكرية لمقارعـة القوات السعودية التي تمركزت في شعاب الجبال ، وما إن التقى الجيشان حتى كانت مأساة جيش الشريف ، ولم ينج منه الا قائـــد الجيش وبعض افراد البدو الذين انطلقوا يسابقون الريح فراراً .

ووطد الفيصل الأمر للحكم السعودي في عسير ، وأنشأ في مدينة أبهـا جهازاً اداريا وضع على رأسه عاملاً يحكم المنطقة باسم البيت السعودي ، وعاد الى الرياض مكللاً بالظفر ، ولم يجد ابن عائض من مناص له أو خلاص ، إلا الالتجاء الى كنف الملك عبد العزيز الذي كم عفا عن خصم وأحسن الى عدو .

وقد وصف أمين الريحاني الحفاوة الحارة التي استقبل بها فيصل بن عبد العزيز على مشارف الرياض ، وقال: «شهدت يومئذ، وأشهد الآن ، من أعماق القلب، وبحرارة ، ان الفيصل بطل مختار ، فان زحفه من الرياض الى تهامة ، عبر جبال عسير ، على رأس خمسة آلاف من الأخوان ، هو في حد ذاته عمل بطولي عظيم ، متى عرفنا ان قائد هذه المسيرة فتى لم يبلغ الثامنة عشرة من العمر » .

وردد عبد العزيز على جلاسه ، تلك الكلمة التي تحمل كل معاني الأبوة المقدرة طاقات البنوة وهي تتفانى في سبيل نصرة الحق الذي به تؤمن والمثل التي من اجلها تناضل : « لقد كنا على حق حين سميناه باسم جده ! .. »

ولما انطلقت مسيرة الايمان من نجد الى الحجاز سنة ١٣٤٣ هـ ١٩٢٤ م ، بعد منع النجديين طوال ست سنوات من اداء فريضة الحج، ودخل النجديون مكة المكرمة محرمين مسالمين ، بعد تنازل الشريف حسين عن العرش لابنه علي وانتقال هذا بقواته الى جدة لجعلها قاعدة الهاشميين الكبرى ومعقلهم الأقوى ، أسند عبد العزيز الى الفيصل قيادة القوات السعودية التي اتجهت صوب جدة وضربت عليها الحصار ، لاقتناعه بأن حربه الجديدة تحتاج الى الحكمة والرحمة اكثر مما تحتاج الى العنف والعسف ، وكان ذلك منشأ الخلاف الذي نشب بينه وبين قائديه فيصل الدويش وسلطان بن بجاد .

وقرن عبد العزيز النشاط العسكري بالعمل السياسي ، فعهد الى فيصل

بابلاغ الدول العربية والاسلامية موقف الدولة السعودية من الاسرة الهاشمية ، وكان قد سبق للفيصل ان وقع على رسالة العلماء النجديين الى العالم الاسلامي، وهي أول رسالة تصدر عن أول مؤتمر اسلامي عقد في مكة .

وبعد أن قام الفيصل بتمثيل والده ديبلوماسياً واسلامياً ، نهد الى الجبهة ليتولى قيادة القوات السعودية المحاصرة لمدينة جدة ، ولو شاء لاقتحمها عنوة بأيام قلائل ، ولكنه أراد استعمال منطق القوة وقوة المنطق بآن معاً . وشعر علي بن الحسين انه ينطح جداراً من الفولاذ ، وان الخناق يشتد عليه يوماً بعد يوم ، وان الأهلين قد انفضوا من حوله وبدأوا يفاوضون السعوديين لتسليمهم المدينة ، فالتمس السلامة بالجلاء، وأقلته سفينة بريطانية الى العراق، ورفعت القوات الهاشمية الأعلام البيضاء مستسلمة لفيصل بن عبد العزيز بعد حصار دام عاماً كاملاً .

ومع سقوط مدينة جدة ، أخذت تبرز للعالم معالم تلك الدولة الفتية المترامية الاطراف التي عُرفت باسم « المملكة العربية السعودية » ، والتي شرعت تخوض معركة الحضارة بعد أن كسبت معركة السلاح .

فيصل .. نائباً عامّاً للملك

كانت الدولة السعودية الفتية تسير من انتصار الى انتصار ، على الصعيدين العسكري والسياسي ، ومع تلك الانتصارات التي حققتها بقيادة عبد العزيز آل سعود ، كان نجم الأمير فيصل يسمو شيئاً فشيئاً ، ويزداد تألقاً وسطوعاً، فهو أبداً رجل المهمات الخطيرة ، والساعد الأيمن لوالده ، في توطيد الحكم ، وترسيخ أسس الدولة ، وتمثيل وجهها المشرق في العالم الخارجي . وفي جميع تلك المهمات ، كان فيصل الرجل الصلب ، الثابت الجنان ، الثاقب البصر ،

العميق التحليل ، القوي الإرادة والسريع الحسم .

شرحت بدولته الصدور وأصبحت ... خُشّعَ العيون اليه وهي سوامِ
ما أحسب القمر المنير اذا بدا ... بدراً بأضوأ منه في الأوهام

وفي الواقع ان الانتصار على الصعيد العسكري لتوحيد أطراف شبه الجزيرة ، لم يكن سوى الجولة الأولى من كسب المعركة ، معركة الحياة الكريمة ، المؤمنة بلا تزمت ، الآخذة بعقلانية الايمان ، المتمسكة بأهداب التراث ، المتطلعة الى عالم الغد من خلال الرؤية الحضارية ، وصهر المجتمع القبلي في بنية الدولة سياسياً واقتصادياً ، درجاً على صعيد التطور ، وربط الدولة الحديثة بالعالم الخارجي ، بخروجها من دنيا الغربة والاعتزال، ودخولها التاريخ من أوسع أبوابه ، وقد فتّحت مغاليقه مشرعة على عالمي العروبة والاسلام .

لقد حمل دخول الحجاز في اطار الدولة السعودية المزيد من المهمات الخطيرة، اذ غدا الملك عبد العزيز الأمين المؤتمن على الديار المقدسة التي كانت الى عهد قريب تعيش روح القرون الخالية ويعيث فيها الأشقياء وقطاع الطرق، ورأى ان ادارة هذا الأقليم من أقاليم المملكة تتطلب الكثير من اللين الحازم ، والحزم اللين العريكة ، لصهرها في بوتقة الدولة الجديدة ، فلم ينتدب لهذه المهمة الكبرى سوى فيصله الأثير الذي نودي به نائباً للملك في الحجاز .

وكان عبد العزيز من الحكمة فحواها، ومن الدراية مبناها ومعناها، حين حرص على اشراك الحجازيين في ادارة منطقتهم على أوسع نطاق ، لتهدأ النفوس المتوجسة ، وترتاح القلوب المشككة ، فيما هو ماض الى غايته في ازالة جميع الفوارق ما بين أبناء البلد الواحد ، ودمج الجميع طوعاً واختياراً ببنية الدولة الحديثة . لذا كان ندبه الفيصل لهذه المهمة ، جرياً بهذا المضمار الى غايته ، لما عرف عنه من حنكة ودهاء ، ومرونة وذكاء، وفرضِ احترامه على الخاصة،

وانتزاع محبة العامة ، تطميناً لمصالحهم ، وانفاذا لحكم الشرع فيهم .

والحق ان المهمة التي انتدب فيصل اليها، كانت مهمة جسيمة شاقة ، ولكنه كان الرجل الكفء سياسة وادارة وتنظيماً ، وقد تمكن من ان يجتذب بشخصيته الفذة المحببة الى النفوس ، ابناء الحجاز للاسهام في بناء الدولة الجديدة، والتعاون مع الحكم السعودي. وقد لاحظ المؤرخ فون ميكوش فيما هو يدرس التنظيم الجديد للدولة السعودية ان عبد العزيز أراد النهوض بالبلاد بكيان موحد قوي ، يتسم بطابع التفهم لمشكلات كل منطقة ، فكان من الصعوبة بمكان ادارة الحجاز ونجد من خلال السلطة المركزية واليد الواحدة ، ولذا « فقد أوجد حلا وسطاً لحكم جزئـَي مملكته ، وجعل للحجاز كياناً خاصاً للحكم يختلف اختلافاً كبيراً عما هو سائد في نجد ، ونصب نجله الثاني الأمير فيصل نائب ملك في مكة ، وأوكل اليه مقاليد الحجاز يحكمه بما اشتهر به من ذكاء ، وتمرس بالحياة الحديثة ، وسعة في الصدر » .

وهكذا تولى الفيصل رئاسة مجلس الوكلاء في مكة صباح الاربعاء في ٢٨ من جمادى الثانية ١٣٤٤ ﻫ ١٣ كانون الثاني – يناير ١٩٢٦ ، يساعده مجلس استشاري مؤلف من الشيخ حمزة الفعر والشيخ صالح الشطا والشيخ عبد العزيز العتيقي . وقد دعا رجال الدولة والموظفين والقى فيهم الكلمة التالية :

« الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

أما بعد أيها السادة ، فان جلالة الملك أيده الله ، بعد المذاكرة مع المجلس التأسيسي قرر انابتي عنه في هذا المحل ريثما تتم التشكيلات الجديدة لهذه الديار ، وقد أمرني بذلك فامتثلت أمره العالي طائعاً . وأنتم اليوم رجال الحكومة وموظفوها ، كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته ، وكل موظف مسؤول عن وظيفته ، فعلى كل واحد منكم أن يبذل الجهد في ضبط

أعماله واشغاله طبق الصلاحية المعطاة له . وقد بلغني أن بعض الموظفين يتهاملون في وظائفهم ولا يبادرون لأعمالهم في الأوقات المعينة ، وذلك لا يليق بشرفهم ولا بشرف الوظائف التي يقومون بها ، ولا ينتظم الحال معهم، وهذا أمر لا يمكن التساهل فيه ، فعلى كل رئيس دائرة ان يدقق النظر في دائرته، وان يخبرني بموضع كل خلل حتى أسعى في رتقه بأقرب وقت ممكن، وأوصيكم بالتناصح والتساعد والتعاون والتعاضد ، ولعل الله يأخذ بيدنا جميعاً لننهض بهذه الأمة من كبوتها ، ونسير بها في طريق التقدم الى الأمام ، وذلك لا يكون الا بالإخلاص في العمل والترفع عن الدنايا والسفاسف كالغش والخيانة والرشوة وأشباهها .

انكم تعلمون ان لأولياء الأمور حقوقاً على الرعية وللرعية حقوقاً . فحقوق الرعية على الوالي بذل الجهد في راحة الرعية ورفاهيتها ، واقامة ميزان العدل، والمساواة بين الناس في الحق الذي يجب ان يستوي فيه الكبير والصغير والغني والفقير . ومن حق ولي الأمر على الرعية السمع والطاعة والانقياد للشرائع والنظامات التي تؤمر باتباعها . وليعلم الجميع ان القول يجب ان يتبعه الفعل ، وان اكثر ما أكرهه هو الكذب الذى كرهه الله ورسوله ، واني لأكره أن اسمعه ولو من أحقر الناس ، فحاشا لله أن أرضاه لنفسي .

واني اعلن بان المحسن سيعرف له فضله فيجازى عليه ، ويعلم للمسيء أساءته فيجازى عليها . وأسأل الله ان يأخذ بيدنا جميعاً ، ويحفنا بعنايته ، ويوفقنا لما فيه خير البلاد والعباد ، ويهديني لما يحبه ويرضاه » .

ولم تنقض ستة أشهر حتى صدر « القانون الأساسي » تحت عنوان « التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية » وقد شارك في وضعه بعض ذوي الرأي من أهل الحجاز .

وبذا تنفس الحجازيون الصعداء ، ومضى الفيصل يستأصل شأفة الفوضى الداخلية ، واضطراب حبل الأمن،ولم يمض وقت طويل حتى انقلبت الفوضى نظاماً، والبلبلة هدوءاً واطمئناناً ، والخوف أمناً ، والاضطراب استقراراً ، وغدا الحجاز الذي يحتضن مكة المكرمة التي يسمو فيها بيت الله،كما شاءه الله تعالى ، جاء في كتابه العزيز :

« وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً ، واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى، وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود . واذ قال ابراهيم : ربّ اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات ، من آمن منهم بالله واليوم الآخر » .

واضطلع فيصل باعباء الحكم خير اضطلاع ، ومضى ثابت العزم في ترسيخ دعائم السلطة السعودية في الحجاز،عاملاً على رفع شأن المنطقة ادارة وتنظيماً، عمراناً وتعليماً ، صحة وكرامة ، إذ خلق في العامة روح الجرأة الأدبية ، ومعرفة حقوقهم على الخاصة ، في حكم عادل ، وتنظيم سليم للقضاء ، بحيث لا يبقى من مشكلات عالقة ما بين المواطن والمواطن ، وقد أصدر في هذا الصدد بلاغاً رسمياً جاء فيه :

« ليكن معلوماً لدى الجمهور ان من له قضية في احدى الدوائر ، عليه ان يطلب انهاء قضيته من قبل المأمور المختص ، فان لم ينه عمله حسب النظام أو تهاون في انجازه ، فعلى المشتكي ان يرفع الأمر الى رئيس ذلك المأمور ، فان لم ينصفه هذا راجع النائب العام ثم جلالة الملك » .

وكانت فترة حكم فيصل للحجاز فترة تقدم واستقرار ولزدهار ، فهو الوجه الديمقراطي المحبب ، المهتم بقضايا شعبه ، وهو على اتصال مستمر مع ذوي الرأي من رجالات البلاد من جهة ، وعلى مقربة من أبناء الشعب من جهة ثانية ، دائم التنقل بين المدن والقرى والأحياء ليتعرف على قضايا المواطن عن

كثب ، لا يفتر له عزم ولا تضعف ارادة ، وهو القائد العادل والانسان الكبير الذي وهب حياته لوطنه وشعبه ، فـلا متعة لديه تسمو على ذلك الاعتزاز الذي يخالجه حين يقدم لهما جليل الخدمات .

من معاهدة العقير الى معاهدة جدة

كانت الدولة السعودية تسير من نجاح الى نجاح ، ومن انتصار الى انتصار، وغدا عبد العزيز ملكاً على الحجاز وسلطاناً على نجد وملحقاتها ، وقد أراد ان يوطد علاقاته بدول اوربة الغربية التي اعترفت بزعامته القيادية على شبه الجزيرة العربية ، وان يوضح لها نهجه السياسي في الحكم ، وآراءه فيما يتعلق بواقع الدولة الجديدة وعلاقاتها بالدول المجاورة . ومرة اخرى لم يجد عبد العزيز أفضل من نائبه في الحجاز ليقوم باداء هذه المهمة الجديدة خير اداء ولينجزها على أمثل وجه .

وفي شهر آب من عام ١٩٢٦ م ١٣٤٥ هـ ، شرع فيصل برحلته الثانية الى اوربة الغربية ، مبتدئاً ببريطانية ومنتقلاً منها الى هولندة وفرنسة .

وأعدت الحكومة البريطانية استقبالاً رسمياً حافلاً لممثل الدولة العربية التي أخذت تستقطب اهتمام عالمي العروبة والاسلام ، وتحاول بقية الدول كسب ودها والفوز بصداقتها .

ومن البدهي ان الزيارة الثانية التي قام بها الى ديار الغرب ، قد اختلفت اختلافاً جوهرياً عن زيارته الأولى ، فالدولة السعودية بوضعها الجديد ليست كسابق عهدها ، وفيصل بن عبد العزيز هو الآن نائب الملك الذي كان لانتصاراته الأثر المدوّي في العالم الغربي .

وكما في بريطانية ، كذلك في كل من هولندة وفرنسة، كان الفيصل موضع الحفاوة والتكريم ، وكانت الزيارة مكللة بالنجاح ، ومهدت لاعتراف الدول الغربية بعبد العزيز ملكاً على نجد والحجاز .

وكانت الدولة السعودية وهي تخطو اولى خطواتها نحو توحيد شبه الجزيرة العربية ، قد اصطدمت بعدد من القوى السياسية الخارجية ، ولاسيما بعد ان استولى عبد العزيز على منطقة الاحساء التي كانت تخضع للسيطرة العثمانية ، ووقف وجهاً لوجه أمام بريطانية التي تفرض سيطرتها على الخليج العربي .

واستطاع عبد العزيز يومذاك ، ان يتفادى بدهائه السياسي الفذ الحرب على جبهتين اثنتين بآن معاً ، ليتمكن من ان يتحرك بحرية دون ان يخشى انقضاضاً عليه من الخلف. ومن هذا المنطلق السليم عقد عام ١٩١٥م ١٣٣٥هـ ما دعي بمعاهدة العقير أو اتفاقية دارين ، وتعهد فيها بعدم الاعتداء على الأقطار الواقعة تحت الحماية البريطانية ، وبعدم التفاوض مع أية دولة أجنبية .

ولكن ما ان أخذت الدولة السعودية أبعادها السياسية الكبرى ، بما ضمت من نجد والحجاز ، وخرجت من عزلتها الداخلية ، حتى رأى انه لم يعد لتلك الاتفاقية أيّ مسوّغ قانوني،فنهد لالغائها تأكيداً منه على الاستقلال التام للدولة السعودية عن أية وصاية خارجية ، وترسيخاً عملياً لحرية تطوير السياسة الخارجية في علاقاته مع الدول الأخرى .

ومن هذا المنطلق بدأت المفاوضات الجديدة في جدة عام ١٩٢٧م ١٣٤٥هـ، ما بين السعوديين برئاسة فيصل بن عبد العزيز ، والجنرال كلايتون ممثل بريطانية ، فالغيت معاهدة العقير وعقدت معاهدة جدة في ١٨ ذي القعدة ١٣٤٥هـ ٢٠ ايار — مايو ١٩٢٧ م .

واستطاع الفيصل ، خلال المفاوضات التي قادها مع الوفد البريطاني ، انتزاع اعتراف المملكة البريطانية باستقلال الدولة السعودية التام ، وموافقة بريطانية على تصدير الاسلحة الى العربية السعودية ، واقامة العلاقات السعودية البريطانية على اسس المساواة .

وقد جاء في المادة الأولى من معاهدة جدة : « يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التام المطلق لحضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها » .

وهكذا تمكن الفيصل من انتزاع اعتراف المملكة البريطانية باستقلال بلاده الاستقلال التام المطلق ، والاعتراف بوالده ملكاً غير منازع في دولته المترامية التي وحّدها بنضاله الاسطوري والكفاح الدائب الذي خاض غماره لارساء الحكم السعودي في شبه الجزيرة العربية .

لقد حدث ذلك كله وفيصل بن عبد العزيز ما يزال في سن الحادية والعشرين ، حتى لكأنه في سباق مع الزمن، وحتى كأن الشاعر قد عبر عن مكنون صدره حين قال مفاخراً :

أريد من زمني ذا أن يبلّغني ... ما ليس يبلغه من نفسه الزمن

فيصل .. وزيراً للخارجيّة

استطاعت الدولة السعودية كسر الطوق المضروب حولها ، وأطلت على العالم الخارجي بوجهها السمح ، ولم يعد من الجائز ان يظل عبد العزيز في منأى عن المحيط الدولي ، ومن بعض ملكه الديار المقدسة من جهة ، وتواجد التمثيل الدبلوماسي الأجنبي في الحجاز من جهة ثانية ، ولذا كان لا بد من

انشاء وزارة خارجية للدولة .

ومرة أخرى ، وبعد أن قلب عبد العزيز وجوه الرأي واستعرض وجوه الدولة ، لم يجد أفضل وأكفأ من فيصل ليضطلع بهذا الدور ، ولا سيا بعد ان اكتسب ما اكتسبه من خبرة واسعة ، ومراس عملي ، خلال اتصاله بممثلي الدول الأجنبية في جدة ، وتعرفه على العالم الخارجي اثناء زياراته لدول الغرب ، وعقده معاهدة جدة التي انتزعت اعتراف بريطانية باستقلال بلاده وسلطة والده .

وهكذا صدر الأمر الملكي في ٢٨ رجب عام ١٣٤٩هـ ١٩ كانون الأول ـ ديسمبر ١٩٣٠ م « بتحويل اسم مديرية الشؤون الخارجية الى وزارة الخارجية ، وباسناد منصب الوزارة المذكورة الى صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ، النائب العام لجلالة الملك ، علاوة على النيابة العامة » .

وقد جمع الفيصل بذلك في يمينه الأمينة القوية بين سلطتي ادارة الحكم في الحجاز ، ووزارة خارجية الدولة السعودية ، فانصرف الى جانب عنايته بشؤون المواطنين في الحجاز ، واقامة صرح النهضة على ركائز وطيدة من العدالة والحرية والأمن ، الى توطيد علاقات وطنه مع الدول الأجنبية على أسس من الصداقة والتفاهم والاحترام المتبادل ، وكان من ثمرات جهوده في هذا الحقل عقد عدة معاهدات مع عدد من الدول ، على اسس المساواة التامة والتعاون المشترك .

وانطلاقاً من هذا المبدأ ، وعملاً بهذه القاعدة الذهبية في المحافل الدولية ، ومن خلال اتصاله بالعالم الخارجي ، قام الفيصل عام ١٩٣٢ م ١٣٥٠هـ برحلته الثالثة ، ولم تقتصر الرحلة هذه المرة على عواصم بعينها ، وانما زار فيما زاره الاتحاد السوفياتي وعدداً من البلدان الآسيوية ، لتقوية روابط الود والصداقة مع تلك البلدان ، والتعرف على الآراء السائدة في البلاد الاجنبية ، وبحث

العديد من القضايا السياسية الهامة .

ولكن أهم ما كان الفيصل يهدف اليه ، دراسة أوضاع المسلمين في البلدان التي يزورها ، سواء أكان ذلك في اطار دولها أم في مستعمراتها . وقد شهد المناورات العسكرية في فرنسة ، وعرج على بريطانية وهو في طريقه الى بولونية وروسية . ودارت مباحثاته مع الزعماء السوفيات أمثال ستالين وكالينين ومولوتوف ، حول حرية المسلمين في بلاد الستار الحديدي في ممارسة شعائرهم الدينية واداء فريضة الحج .

وكان الاتحاد السوفياتي ينظر بعين الدهشة الى بناء الدولة السعودية بقيادة الملك عبد العزيز . الا ان الفيصل لم يفته ان السوفيات كانوا يهدفون الى التغلغل في منطقة الشرق الأوسط ، استناداً الى دولة عربية قوية ، وزعيم عظيم مهاب الجانب يحظى باجلال العالمين العربي والاسلامي . وقد جاء في الكلمة التي القاها كالينين رئيس الدولة السوفياتية ، في المأدبة التي اقيمت على شرف الفيصل في ٢٩ ايار ـ مايو ١٩٣٢ ، وكانت العلاقات السعودية السوفياتية آنذاك علاقات صداقة ، وذلك قبل أن يأمر عبد العزيز باغلاق المفوضية السوفياتية في جدة لابعاد الخطر الشيوعي عن المملكة ومنع التغلغل السوفياتي في المنطقة :

« ان العلاقات كانت بين بلدينا على مدى عدد من السنين ، علاقات ودية جداً ، صادقة تماماً ، ولا شك ان زيارتكم لبلادنا هي أحد المظاهر السعيدة للصداقة التي تربط بيننا . واني بهذا السرور أرحب بكم في عاصمة الاتحاد السوفياتي ، لأنكم تمثلون حكومة شعب عربي استطاع بعد الحرب العالمية وبفضل سياسة قائده الجريئة والبعيدة النظر ، ان ينال ويعزز استقلاله التام الذي هو شرط ضروري لتطور البلاد الاقتصادي والثقافي . ان الاتحاد السوفياتي حكومة وشعباً ، يتتبّع بانتباه شديد التطور الموفق لسياسة الحكومة التي تمثلونها ، والموجهة الى الدفاع عن استقلال الشعب العربي والى

توطيد رفاهيته الاقتصادية والثقافية » .

وزار الفيصل فيما زار من بلدان الغرب المانية وايطالية ، كما عرج على كل من تركية وايران البلدين الاسلاميين لتعزيز وشائج الأخوة الاسلامية ، وتوقف في كل من الكويت والعراق ، وكان هدفه من زيارة القطر العراقي تحسين الروابط ما بين البلدين العربيين الشقيقين ، وازالة الجفوة بينهما وانهاء الخلافات القديمة .

ويمكن القول ان رحلته قد حققت نجاحاً كبيراً في تعزيز مكانة الدولة الفتية على صعيد العلاقات الدولية، واقامتها على اسس التفاهم الودي والتعامل على قدم المساواة ، كما أكدت حرصه على تحقيق السياسة التي رسمها لبلاده في الانفتاح على العالم الخارجي لكسب معركة الحضارة والتقدم العلمي ، دون التخلي عن المبادىء الأصيلة في منطلقها الأساسي بالحفاظ على التراث العربي والقيم الروحية ، ودون التهاون في المهمة الرئيسية وهي صهر تلك المناطق السعودية المتفرقة المتناثرة بدنيا الصحراء ، في دولة اسلامية الروح ، عربية الوجه ، ملتزمة بمبادئها دون تزمت ، منفتحة على العالم دون افراط ، حتى لكأن تلك المرحلة من حياة الفيصل كانت ارهاصاً كاملاً بمستقبل السياسة السعودية عربياً واسلامياً ودولياً :

ذكيٌ تظنيه طليعةُ عينه يرى قلبه في يومه ما ترى غدا

إعلان «المملكة العربية السعودية»

كانت السياسة الحكيمة التي انتهجها الملك عبد العزيز تستهدف توحيد اقليمي الدولة السعودية : الحجاز ونجد ، بصورة تدريجية بعيدة كل البعد عن

مسجد الرسول ... أعمدة تعيد للذاكرة معالم الحمراء ...

التعسف ، لتقريب الأوضاع وتوثيق الوشائج ، وكان للفيصل دوره الكبير في تحقيق الوحدة الكاملة ما بين الإقليمين ، بوصفه نائباً لوالده في الحجاز ووزيراً لخارجية الدولة ، يعمل بهدوء وأناة وروية على تطوير البلاد في تلك النظرة الاصلاحية الشاملة .

وكانت الخطوة الأولى على طريق الوحدة ، اقامة ما سمي بنظام الوكلاء في ٧ رمضان ١٣٥٠ هـ ١٩٣٢ م برئاسة الأمير فيصل ، وقد توخى هذا النظام الجديد تنسيق شؤون الدولة ما بين نجد والحجاز .

أما الخطوة الثانية ، وهي الخطوة الفعلية في توحيد الاقليمين ، فكانت اعلان قيام « المملكة العربية السعودية » وذلك في السابع عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٥١ هـ ١٨ ايلول ـ سبتمبر ١٩٣٢ م . وقد نشر بيان توحيد الدولة حاملاً توقيعي الملك عبد العزيز ونائبه الأمير فيصل .

وكان للفيصل ـ ولا خلاف ـ دوره الكبير في تقريب الشعبين الحجازي والنجدي ، من خلال تلك الثقة الغالية التي محضها الحجازيون الأمير فيصل والحكم السعودي ، وقد فعلت شخصيته المحببة في اجتذاب قلوب المواطنين اليه يزاحم في ذلك العامة الخاصة ، إذ نعم الحجاز على يديه بالاستقرار والطمأنينة وشعر الحجازيون بالحرية والكرامة ، فكانوا صوتاً واحداً يهتف بالوحدة الوطنية ، وقلباً خافقاً بالولاء للمملكة العربية السعودية.

الزحف على اليمن

كان الامام يحيى يعتبر اقليم عسير تابعاً له ، فما كاد هذا الاقليم يعلن ولاءه للحكم السعودي إثر الحملة العسكرية التي قادها فيصل بن عبد العزيز ، حتى بدأ

يتململ حنقاً وغضباً ، وزادت في حنقه وغضبه المعاهدة التي عقدهـا الملك عبد العزيز مع السيد الحسن علي الادريسي وبسط بموجبها حمايته على القسم الذي كان يحكمه الأدارسة بتهامة ، فتمت له بذلك السيادة على اقليم عسير بأ كمله ، فبدأت قوات الامام تقوم بغارات متواصلة على الأراضي السعودية ، واستولت في احدى هذه الغارات على نجران .

وقد رغب عبد العزيز في تسوية الخلاف مع الامـام يحيى بشكل ودي وباسلوب سلمي ، طالباً منه ان تنسحب القوات اليمنية من تهامة ، الا ان الامام أخذ يسوّف ويماطل رغبة منه في كسب الوقت ، دون أن يقدّر مغبة خلافه مع ابن سعود ، وقدرة عبد العزيز على توجيه الضربات الصاعقة .

والواقع ان العاهل السعودي ما لبث ان نهد لمقارعة الامام ، فاتخـذ الطائف مركزاً لقيادة عملياته العسكرية ، وأنفذ الى اليمن عـام ١٩٣٤ م ١٣٥٣ هـ ثلاث حملات عسكرية ، الأولى بقيادة فيصل وتهدف الى احتـلال حرض وميناء الحديدة ، والثانية برئاسة سعود وترمي لاستعادة نجران ، والثالثة معقودة اللواء لخالد بن محمد وغايتها احتلال صعدة .

وانطلق الفيصل بمحاذاة ساحل تهامـة ، فاحتل حرض في التاسع من نيسان ـ ابريل ، وسار منها الى ميناء ميدي فاستولى عليه بعد حصار لم يدم سوى أربعة أيام بعد ان انزل هزيمة نكراء بالقوات التي أنفذها الإمام لفك الحصار ، ثم تابع زحفه في اتجاه ميناء الحديدة الذي لم يلبث ان سقط في يده في الثاني من ايار ـ مايو ، في الوقت الذي تمكنت فيـه القوات السعودية الأخرى من احتلال نجران وواحاتها المجاورة .

ولما بدأت القوات السعودية بقيادة الفيصل الزحف على تعز ، لم يجـد الامام مناصاً من التماس الهدنة ، بينما تدخل زعماء العالم العربي لاحلال السلام ما بين البلدين الشقيقين ، مناشدين الملك عبد العزيز ايقاف القتال ، فقبـل

الملك مبدأ المفاوضة بين الفريقين .

وقد تحركت خلال الحرب السعودية ـ اليمنية القوى الأجنبية بقصد التدخل ، اذ ظهرت ثلاث سفن حربية بريطانية قرب ميناء الحديدة بذريعة حماية الرعايا البريطانيين ، الا ان فيصل بن عبد العزيز كان قد مدّ رواق سيطرته على المدينة ، وساد ميناء الحديدة الهدوء والأمن ، مما اضطر القوات البريطانية الى الانسحاب بعد مفاوضات جرت ما بين الأمير والقادة البريطانيين ، ولكن لتظهر من بعدها في الميناء سفينتان حربيتان ايطاليتان ، ولينزل على الساحل اليمني قرابة مائة جندي ايطالي ، الا ان هذه القوات ما لبثت ان انسحبت بناء على رغبة القائد اليمني الذي لبى طلب الفيصل بجلاء القوات الأجنبية أثناء المباحثات التي دارت ما بين الفريقين .

وتم الاتفاق نهائياً ما بين البلدين العربيين ، بعقد معاهدة عرفت باسم « معاهدة الطائف » ، وقعها عن الجانب السعودي الأمير خالد بن عبد العزيز وعن الجانب اليمني عبدالله بن الوزير ، وأدت الى احلال السلام بين اليمن والمملكة العربية السعودية ، بعد أن تنازل الامام عن كل مطلب له بعسير ، واعترف به اقليماً من أقاليم المملكة .

ودلت المعارك التي قادها الفيصل على عبقريته العسكرية ، الى جانب حنكته السياسية ، إذ عرف كيف يجنب دولته الدخول في منازعات دولية يرى الأجنبي فيها منفذاً للتدخل في شؤون الأشقاء ، كما أثبت للعالم أجمع ان المملكة السعودية التي مَرَدَت على ساعد والده ، قد قامت لتعيش وتدوم وهيهات لها ان تقف مكتوفة اليدين تجاه أية استفزازات تحاول أن تثلم من اثلتها أو تنال من عزتها .

وناد‌ى المعالي فاستجابت نداءه ولو غيره نادى المعالي لصُمَّتِ

من مؤتمر لندن إلى منظمة الأمم المتحدة

لقد كانت القضية الفلسطينية في جميع مراحلها وعلى مرّ السنين ، الشغل الشاغل للمملكة العربية السعودية ، وقد سجلنا في كتابنا « موعد مع الشجاعة » مواقف الملك عبد العزيز ومساعيه في سبيلها ، كما بينا في فصول عدة من كتابنا هذا ان القضية الفلسطينية هي من أهم المنطلقات التي صدرت عنها سياسة الملك فيصل وتحركاته في المجالات العربية والاسلامية والدولية جميعاً . ونذكر هنا في عرضنا لسيرة الفيصل الذاتية انه تولى رئاسة الوفد السعودي الذي اشترك عام ١٩٣٩ مع عدد من الدول العربية وهي مصر والعراق واليمن ، في مؤتمر لندن الخاص بالقضية الفلسطينية ، بعد أن بلغت المجابهة العربية الفلسطينية بالقوى اليهودية الوافدة الى فلسطين مرحلة تأزم عنيفة ، وظهرت في الأجواء مخططات المؤامرة الدولية لخلق دولة اسرائيل في قلب العالم العربي .

وقد شرح الفيصل في المؤتمر موقف دولته من هذه القضية ، مؤكداً على حق الشعب العربي غير المنازع في وطنه ، وخطر الهجرة اليهودية ، والعقابيل التي ستنجم عنها ، والتي ستصدع العلاقات ما بين عالمي العروبة والاسلام والدول التي ستؤيد الباطل الصهيوني في اغتصاب أرض عربية مقدسة .

وكان الانكليز يحاولون التقريب بين وجهتي نظر العرب واليهود ، ولكن المؤتمر باء بالاخفاق لاختلاف المنطلقات العربية واليهودية ، ولأن المؤامرة الدولية كانت تتمخض بالولادة غير المشروعة لدولة اسرائيل .

وظل فيصل بن عبد العزيز الصوت المدوي بالحق العربي في فلسطين ،

منذ نشوء الخطر الصهيوني الزاحف على البلدان العربية ، قبـــل ولادة اسرائيل وبعد قيامها ، في ذلك الموقف الذي لا يتزعزع قيد أنملة ، منافحاً عن الحق العربي المطلق في تلك الديار المقدسة ، وفي استعادة شعبهـا أرضه وتقرير مصيره بنفسه .

وعلى اثر اكتشاف النفط في المملكة العربية السعودية سنـــة ١٩٣٨ م ١٣٥٧ هـ تطورت العلاقات الاقتصادية عبر اعمال شركات النفط المنقبة عنـه والمستثمرة له ، بين الولايات المتحدة الاميركية والمملكة السعودية التي غدا النفط العمود الفقري لاقتصادها القومي .

وفي شهر ايار ـ مايو من عام ١٩٤٢ م ١٣٦١ هـ ، وجهت الحكومـــة الاميركية الدعوة للملك عبد العزيز لزيارة الولايات المتحدة ، فقبل العاهـل السعودي الدعوة الا انه اناب عنه في القيام بها ولديه الاميرين فيصل وخالد، فلبيا الدعوة عام ١٩٤٣ م ١٣٦٢ هـ ، وجرت بين الرئيس روزفلت والفيصل محادثات ودية هدفها توطيد الصداقة العربية الاميركية ، كما اجتمع بعـدد من كبار القادة والساسة الأميركيين .

وزار الأميران والوفد المرافق لهما ، المعالم البارزة في الولايات المتحـدة ، وعدداً من المدن الاميركية ، للتعرف على المعالم الحضارية والتقنية فيها .

لقد عملت المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها ، على توطيد عـلاقاتها بالمجتمع الدولي ، فكانت الرحلات المتكررة التي قام بها فيصل بن عبد العزيز ممثلاً دولته ، انفتاحاً على العالم ودرجاً في طريق التطور الصاعد .

وفي غمار الحرب العالمية الثانية ايدت المملكة العربية السعودية دول الحلفاء لما رفعت من شعار الحرية والسيادة للشعوب كلها ، بينما اندفعت دول المحور إلى رفـع عقيرة الفاشية والتفوق العنصري المعادي لأماني الشعوب وتطلعها الى الحرية والاستقلال .

وفي عام ١٩٤٥ م ١٣٦٥ ه عمل الحلفاء على تأسيس « هيئة الأمم المتحدة » تأكيداً على حق الشعوب في الحرية والاستقلال ، ووجوب حل المنازعات الدولية بالطرق السلمية . ونتيجة لموقف العربية السعودية المؤيد للدول المتحالفة ، تلقت الدعوة لحضور مؤتمر الأمم المتحدة لتأسيس تلك المنظمة الدولية ، والتأم شمل الوفود العالمية بمدينة سان فرنسيسكو في ٢٥ نيسان ـ ابريل سنة ١٩٤٥ .

وكان من الطبيعي أن يستجيب الملك عبد العزيز لهذه البادرة الدولية التي تحمل بشائر التأكيد على تحرر الشعوب واستقلالها وحقها في ممارسة حرياتها ، فانتدب نائبه ووزير خارجيته الأمير فيصل لتمثيل بلاده في هذه المهمة الجديدة .

والقى الفيصل بهذه المناسبة التاريخية العظيمة في حياة الأمم والشعوب ، خطاباً اشار فيه الى المهمات الكبيرة الملقاة على عاتق منظمة الأمم المتحدة لتحقيق أهدافها السامية ، وأكد ان مبادىء السلم والعدالة والحق هي المبادىء التي تتمسك بها المملكة العربية السعودية لأنها نابعة من الدين الاسلامي الذي تعتبره دستوراً لها .

ولما تم اقرار ميثاق الأمم المتحدة في السادس والعشرين من حزيران ـ يونيه ١٩٤٥ ، القى كلمة جسدت الموضوعية التي يتحلى بها ، ناهيك عن بعد النظر والتحليل المعمق ، ومما قال فيها :

« ان هذا الميثاق لا يدل على الكمال ، كما كانت تتوقع الأمم الصغيرة التي كانت تأمل أن يحقق المثل العليا ، على انه كان خطوة كبيرة اليها ، وسنعمل كلنا للمحافظة عليه ، وسيكون الأساس المتين الذي يبنى عليه صرح السلام العالمي » .

ونشطت المملكة العربية السعودية في شخص فيصل بن عبد العزيز في

المنظمة العالمية الكبرى ، وعملت على قيادة النضال العربي لدعم حق الشعوب العربية في الحرية والاستقلال ، والتركيز على القضية الفلسطينية .

وفي عام ١٩٤٧ م ١٣٧٧ ﻫ أجمعت الوفود العربية الممثلة في هيئة الأمم المتحدة على اختيار الفيصل ليكون الناطق الرسمي باسمها في أعلى منبر عالمي، لما يتمتع به من مقام رفيع، وما يحظى به من احترام بالغ في المحافل الدولية، فضلاً عن نضاله الدؤوب في سبيل قضايا العرب المصيرية . وكان ذلك دليلاً جديداً على عبقرية فيصل السياسية واخلاصه وتفانيه في خدمة العروبة والاسلام .

مجد تلوح حجوله وفضيلة لك، سافر والحق لا يتلثم

غياب المؤسس الكبير

كانت المملكة العربية السعودية تشق طريقها الصاعد ، ماضية في مسار التطور الحضاري والتنظيم الاداري بقيادة الملك عبد العزيز ، وقد اتجه تفكيره الى انشاء مجلس للوزراء،وحقق هذه الفكرة وهو على فراش مرضه، ويمكن القول بأن هذه المأثرة كانت آخر أعمال الرجل الكبير الذي كان لا يفتأ يستلهم المستقبل ، وكان ذلك في شهر صفر عام ١٣٧٣ ﻫ تشرين الأول ـ اكتوبر ١٩٥٣ ، وقد غدا ابنه الأكبر الأمير سعود رئيساً للمجلس ، بينما غدا فيصل نائباً لرئيس مجلس الوزراء الى جانب وظائفه الكبرى في الدولة .

وبعد انقضاء شهر واحد على تأسيس المجلس الوزاري انتقل العاهل الكبير الى رضوان ربه في الثاني من ربيع الأول عام ١٣٧٣ ﻫ ٩ ايلول ـ سبتمبر

١٩٥٣ ، بعد ان مثل ذلك الدور الاسطوري في حياة الجزيرة العربية ، من توحيد للأقاليم المتفرقة في دولة قوية واحدة ، وصهر للقبائل المشتتة المتنازعة في بنية الدولة ، واقامة صرح هذه الدولة الشامخ على اسس العدالة والحرية ، فكان لوفاته رنة أسى بالغة في المحافل الدولية والأوساط السياسية ، وكتب جان بونيه في مجلة « باري ماتش » كلمة جاء فيها :

« لقد خلـّف ابن سعود الذي لقبه الانكليز بنابليون الجزيرة العربية ، مملكة شاسعة تعادل مساحتها نصف مساحة اوربا ، وبلداً يعتبر الثالث في العالم في انتاج البترول ، وكان في الوقت نفسه الزعيم المرموق في العالم العربي. نصف قرن من الجولات الخيالية .. ملحمة مدوية لم تخطر أعاجيبها أبداً في بال كتاب قصص الفروسية .. لقد استطاع ابن سعود في خضم القرن العشرين ان يفجّر من غمار الرمال أمة جديدة ! ... »

وشرعت الأقلام العربية والاسلامية لتعداد مآثره وذكر مناقبه ، وكأنها تصدر جميعاً عن قول الشاعر :

مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة غداة ثوى الا اشتهت أنها قبر
ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى ويغمر صرفَ الدهر نائلُه الغمر
سقى الغيث غيثاً وارت الأرض شخصَه
وان لم يكن فيه سحاب ولا قطر

ولا خلاف في ان المغفور له الملك عبد العزيز قد نام قرير العين ، لأنه خلـّف وراءه تراثاً من المجد هيهات للدهر أن ينال منه ، كما ترك على السفين الربان الماهر : ابنه الفيصل الذي يعرف كيف يمسك دفة القيادة ادارة وتنظيماً ، في قلب يخفق أبداً بالايمان بتعاليم الاسلام ، وعقل راجح يتفهم متطلبات العصر وضرورة الانفتاح على العالم ، وكيف لا يكون ذلك وقد كان الفيصل أبداً اليد اليمنى للعاهل الراحل .

ويمكن القول بكل يقين ، ان المملكة العربية السعودية ظلت تتأثر نهج عبد العزيز ، بقيادة الفيصل ، حتى اذا لعب الهوى ببعض القلوب للانحراف بالسفين عن ذلك النهج القويم ، قال الحق كلمته وجهرت الأحداث بلسان الشاعر العربي :

الحق أبلجُ والسيوفُ عوارِ فحذارِ من أسد العرين حذارِ

فيصل .. رئيسًا للوزارة

ما إن انتقل العاهل الكبير الى رضوانه تعالى حتى بويع الأمير سعود بن عبد العزيز ملكاً للمملكة العربية السعودية ، كما بويع الأمير فيصل ولياً للعهد مع احتفاظه بمراكزه السابقة كوزير للخارجية ونائب للملك في الحجاز ونائب لرئيس مجلس الوزراء .

والواقع انه بالرغم من احتفاظ الملك سعود برئاسة الوزراء ، كان الفيصل هو الذي يضطلع بشؤون الدولة لما عرف عنه من خبرة ومقدرة وحنكة في ادارة دفة القيادة العامة .

ومن خلال هذا الوضع كان الفيصل القائد الفعلي للمسيرة المظفرة للمملكة، في تأثر دائم للنهج العزيزي السوي ، وفي ذلك التفاني بخدمة الشعب، والتطلع المستمر لكسب معركة البناء الحضاري .

وفي السادس عشر من ذي الحجة عام ١٣٧٧هـ ١٥ آب ـ اغسطس ١٩٥٤ عمل الملك سعود بنصيحة الخلّص من الأوفياء ، فعهد برئاسة مجلس الوزراء لفيصل بن عبد العزيز، وأصدر في ذلك بياناً ملكياً بتكليفه بالمنصب الجديد، قال فيه : « لما عهدنا فيكم من كفاءة واخلاص ، ولثقتنا الغالية ، عيناكم

رئيساً لمجلس وزرائنا، وذلك لكي يحصل الانسجام في سير الأعمال، وليفسح لنشاطكم ومواهبكم مجال العمل في مصلحة شعبنا » .

وليس من ريب في ان الانسجام كان امنية كلٍ من الملك سعود وأخيه الفيصل ، ولكن كانت تعرض في بعض الأحيان عوارض من سوء التفاهم مبعثها الاختلاف في التطلعات والمشارب ، لاسيا وان هناك دائماً من يحب الاصطياد في الماء العكر ، مما جعل الملك سعود يعيش التوجس الدائم ، ويحيا التمزق النفسي ، ومن خلال ذلك التوجس وهذا التمزق كان يحل مجلس الوزراء ليعيد تشكيله من جديد ، يمارس الرئاسة تارة بنفسه وطوراً يسندها للفيصل الذي هو أبداً وفي كل الأحوال قائد المسيرة ورب الدفة ، لا يهمه الا الحفاظ على تقاليد الأب الراحل ، والا صيانة الدولة وترسيخ دعائمها ، والا الانطلاق في مضمار التطور والتقدم .

ويمكن القول ان فترة حكم الملك سعود قد تميزت بدخول مرحلة سياسية خطرة من خلال نهجين وعقليتين وخطين مختلفين :

١ ـ خط سياسي يجنح الى شيء من الكسروية ، في حاشية كبيرة تحفل بالمظاهر الخلابة وتزين ذلك للملك ، وهو النهج الذي عارضه فيصل .

٢ ـ خط البناء الداخلي ، وتطوير بنية المجتمع سياسياً واقتصادياً، تنظيماً وادارة ، وصون التراث مع التطلع الواعي لآفاق الحياة الواسعة ، وكسب معركة الحضارة ، وهو النهج الفيصلي .

ولقد قادت سياسة الملك سعود المملكة الى أكثر من مأزق ، واندفعت في أكثر من منزلق . وفي كل ملمة كان الملك يتراجع تاركاً رئاسة مجلس الوزراء لولي العهد ، لاصلاح ما أفسد الدهر ، كما قال الشاعر :

سيذكرني قومي اذا جدّ جدهم وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر

وكانت الأوضاع الاقتصادية تتردى ، سائرة في طريق التدهور ، مما سجله المؤرخ امين سعيد بقوله : « حدث في أواسط سنة ١٩٥٨ خلاف على الطرق التي تتبع في ادارة المملكة ، بين الملك سعود وأخيه الأمير فيصل رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، فآثر سموه الابتعاد لأنه ما كان راضياً عن بعض تصرفات القصر وعن خطة التبذير التي يسير عليها مما أدى الى هبوط سعر النقد السعودي ، وتراكم الديون على خزينة الدولة . وزاد ابتعاد سموه الحالة سوءاً وارتباكاً ، وساعد على اشتداد الأزمة واستفحالها » .

وكان الفيصل قد عاد من رحلة استشفائية في الولايات المتحدة دامت ثمانية أشهر ، فراعه ما شاهد عليه المملكة من فراغ الخزينة ، وتدهور في الاوضاع الاقتصادية ، وقلق يهز النفوس المخلصة ، في حين وقفت بعض الدول العربية تجهر بشعار التحدي للأنظمة غير الثورية ، فأعلن رغبته بالعزوف عن الحكم، وساور القلق ذوي الرأي من أهل الصلاح ، وناشدوا ولي العهد العمل على انقاذ المملكة ، وكان الفيصل يدرك خطورة الوضع الذي تعيشه المملكة ، وتخالجه رغبة مخلصة في العمل على تقويم الدفة في اتجاه رياح الخير واليمن والسعادة للوطن والمواطنين على حد سواء ، ولكنه اشترط ان يكون مطلق الحرية بالعمل ، مطلق الارادة بالتنفيذ ، للعودة الى تحمل المسؤولية ، منعاً لكل تدخل ، وضماناً للانسجام في سير العمل الحكومي .

وكان عقلاء المملكة وذوو الرأي فيها ، يجنحون الى عزل الملك ، الا ان الفيصل الذي لم تغره الدنيا قط ، حال دون ذلك ، فهو لا يهدف الا الى الاصلاح ، وممارسة السلطات السياسية اكمالاً لمسيرة والده العظيم .

ولم يتردد الامير محمد بن عبد العزيز في ان يجابه الملك باسم الامراء السعوديين ، بقوله : « كنا قد قررنا أن نطلب اليك التنازل عن العرش ، ولكن أخاك فيصلاً عارض فكرتنا ، وطلب ابقاءك على العرش ، فوافقنا على طلبه بشرط أن تتخلى عن جميع سلطاتك » .

ولم ير الملك مناصاً من الموافقة على هذا القرار الجماعي ، فتنازل عن كافة سلطاته للفيصل ، وأصدر في ذلك بلاغاً رسمياً بثـــه راديو مكة في الرابـع والعشرين من آذار ١٩٥٨ ، وقد جاء فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الاطلاع على نظام مجلس الوزراء ، وبالنسبة للاجراءات التي تتخذها حكومتنا الفتية منذ الآن فصاعداً .

وتحقيقاً لرغبتنا في دعم الاداة الحكومية ، وتحديد المسؤوليات على ضوء الخبرات التي مرت بها حكومتنا منذ انشائها ، فقد أصدرنا بعون الله تعالى نحن سعود بن عبد العزيز آل سعود المرسوم الآتي :

أولاً : يمنح رئيس وزرائنا المسؤولية التامة للاشراف على تنفيــــذ جميع السلطات الادارية فيما يتعلق بالشؤون الداخلية والخارجية والشؤون المالية .

ثانياً : يعاد النظر في نظام مجلس الوزراء بغية ادخال التعديلات الضرورية على النظام الحالي لهذا المجلس .

ثالثاً : كلفنا رئيس وزرائنا تحقيق هذه الرغبات » .

وهكذا انتصر الخط الذي يمثله النهج الفيصلي ، فبادر سمـــوه الى تنظيم شؤون الدولة الداخلية منها والخارجية ، ومتابعة الخطة المتمسكة بمبـادىء الحياد الايجابي ، ورفض مبدأ الأحلاف العسكرية ، كما اتخذ عدداً من التدابير الفورية لانقاذ الخزانة السعودية واعادة الريال السعودي الى وضعه السابق بعد تدنيه بشكل مروع .

انتصار النهج الفيصلي

وبالرغم من نجاح فيصل في حملة الاصلاح والانقاذ ، وربما بسبب هـــذا

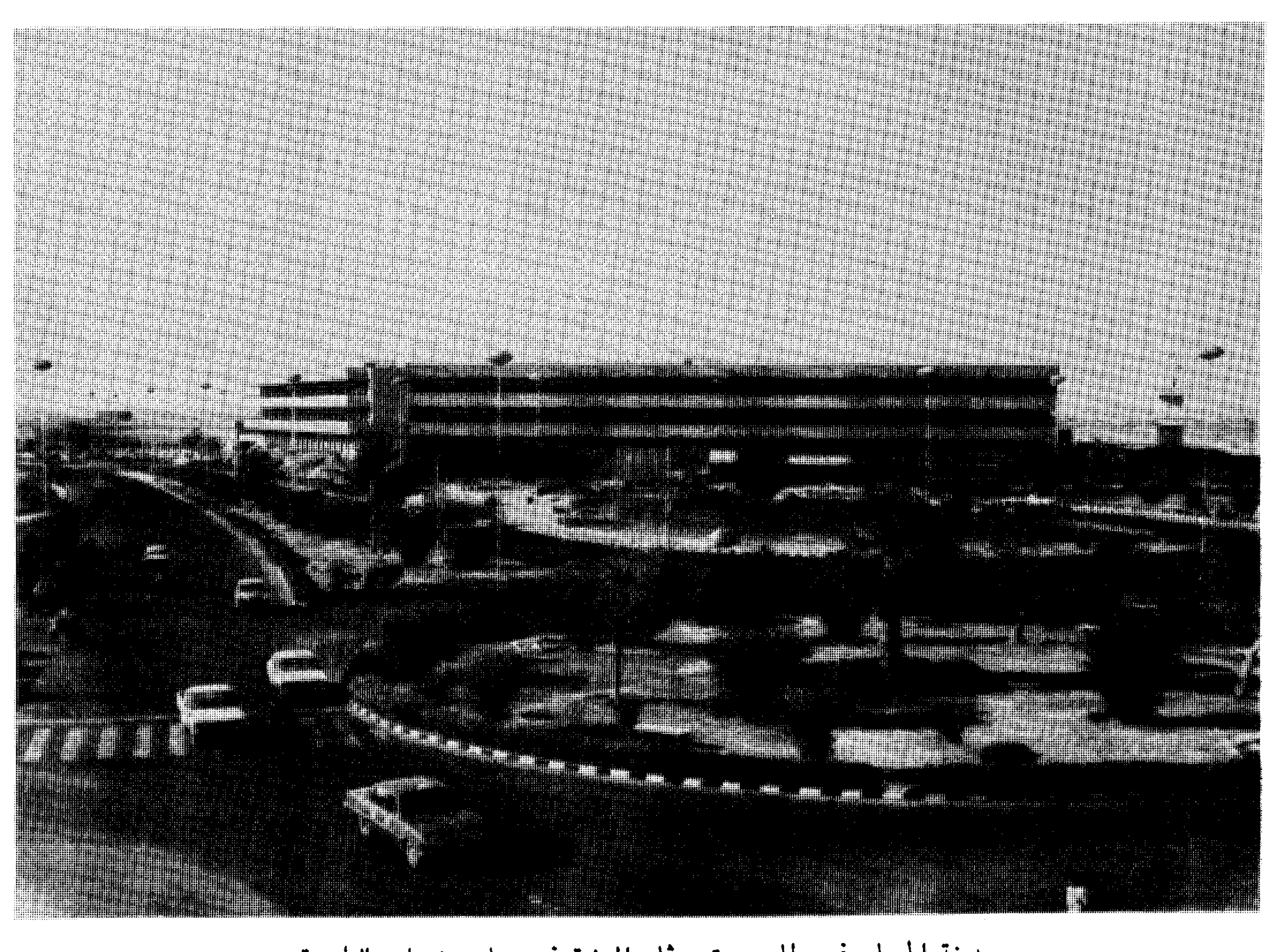
النجاح ، عاد الصراع بين الخطين السياسيين من جديد ، وبدأت البلاد تعاني ازدواجية السلطة من جديد ، وهذا ما دفع الفيصل الذي يتطلع أبداً لخدمة الوطن باذلاً له سويداءه وخالص طاقاته ، ولا يريـــد ان يحول دون المسيرة الحضارية حائل ، الى تقديم استقالته من رئاسة مجلس الوزراء ، فقبلها الملك وشكل حكومة برئاسته مع نهاية عام ١٩٥٩ م ١٣٨٠ هـ .

بيد ان فيصل ما لبث ان اضطر الى العودة للحكم ، حين انابه الملك عنه برئاسة مجلس الوزراء في جمادى الثانية عام ١٣٨١ هـ تشرين الثـاني ـ نوفمبر ١٩٦٠ م ، اثر مغادرته البلاد للاستشفاء ، غير ان الملك ما عتم ان عاد ومع عودته غدا الفيصل نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للخارجية ، ثم عاد فتسلم زمام السلطة عام ١٩٦١ م ١٣٨٣ هـ اثناء رحلة الملك الاستشفائية الثانيـــة ! ... وهكذا كانت ازدواجية السلطة تؤكد ذاتها من خلال التناقض القائم بـــين الخطين السياسيين اللذين يمثلها الملك وولي عهده .

والمسمّون بالأمير كثير   والأمير الذي به المأمولُ
ما الذي عنده تدار المنايا   كالذي عنده تدار الشمول

وكانت المملكة العربية السعودية تتمخض بأحداث هامة تشدها للخروج من العزلة التي وقعت بها ، في مرحلة هي غاية في الخطورة ، واكبت حيـاة الأمة العربية مع ما طرأ على اليمن من احداث ، نتيجة التدخل الخـارجي دعماً لفريق من اليمنيين ضد فريق آخر ، وتسعيراً لنـيران اقتتال الأخوة في الوطن الواحد .

وانتدبت هذه الأحداث فيصل بن عبد العزيز ليقول الكلمـــة الفصل ، صموداً في وجه التحديات الخطيرة التي أخذت تواجه المملكة ، وتحرك بكل ما عرف عنه من ديناميكية فعالة ، فقوّى الحرس الوطني ، وأعلن التعبئـة العامة ، لاعداد الشعب لمواجهة جميع الاحتمالات ، وأخذ يدرس أمر تطهير



مدينة الحجاج في مطار جدة : ثمار المدنية في رحاب خيرات الطبيعة .

أجهزة الدولة من القوى العاجزة او المخربة ، والمجيء بالمخلصين لخدمة الوطن ودعمه .

ومن المؤسف حقاً ان الحاشية المحيطة بالملك سعود قد تحركت من جديد ، فذرت بقرنها لتحول دون الاصلاح الفيصلي ، مقدمة مصالحها الذاتية على كرامة الشعب السعودي ، ضاربة عرض الحائط بمستقبل الدولة . لكن الأحداث الداهمة كانت اكبر من رغبات الوصوليين والنفعيين ، ونهدت الزعامات الوطنية ، وهب أصحاب الرأي ، يقفون وراء فيصل لحسم تلك الأزدواجية التي لم يعد من الممكن او الجائز ان تستمر ، واضعين نصب أعينهم مصلحة الشعب والوطن، ومستقبل العروبة والاسلام . وانجلى الموقف عن الحل المناسب في تلك المرحلة الحرجة، وهو تركيز السلطة في يد الفيصل، على أن يبقى الملك سعود قيماً على العرش .

وتحرك الأمير محمد بن عبد العزيز ، وهو المشهور بعزوفه عن السياسة والحكم ، فكان له موقفه الحكيم حين دعا علماء المملكة لدراسة واقع ازدواجية السلطة في وقت تتعرض فيه المملكة لمخاطر سياسية كبيرة، لا سيما وان صحة الملك تتردى أكثر فأكثر ، مما يجعله غير قادر على تصريف شؤون الدولة ، فأصدر العلماء في ١٦ ذي القعدة ١٣٨٢ هـ ٢٣ آذار – مارس ١٩٦٤ فتواهم التي عبرت عن المصلحة العامة في حسم تلك الازدواجية ، وقد جاء فيها :

« أولاً – ان يكون جلالة الملك سعود ملكاً على البلاد له حق الاحترام والاجلال .

ثانياً – ان يقوم سمو الأمير فيصل ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء ، بتصريف شؤون الدولة الداخلية والخارجية ، في حضور الملك وغيبته، بدون الرجوع الى الملك في ذلك » .

وكانت هذه الفتوى نقطة تحول خطيرة في حياة المملكة ، اذ أقرهـا الأمراء السعوديون ، ثم أقرها مجلس الوزراء الذي عقد في ١٧ ذي القعدة من عام ١٣٨٢ برئاسة الأمير خالد بن عبد العزيز نائب رئيس مجلس الوزراء ، واتخذ قراره القاضي بتركيز السلطات في يد ولي العهد الأمير فيصل ، وتوجه الى الشعب بهذا البيان الخطير :

« باسم الله الرحمن الرحيم
ان مجلس الوزراء ،

بوصفه صاحب السلطة التنظيمية بمقتضى المادتين التاسعة عشرة والعشرين من نظام مجلس الوزراء ، والذي يملك حق اعداد الأنظمة أو تعديلها ،

وبعد استعراض الأوضاع الراهنة وما تقضي به الضرورة من وضع حد لكل ما ينتقص من نعمة الاستقرار التي تستمتع بها البلاد ، أو يعرقل حركة الاصلاح التي تأخذ مجراها السريع .

واستناداً على الفتوى الشرعية الصادرة بتاريخ ١٦ — ١١ — ١٣٨٣ هـ ، من اثني عشر عالماً من فقهاء هذه الأمة والتي جاء فيها أنه نظراً لحالة الملك الصحية وظروفه الراهنة ، ونظراً لأن جلالته غير قادر على القيام بمهام أمور الدولة، فقد أصدروا قرارهم متمشين مع ما تقتضيه النصوص الشرعية المراعية للمصالح العامة ، بأن يقوم سمو الأمير فيصل ولي العهد بتصريف جميع شؤون الدولة الداخلية والخارجية في حضور الملك وغيبته بدون الرجوع الى الملك في ذلك .

وبعد أن اطلع المجلس على القرار الذي اتخذه أعضاء الأسرة المالكة والذي أجمع فيه رأي الحاضرين منهم على وجوب قيام صاحب السمو الملكي ولي العهد بجميع الصلاحيات التي نصت الأنظمة على أن يمارسها جلالة الملك .

وبناء على الأمر الملكي الصادر برقم ٤٢ وتاريخ ٩ شوال سنة ١٣٨١ والذي أصبح بمقتضاه صاحب السمو الملكي الأمير فيصل نائباً عن جلالة الملك في شؤون الدولة في حالة غيابه وحضوره ،

وايماناً من المجلس بالمسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتقه في هذا الظرف التاريخي الذي تمر به بلادنا العزيزة يقرر ما يأتي :

أولاً – مع بقاء صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز ملكاً للبلاد ، تناط جميع المسؤوليات والصلاحيات التنظيمية والتنفيذية والادارية والقضائية التي يتمتع بها جلالته طبقاً لأحكام الشريعة الغراء والأنظمة المرعية في البلاد ، بصاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز ولي العهد ونائب جلالة الملك ويعتبر سموه المسؤول الوحيد عن القيام بجميع تلك الصلاحيات والمسؤوليات .

ثانياً – كافة الأحكام الشرعية والنظامية التي تنيط صلاحيته بصاحب الجلالة الملك بوصفه رئيساً للدولة وقائداً أعلى للقوات المسلحة ، تعتبر بحكم هذا القرار مناطة بصاحب السمو الملكي الأمير فيصل نائب جلالة الملك ، ويعتبر هذا بمثابة تعديل للأحكام المقابلة في كافة الأنظمة وعلى وجه الخصوص المواد الثامنة عشرة والحادية عشرة والثالثة والعشرين والسابعة والثلاثين والرابعة والأربعين من نظام مجلس الوزراء .

ثالثاً – يطلب من صاحب السمو الملكي ولي العهد ونائب جلالة الملك التصديق على المرسوم الملكي المرافق لهذا القرار بوصفه نائباً للملك .

نائب رئيس مجلس الوزراء : خالد بن عبد العزيز

فيصل .. ملكاً للمملكة العربية السعودية

خطت المملكة العربية السعودية خطوتها الجريئة بعد أن حسمت واقع

ازدواجية السلطة ، ومضت لتحقيق الاصلاح ، ناشدة التحولات الجذرية التي تزيح من الطريق كل ما يعرقل المسيرة الحضارية . ووضع الفيصل دراسة جديدة لموازنة المملكة ترمي في ما ترمي الى ضغط نفقات الملك وامتيازات الحاشية وتحديد المصروفات في نطاق الواردات ، فتحرك الانتهازيون والوصوليون مرة أخرى لحمل الملك على الاعتراض والاحتجاج .

وبالطبع لم يقف رجال الاصلاح من هذا النشاط المخرب موقف اللامبالاة، وانما هب العلماء والأمراء ووقفوا وراء فيصل منادين به ملكاً على البلاد ، الا ان الرجل الكبير وقف دون هذا الرأي ، ولم يقبل البتة بخلع أخيه عن العرش ، واشترط لقبول البيعة ان يتخلى الملك عن المُلك طواعية .

الا ان العلماء والأمراء لم يستطيعوا الا الثبات على موقفهم الذي أملته المصلحة العليا ، هذه المصلحة التي تتلخص بهذه الكلمات الثلاث : « الحفاظ على الوطن » ، فجابهوا الملك بالموقف الذي تفرضه الوطنية والرجولة ، ونادوا بفيصل ملكاً على البلاد لأنه الضمانة الوحيدة لسلامة المسيرة الاصلاحية ، والاضطلاع الفعال باعباء السلطة ، والقضاء نهائياً على ازدواجية السياسة في الحكم .

والجدير بالملاحظة ان معظم هذه الأحداث كانت تتمخض داخل المملكة ، في وقت كان فيه الفيصل يحضر مؤتمر عدم الانحياز المنعقد في القاهرة .

وقد اجتمع مجلس الوزراء برئاسة الامير خالد بن عبد العزيز نائب رئيس مجلس الوزراء ، وأصدر البيان التاريخي التالي مبايعاً فيه فيصل بن عبد العزيز ملكاً للمملكة العربية السعودية :

« باسم الله الرحمن الرحيم

في الساعة الرابعة والنصف من يوم الاثنين في السابع والعشرين من شهر جمادى الثانية سنة أربع وثمانين وثلاثمائة بعـــد الألف اجتمع اعضاء مجلس الوزراء ، واطلعوا على نص الخطاب المؤرخ في ٢٢ – ٦ – ١٣٨٤ الموجه من كافة أفراد اسرة آل سعود، وأصحاب السماحة والفضيلة العلماء الذين أعلموهم فيه قرارهم بخلع سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود عن الملك ، ومبايعة ولي العهد فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملكاً للبلاد واماماً للمسلمين ، وطلبهم النظر في ذلك من الوجهـــة الشرعية واصدار الفتوى الشرعية اللازمة . وقد اطلع المجتمعون أيضاً عـلى الفتوى الشرعية الصادرة من أصحاب السماحةوالفضيلة العلماء، الذين اجتمعوا برئاسة سماحـــة الشيخ محمد بن ابراهيم رئيس القضاة ومفتي الديار السعودية المؤرخة في ٢٦–٦–١٣٨٤ هـ المستندة الى الفتوى الشرعية السابقة الصادرة بتاريخ ١٦ – ١١ – ١٣٨٣ هـ ، وبها مبررات واقعية مقنعة وقواعد شرعية وقرروا فيها :

أولاً : خلع سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل عن الملك .

ثانياً : مبايعة ولي العهد الأمير فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ملكاً شرعياً على المملكة العربية السعودية . وعليـــه في ذلك تقوى الله ، وتحكيم شريعته في جميع الشؤون ، والزام الرعية بذلك .

وقد أيد المجتمعون بالاجماع قرار اسرة آل سعود والعمل بالفتوى الشرعية الصادرة من أصحاب السماحة والفضيلة العلماء المؤرخة في ٢٦ – ٦ – ١٣٨٤ هـ وقرروا :

اولاً : مبايعة ولي العهد فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملكاً شرعياً على المملكة السعودية واماماً للمسلمين .

ثانياً : أن يطلب من حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبـد العزيز

آل سعود قبول البيعة واعلانها .

ونسأل الله ان يجعل عهد جلالته مقروناً باليمن والخير والتقدم والازدهار، وان يوفقه لخدمة شريعته واعلاء كلمته .

والله ولي التوفيق » .

وحمل العلماء والأمراء وغيرهم من ذوي الحـــل والعقد ، صك البيعة الى فيصل بن عبد العزيز ، فلم يسعه الا النزول عند تلك الرغبة الجماعية ، وقبول تحمل المسؤولية الخطيرة ، وقيادة المملكة الى شاطىء السلامـــة ، وتطبيق نهجه الإصلاحي في السياسة الداخلية وخطه الحكيم في السياسة الخـارجية ، ومتابعة مسيرته في خدمة الشعب والوطن السعوديين ، والعمل بما فيه مصلحة العرب والمسلمين أجمعين .

وأصدر الملك فيصل بن عبد العزيز بيانه التاريخي بقبول البيعة ، وقـد أذاعه بنفسه من محطة اذاعة مكة المكرمة ، وفيه حـــدد سياسة المملكة العربية السعودية ، ونهجها على الصعيدين الداخلي والخارجي ، وهـــذا هو الخطاب التاريخي والقرار الخطير :

« باسم الله الرحمن الرحيم

اخواني وأبناء وطني

نحمد الله العلي ، ونستعينه ونستغفره ، ونصلي ونسلم على نبيه محمد هادي البشرية ومنقذ الانسانية ، ونسأله تعالى لي ولـكم التوفيق والسداد .

اخواني

شاء الله جل وعلا ، ان يضع على عاتقنا في هذا اليوم مسؤولية الملك ، ونحن الذين حرصنا كل ما وسعنا من جهد أن تجري الأمور في مجراهـــا

الطبيعي ، وان لا تخرج الى الحد الذي وصلت اليه .

وحاولنا في السنوات الأخيرة أن نكف عن بلادنا وأمتنا ما قد تتعرض له من نتائج وخيمة ، غير ان العامة قد انتابها الجزع بشكل خاص ، وتتالت الأحداث التي تعرفونها ، وما نحن الآن بصدد التعرض له .

وجاء قرار اسرة آل سعود اجماعياً يلزمنا بالبيعة. ثم تبعته فتوى أصحاب السماحة والفضيلة العلماء ورؤساء المحاكم والقضاة ، ثم قرار مجلس الوزراء وأعضاء مجلس الشورى ، فلم يسعنا ، وقد ألحَّ أهل الحل والربط على وضع مسؤولية الملك في عنقنا ، الا القبول . وما كنا طوال المدة السابقة نرفض حتى مجرد التفكير في ذلك ، تهرباً من المسؤولية، وانما عزوفاً عن مظاهرها ، ورغبة صادقة في أن تجري الأمور كما أسلفنا ، في مجراها الطبيعي .

والآن وقد شاءت ارادة الله الكبير ان نقوم بهذا الواجب المقدس ، فاننا نسأل الله تعالى العون والتوفيق والسداد حتى نحقق لكم ما عقدتموه من آمال، لنصل ببلادنا العزيزة الى المستوى المنشود والهدف المرسوم . ثم أسألكم بعد ذلك فرداً فرداً من شعب هذا البلد الكريم ، أن تعينوني بكل جهدكم ، على اداء واجباتنا ، وتحقيق ما نصبو اليه ، وأول ما نطلب منكم ، تقوى الله والتمسك بتعاليم دينه ، وأحكام شريعته ، فذلك أساس عدتنا ، وهو مرد حكمنا وسر قوتنا ، ونطلب ان يضاعف كل واحد منكم جهده في حقله الذي يعمل فيه ، وان نحس جميعاً اننا في معركة بناء تتطلب صبراً وجهداً ، وستكون نتيجتها بعون الله ثمرات يانعات ننعم بها وتنعم بها من بعدنا أجيالنا القادمة .

أما موظفو الدولة وكافة أجهزة الحكومة ، فيقع عليهم عبء خاص في هذه المعركة ، قوامه مخافة الله والأمانة المطلقة والشعور بالمسؤولية .

ولسنا في حاجة الى تكرار سياستنا الاصلاحية الداخلية التي سبق ان أعلنا عنها ، والتي نسير سيراً حسناً في تنفيذها ، في حدود امكانياتنا،وبكل طاقاتنا . ولكننا نؤكد لكم اننا ، وقد منحنا الله نعمة الاستقرار،سنضاعف الجهد نحو تحقيق أهدافنا الاصلاحية في جميع مجـالاتها السياسية والادارية والاجتماعية والاقتصادية ، وسنبذل جهدنا في تدعيم الأساس الديني الذي تقوم عليه هذه الدولة التي شرفها الله وجعل فيها بيته ومسجد نبيه ، ووضعهـا بذلك في مركز سياسي خاص منذ بدء فجر الاسلام ، وانطلق مشعل الهداية وركب العروبة من أرضنا الطاهرة .

ولسنا أيضاً في حاجة الى تكرار الأساس الذي تسير عليـه سياستنا الخارجية ، فنحن منذ أسس هذه الدولة بانيها وواضع اسس نهضتها ، المغفور له الملك عبد العزيز ، قد أثبتنا في المجال الدولي ايماننا بالسلام العالمي،ورغبتنا في تدعيمه وتقويته، ونشره في ربوع العالم . وكنا ولا نزال نفعل ذلك بوحي ديننا وتقاليدنا العربية الأصيلة .

واننا نؤيد الآن في سبيل ذلك ، نزع السلاح وتجنيب البشرية مخـاطر الاسلحة الفتاكة ، وندعو الى حرية تقرير المصير لكل الشعوب ، وحـل المنازعات الدولية بالوسائل السلمية المرتكزة على الحق والعدل .

ومن أهداف سياستنا الخارجية المعروفة ، التعاون الى أقصى الحدود مع الدول العربية الشقيقة ، وتنفيذ مقررات مؤتمري القمة العربيين ، والسعي الى تحرير جميع ابناء الوطن العربي التي لا تزال تحت نير الاستعمار ، والسير مع الدول الاسلامية في كل ما يحقق للمسلمين عزتهم ، ورفعة شأنهم ، ونؤيـد ميثاق الجامعة العربية وندعمه ونسنده ، ونؤيد ميثاق هيئة الأمم المتحدة ، ومقررات مؤتمر باندونغ ودول عدم الانحياز . ونسعى بكل مـا أوتينا من قوة الى ان يسود العالم سلام عادل وحرية حقيقية وطمأنينة دائمة » .

وبايع الجيش العربي السعودي الملك فيصل ، اذ تألف وفـــد من قادته برئاسة الامير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطـيران لتقديم التهنئة ، وأقسم رئيس الأركان عبدالله المطلق باسم جميع ضباط وجنود الجيش العربي القسم التالي :

« نقسم بالله العظيم أن نكون مخلصين وموالين لحضرة صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز ، نصادق من يصادقه ، ونعادي من يعاديه ، ونكون سلماً لمن يسالمه ، وحرباً لمن يحاربه ، واننـــا نبايعه على كتاب الله وسنة رسوله ، والله خير الشاهدين » .

ورأى الملك سعود ان من الحكمة ألا يخرج على اجماع العلمـــاء والأمراء واولي الحل والربط في المملكة ، بل عن الاجماع العام ، فارسل الى جـلالة الفيصل في أول رمضان ١٣٨٤ هـ ٢ كانون الثـــاني – يناير ١٩٦٥ م كتاب البيعة هذا :

« من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، الى جناب الأخ جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز سلمه الله

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، بناء على ما أقرته الاسرة والعلماء بتنصيبكم ملكاً على البلاد ، فأنا نبايعكم على كتاب الله وسنة رسوله ملكاً للبلاد ، راجياً لكم التوفيق وللشعب السعودي الرفاهية والازدهار والتقدم والسلام » .

وقد كان لتولي فيصل بن عبد العزيز الملك ، صدى واسع داخلياً وعربياً واسلامياً ودولياً ، وعمت المملكة الاحتفالات والمهرجانات ، والكل ثغـــر باسم ، وصدر منشرح ، ونفس مطمئنـة ، وقلب يخفق بالمحبة والاحترام ، حتى لكأن الجميع ينطقون بلسان المتنبي وهو يهنىء سيف الدولة بهـــذه

القوافي الخالدة :

هنيئاً لك العيد الذي أنت عيده وعيد لمن سمّى وضحّى وعيّدا
ولا زالت الأعيادُ لُبْسَكَ بعده تسلّم مخروقاً وتعطى مجـــددا
فذا اليوم في الأيام مثلك في الورى كما كنت فيهم أوحداً كان أوحدا
هو الجَـدُّ حتى تفضل العين اختها وحتى يكون اليوم لليوم سيدا

وليس بدعاً أن تعم الفرحة البلاد ، وان تغمر الغبطة القلوب ، وان يبادر الجميع الى اعلان الولاء والتأييد ، فان هذا التأييد والولاء انمـا يوجه الى رجل الحكمة والصلاح والعلم والايمـــان ، فيصل بن عبد العزيز ، الذي أثبتت الأحداث انه سر أبيه ، واذا كانت حياة الوالد هي قصة موعـد مع الشجاعة ، فان سيرة الابن هي قصة موعد مع الكرامة والمروءة والاباء.



الفصل الثالث
اخلاقية الحكم
من خلال أخلاقية الحاكم

انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .

حديث شريف



دَوْرُ القائِدِ في المجتمَع

ان نظرة متعمقة تغوص سبراً ، من ظواهر حياة المجتمعات الى أعماقها ، مسايرة نشوء الأمم في مختلف مراحلها التاريخية ، لا بد من أن تعكس تلقائياً الدور الذي يمثله القائد في ريادة التاريخ بشكل عام ، وفي حياة مجتمعه بشكل خاص.

واذا ما التفتنا الى تاريخنا المعاصر ، ألفينا ان كل مرحلة سياسية هامة في حياة دولة ما ، ترتبط من خلال المفهوم السياسي وانعكاسه على الحياة الاجتماعية ، بحياة القائد الرائد في مجموعة الأحداث المتلاحقة ، وبمجمل تطلعات شعبه .

وقياساً على ذلك ، نرى ان العديد من دول الغرب والشرق معاً ، وبمختلف اتجاهاتها : رأسمالية أم شيوعية ، دينية أم علمانية ، راديكالية أم دكتاتورية ، تتسم بشخص قائدها ، وتتميز بنهجه ، وهكذا كان لدينا على سبيل المثال لا الحصر المانية الهتلرية ، وروسية الستالينية ، واسبانية الفرنكية ، وفرنسة الديغولية ، وتونس البورقيبية ، والباكستان التي جسدت مبادىء محمد علي جناح الخ ...

واذا كانت الأمثلة التي قدمنا تمثل مرحلة سياسية مرتبطة باسم القائد ، فانها تعني في الوقت ذاته مجموعة من الأسس السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، تدعمها مجموعة من المفاهيم والقيم والاتجاهات الفكرية ، تمثل نهجاً عقائدياً

معيناً ، من خلال شخصية القائد الفرد .

واذا ما خرجنا من نطاق الدول العظمى وأشباههـا في التاريخ السياسي المعاصر ، انتقالاً الى صعيد الدول النامية ، رأينا مـلامحها مجسمة ، توثباً وتطلعاً ، بشخصيات قادتها ، في محاولاتها الناجحة او المخفقة ، ومناهجهـا القويمة أو المنحرفة ، لتخرج من بؤرة التأخر والتخلف ، وتدرج في معارج التقدم والتطور الحضاريين ، تبعاً لسنن الحياة العامة .

مفهوم النهج الفيصلي

ونحن اذا نظرنا الى تاريخ العرب الأولين ، رأينا كيف انهم كانوا يغرقون في جاهلية متكاثفة الظلمات متطاولة العصور ، ليس من يدري كم كان يُقدَّر لهـا أن تستمر لو لم يخصهم الله برحمته بشخص رسوله الكريم الذي فجَّر طاقاتهم الكامنة ، ونظم قواهم المبعثرة المبددة على رمال الصحراء تـذهب ريحهم فيما بينهم اقتتالاً متواصلاً على نتيجة سباق بين فرسين ،ليزحم بهم بعد ذلك صدر التاريخ ، بل يدخل بهم محرابه من أوسع أبوابـه ، في مجتمع متماسك لا فرق فيه بين كبير وصغير ، يجسده هذا الشعار الذي هيهـات أن يكون ثمة أمثل منه أو أفضل : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثـل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » .

وهل من يجادل في ان عرب الجزيرة وأعرابها المبعثرين في متنائي بطاحها ومتباعد سهولها ، لم يكونوا في التاريخ المعاصر شيئاً مذكوراً ، لولا شخصية عبد العزيز الفذة وكفاحه الملحمي ، ذلك الكفاح الذي تندمج فيه شخصية الفيصل بشخصية عبد العزيز ، دون ان تفقد تلك الشخصية صفاتها المميزة

وسماتها المعبرة عن ذاتيتها بل عن استقلاليتها التي من أولى سماتها اكمال النهج العزيزي وتطويره وتعميقه ، داخلياً وعربياً وعالمياً ، سيفاً ويراعاً ، سياسة وادارة ، درساً للواقع العربي السعودي من خـــلال مسيرته الاصلاحية الكبرى .

وتتميز هذه المسيرة الاصلاحية أول ما تتميز ، بالنظرة الصادقـــة الى المصلحة العامة ، وتقديمها على كل مصلحة خاصة ، كائناً من كان الفرد الذي يقف وراءها . ومن هذه الزاوية فقط نستطيع أن ندرك ذلك الموقف الجريء والنبيل الذي وقفه الامراء والعلماء من أهـــل الحل والعقد ، لمبايعة الفيصل ملكاً وإماماً ، لإكمال المسيرة التاريخية التي بدأها عبد العزيز ، لأنه الضمانة الأكيدة لوقوف العربية السعودية في وجه العاديات التي هبت عليها ، ومـــا وراء تلك العاديات من تيارات سياسية ومؤامرات دولية . وهل يمكن للقائد الا أن يفرض وجوده — شاء أم أبى — في ساعات الشدائد ؟

وهكذا يمكننا القول بكل ثقة واطمئنان بأن المملكة العربية السعودية ترتبط في تاريخها السياسي المعاصر بالنهج الفيصلي للحكم على جميع المستويات ، ولاسيا باقرار تلك الواقعية المتفقة ومعطيات الدين الاسلامي كشريعة حياة ونظام للحكم ، لتتم كلمة الله بآيته الكريمة : « وقل جاء الحق وزهق الباطل، ان الباطل كان زهوقاً » في هذا العصر الذي ارتفعت فيه للباطل في أكثر من بقعة من بقاع المعمورة أعلام ورايات ! ..

وصفوة القول ان في وسعنا الحكم ، تكثيفاً لأكثر من معطى من معطيات الحياة ، بأن النهج الفيصلي هو الأخـلاقية السياسية والاجتماعية والدينية التي يتمسك بها المجتمع السعودي صفاً مرصوصاً وراء قائده ورائـده ، بعيداً عن الدكتاتورية والغوغائية ، وبمنأى عن كل نزعة من نزعات العسف والاضطهاد ، عيشاً في رحاب الاخلاقية العربية ، بكل مـــا تعنيه من ديمقراطية سليمة وأخلاق رفيعة وتمسك بأهداب الدين الحنيف .

النهج الفيصلي اتجاه جماعي في الحكم

والجدير بالملاحظة ان النهج الفيصلي ، منعكساً على واقع المجتمع العربي السعودي ، يرفض مطلق الرفض مبدأ الفردية في الحكم ، او الاوتوقراطية السياسية ، او العبادة الذاتية للحاكم ، وذلك لأن ذلك النهج انما يصدر عن التمسك بالروحية الاسلامية والديمقراطية العربية ، تلك الديمقراطية التي هي الفطرة والسجية التي تتميز بها الشخصية العربية الأصيلة .

إذن ، فالفيصل هو الوجه الديمقراطي للمملكة العربية السعودية ، لا لأنه الملك او الإمام او الديمقراطي الوحيد ، بل لأنه يمثل خطاً عاماً لنهج حياتي متكامل ، متعاون مع كل القوى الديمقراطية في المملكة . والقائد الديمقراطي لا يلغي البتة دور المسؤولين والمواطنين ، بل ينتصب على دفة القيادة رباناً حكيماً ، وقدوة مثالية تنهل من منابع الشريعة السمحاء في الحكم ، التي تتجسد على أفضل وجه في قوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم »، وفي ذلك الشعار الذي أرسله النبي العربي الكريم تعبيراً عالقاً بذهن الخلود عن الروح الديمقراطية العربية : « كلكم راع ، وكل راع مسؤول عن رعيته » .

ومن هذا المنطلق بالذات كان ذلك الاشعاع لشخصية فيصل ، وانعكاسه محبة واحتراماً على جميع المستويات الداخلية والخارجية ، مما أجمله فأحسن ، واجاد الاستاذ حجيلان بقوله :

« لقد استقطب العهد الفيصلي ، منذ طلوع فجره ، قدراً كبيراً من الاهتمام العالمي الذي يستقي مما للفيصل العظيم ، أميراً وولياً للعهد ونائباً للملك ورئيساً للوزراء ، ثم ملكاً ، في مقام عالمي مرموق تدعمه الانجازات الاصلاحية التي اقترنت باسمه في البلاد السعودية، وتعززه شهرته كرجل سلام،

وكحاكم حريص على قيم العدالة الانسانية ، وكرجل دولة جعل الوفاق رائده والحلم رفيقه والعدل دليله ، فلا عجب ان تمتع بهـذا التقدير الرفيع ، ولا عجب اذا بعث هذا التقدير ثقة عالمية به ، تنطق بها شهادات الصحافة العالمية » .

الوجهُ الديمقراطي للفيصل وانعكاسُه على الحكم

كان من الطبيعي ان تتمثل اخلاقية الفيصل في جوهر النظام السعودي ، لأن أول ما يسترعي الانتباه في بنيان هذا النظام ، تلك العلاقة ما بين الحاكم والمواطنين . فالفيصل هو قبل كل شيء ابن الشعب السعودي البار ، والأخ الكبير لابناء الوطن ، والأب الرحيم لجيل الشباب بناة المستقبل ، وهو ساهر أبداً على مصالح شعبه ، قريب من كل قلب ، سجيته البساطة ، وطبعه التواضع ، حتى لكأنما نفذت الى هيكله الناحل ، عبر الأجيال ، روح الخلفاء الأعلام من بناة الاسلام ، سيرة وقيادة .

ويقول الدكتور منير العجلاني في ذلك : « ديمقراطية الفيصل أصيلة ، طبيعية ، لا تصنع فيها ولا تكلف ، وهي تذكرنا بتواضع الخلفاء الراشدين وبساطتهم في خاصة نفوسهم وفي صلاتهم مع الناس ، فأخلاق الفيصل هي أخلاق الائمة لا أخلاق الملوك ، أخلاق الأصفياء الذين برّأهم الله من الكبر ، لأن الكبر من صفات الرجل التافه الذي يجد في الاستعلاء على الناس غذاء لعقدته النفسية او ما يسمونه مركب النقص » .

وقد أصاب الاستاذ أحمد الشيباني كبد الحقيقة ، في ما تعرض له من ديمقراطية الحكم السعودي ، وما انطوت عليه من ممارسة فعلية للفضائل العربية التي تتجلى بالنخوة والشهامة والتسامح والتواضع ، رغم ما يحيط بها

من عالم غارق في خضم المادية ، وذلك بقوله :

« والحق ان في السعودية نكهة ، كل نكهة اخلاقية ذاك النظام الذي عرفه العرب في عهود الخلفاء الراشدين ، تلك الأخلاقية التي تمارس الخير فقط ، لأنها عاجزة عن ممارسة الشر والمبادرة بالعدوان ، لكنها مع ذلك الأخلاقية المقدامة الشجاعة في اعتناق الحق والذود عن حياضه ، ولهذا السبب لا يستطيع انسان صادق مع نفسه وأمين مع الناس الا ان يشعر بالاحترام ازاء الأخلاقية التي تحكم السعودية وتوجه خطواتها » .

ولا عجب في ذلك ، لأن خلفية الأخلاقية العربية للفيصل المجسمة بأخلاقية الحكم ، هي تلك المثل الاسلامية الرفيعة النابعة من مبدأ : « انما المؤمنون أخوة » ، ولذا يعلنها العاهل الكبير كلمة صريحة كل الصراحة ، لا لبس فيها ولا ابهام :

« ليس عندنا ولله الحمد فرق بين رئيس ومرؤوس ، والرجل في الشارع واكبر رأس في البلاد ، أمام الحق سواء » .

ويعلن الفيصل عن سجيته التي لا يرى الشعب أصفى منها ولا أنقى ، بتلك الكلمة البسيطة بساطة الحقائق الأولية لديه :

« لست الا فرداً من أفرادكم ، لا أقول هذا مجاملة لكم ولكنه الحقيقة . واذا كنت قد وفقت في بعض الأعمال ، كما تذكرون ، فمردّ ذلك الى ثقتكم ومعونتكم ودفعكم لي الى الأمام ، في كل خطوة أخطوها » .

ومن خلال تلك العلاقة الحميمة ما بين الحاكم والمواطنين ، وهب الفيصل ذاته لشعبه يعيش قضاياه وآماله ومطامحه ، يكره أشد الكره الألقاب التعظيمية التي تدير رؤوس الآخرين التماساً للعظمة الجوفاء ، لأن الرجل الكبير لا يرى العظمة الا في العمل العظيم ، وهو يردد أبداً على مسامع

مريديه : « أرجو أن تعتبروني خادماً للمسلمين ، وهـذا شرف عظيم لي » ، ويزيد هذه الفكرة ايضاحاً بقوله في احدى خطبه :

« تكرر على سمعي لفظ صاحب الجلالة ، والجـالس على العرش ، واني أرجو منكم أن تعتبروني أخا وخادماً ... ان الجلالة لله سبحانـه وتعالى ، وان العرش هو عرش رب السموات والأرض ، وان هذه الصفات دخيلة علينا في ديننا ولغتنا » .

ومن هنا كان من النادر جداً ان نسمع تعبير «جلالة الملك » او « صاحب الجلالة » ، وغالباً ما ينادي باللقب المحبب لدى السعوديين : « يا طويـل العمر » أو بكنيته « أبو عبدالله » ، ومن مواطنيه من يناديه باسمـه المجرد : « يا فيصل » .

سرّ العظمة في شخصيّة فيصَل

وعلى خلاف عادات الملوك طراً ، يرفض الفيصل تقليد تقبيل الأيـدي ، ويكره ان يقبّل أي مواطن يد أية شخصية مهما ارتفعت في السلم الاجتماعي ، لانه يرى كرامته في كرامة الشعب ، ولأن الحاكم الكريم هو من يقود شعبه في مناهج الكرامة ، بل هو الصورة المثلى لذلك الشعب ، وكما تكونوا يولّ عليكم ! واذن ، فالفيصل وجه قومه ، وحاشا لذلك الوجه أن يرضى المذلة لنفسه أو لقومه ، وبالتـالي فهو لا يبغي الا خالص الكرامة لقومه ، وقد قال :

« انني شخصياً لا أقبل يدي أحد وأرى هذا مني ذلة ، ولذلك أحب أن يكون كل الناس مثلي ، وأن يربأوا بأنفسهم عن تقبيل أيـدي الأمراء

والحكام ، وأحب أن تفهموا الشعب هذا ، وتطلبوا من الناس أن يتعودوا على هذا » .

ولهذا فان أي مواطن سعودي لا يقابل الفيصل الا مصافحاً أو مقبلاً له من أنفه ، دلالة على رابطة القربى ما بين الحاكم والمواطن ، ويتسامى المواطن بتقبيل انف إمامه رمز الشمم والأنفة العربيين ، كما قال كعب بن زهير بصحابة رسول الله :

شمُ العرانين أبطال ، لبوسهم من نسج داوود في الهيجا سرابيلُ

لكل ذلك ، كمن سر العظمة في شخصية الفيصل بذلك التلاحم الروحي ما بينه وبين مواطنيه ، يقودهم قيادة الأب الرحيم ، والأخ الشفيق ، بجم تواضعه ، وبعده عن الغرور ، واحتقاره التكبر الفارغ والزهو الأجوف .

وليس من ريب في ان السيرة الفيصلية تذكرنا بسيرة الخليفة الراشدي الثاني ، الذي ربّى الرعية على الجرأة الادبية ، بل سن لهم نهج الجرأة على راعيها اذا رأت فيه اعوجاجاً وانحرافاً عن صراط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والذي كان يحمد الله إن تجرأ عليه أي مواطن بالحق ، مما نلقى ظلاله في السيرة الفيصلية التي من أبعادها قوله :

« أقسم بالله إن ابرك ساعة عندي هي الساعة التي يأتيني فيها أحد الناس ويقول : أنت مخطىء ومقصر . وليس قصدي التزلف بهذه العبارة ، فأنا لا أخاف أحداً ولا أرجو غير الله . ليس من الامانة في شيء أن تروا فيّ قصوراً ولا تصارحوني به . انا منكم ، ان قصّرت فعليكم ، وان احسنت فلكم .

أظهروا لي الحقيقة ناصعة ، واضربوا بالحق وجه كل من يخالفه . ما ضرنا الا اننا نرى المسيء ونطريه ونقول له : انت محسن ، ونرى الخائن

ونقول له : انت أمين ، ونرى السارق ونقول له : أنت نزيه » .

وليس من المستبعد ان يخيل لبعض المشككين ، ان هذا كلام يلقى على عواهنه للاستهلاك المحلي كما يقال بلغة السياسة ، لا سيما وان بعض الزعماء ممن ينتسبون للعرب أشطر الناس بادارة الطواحين الكلامية ، بحديثهم عن الحرية والديمقراطية فيما هم آخذون بخناق الشعب اذلالاً وارهاقاً ، بالظلم المـذل ، والجور القاتل للرجولة ، حتى لم يبق في ديارهم من العربية سوى حروفهـا الهجائية ! . . .

نعم ، قد يتبادر ذلك لذهن مشكك بتساؤل مريب ومغرض ، وقـد أجاب عليه حكيم الجاهلية زهير بن أبي سلمى ، بقوله :

ومهما يكن عند امرىء من خليقة   وان خالها تخفى على الناس تُعلم

مجلس الفيصل ظاهرة ديمقراطية مثلى

ان النهج الفيصلي ان تحلى بشيء ، فأول ما يتحلى به التمسك بالصدق ، وقول الحقيقة في كل مقام ، والتنزه عن الكذب والخديعة والزلفى ، ممـا يتنافى وأخلاق العرب ، ويجافي التعاليم الاسلامية . ويقول الفيصل في هـذا الصدد :

« ان اكثر ما أكرهه هو الكذب الذي كرهـه الله ورسوله ، واني لأكره ان اسمعه ولو من أحقر الناس ، فحاشا الله أن أرضاه لنفسي !... »

ومن هنا كانت الجرأة الأدبية ، الطبيعة المخالطة مخـالطة الروح الجسم الانساني الحي ، لدى كل مواطن سعودي ، كبيراً كان أم صغيراً ، يقبل على مجلس الملك، يناقشه أو يعرض عليه شكواه، بكل حب واحترام متبادلين ،

ولا يبعد أن يصيح أحدهم ، كما روى الاستاذ أحمد الشيباني : « لقد ظلمتني يا فيصل ! .. وهنا ترى وجـــه الملك يربّد فجأة ، فتتوقع أن يأمر فوراً بالقبض على ذاك الشاكي ، ولكن سرعان ما ترى ان الاربداد يتحول بأمواج غضبه لا ليكتسح الشاكي من ظلم فيصل ، بل ليفتش عن الموظف المسؤول عن انطاق الشاكي بذلك الاتهام ، إذ تسمع فيصل يسأل بلهجة الملهوف : من الذي ظلمك ؟ هيا قصّ عليّ أمرك وفصله تفصيلاً .. »

ويعمل الفيصل فوراً على ازالة الظلامة إن وجـــدت ، ليخرج المتظلم من مجلس مليكه وقد افعمت نفسه حبوراً وامتلأت سروراً ، ناعماً بفيء العدالة ، ورحابة صدر الحاكم الذي يزيد من عزة الملك بعزة المواطن وكرامتـــه والنهوض بمعنوياته ، تحطيماً لقيوده المادية والمعنوية ، ودفعاً له في طريق الحرية الحقة وممارسة حقوقه كاملة .

ويمكن القول انه ليس في عالم السياسة اليوم من كلمة فضفاضة يتغزل بها الحكام ، وسكينهم في رقاب شعبهم ، مثل كلمة الديمقراطية ، فكيف نرى التفسير العملي لدى الفيصل لهذه الكلمة المقدسة ؟

ان الجواب العملي لتلك الكلمة يعطي ذاته بذاته كالنور النافـــذ في يوم صحراوي ، في ذلك المجلس الذي يعقده الراعي الصالح لأفراد رعيتـــه كل يوم ، والذي يؤكد من خلال هذه الظاهرة الاجتماعية الفذة ، ظاهرة سقوط الحواجز بين الراعي والرعية ، والحاكم والشعب ، وبالتالي قيام تلك الوشيجة الحية المستمرة بين الفريقين الذين يكادان ان يصبحا فريقاً واحداً .

وليس من ريب في ان ما ندعوها اليوم ظاهرة ، انما هي عـــادة عربية أصيلة ، تأثر بها فيصل نهج عبد العزيز ، ومارسها عبد العزيز من خلال فهمه الروح الاسلامية الصافية ، وبالتالي من خلال بعثه تقاليد الحكم الراشدي الذي هو منارة العروبة والاسلام معاً .



من أخلاقية الحاكم بناء نفوس المواطنين على البر والتقوى . . . ريحانـــة
يعربية تتفتح عيناها على آيات النور والهداية .

ومجلس الملك فيصل اليومي صورة حية عن الديمقراطية الشعبية للحكم العربي السعودي ، وقد أخذ بهذه السنة منذ ان كان حاكماً على الحجاز ، لا يحول دون بابه حائل ، بذلك الاتصال اليومي الدؤوب مع شعبه ، يسمع من شكاواه ، ويحل من مشاكله .

ويشرع الملك ابوابه بعد أن يؤدي صلاة المغرب ، للوافدين الذين يتقاطرون اليه من كافة أرجاء المملكة ، وبينهم الضيوف الأجانب ، فيباسطهم حديث الأب الحاني والأخ الرفيق والصديق الحادب ، ويفتتح المجلس على اسم الله ، والابتسامة المشرقة ، والقلب الخافق بحب الرعية ، وتكون المناقشة الهادئة ، والحوار الأبوي – البنوي ، في تحليل سليم واقناع بالحجة ، ويقوم العدد الكبير من الحاضرين بتسليم عرائضهم للملك يداً بيد ، فيعطيها الملك لرئيس ديوانه الذي يلخصها ويعيدها اليه ، فينظر فيها ويؤشر على كل منها بما يرضي العدل والضمير .

المظهر العدل في رعيته والمعتدي حلمه على نزقه

وجدير بالملاحظة ان الملك الذي شرع أبوابه أمام كل طارق، آناء الليل وأطراف النهار ، كان القدوة المثلى لكل الأمراء والموظفين في المملكة ، فلكل منهم مجلسه العام يستقبل فيه الزائرين ويتلقى شكاوى المواطنين . وهذا ما جعل العدالة تأخذ مجراها الطبيعي ، بالتنفيذ لا بالقول ، وبالمحبة لا بالاكراه ، وباللين لا بالعنف ، درجاً في رحاب الديمقراطية السليمة التي شرعها الاسلام للمسلمين عامة ، وأقامها على قاعدة : كلكم مسؤول ، وكل راع مسؤول عن رعيته .

وهكذا تحل مشكلات المواطنين اذا ما اعترضت قضاياهم في وزارات الدولة ودوائرها المختلفة بعض العقبات ، او تعرضوا لأي تهاون في حقوقهم او تجاوز عليها . وبالتالي فان ظهور أي تقصير في حق أي فرد من ابناء

الشعب السعودي ، قد يقود المسؤول عنه الى الوقوف وقفة غير مسرة أمام الملك العادل ، الذي عرف كيف يبصّر المواطن العادي بحقوقه الى جانب تعرفه على واجباته .

بعض الملامح من شخصية الفيصل

وتتسم حياة الفيصل بمجموعها بالنضال البطولي في سبيل المصلحة العليا المملكة التي وهبها كل ذاته ، وما زالت سيرته حلقات متصلة في خدمة قضايا الوطن والمواطنين على حد سواء ، وحياته اليومية مكرسة بكاملها لحل مشكلات الدولة ، وتصريف شؤونها ، والسهر على المصلحة العامة .

وهو يبدأ حياته اليومية مع الهزيع الأخير من الليل ، فيتلو ما تيسر من آي الذكر الحكيم ، وبعد ان يؤدي صلاة الصبح ، يعود الى مكتبه الخاص لدراسة شؤون الدولة وتصريفها ، وعند الضحى تكون نقلته الى مكتبه في قصر الحكم لتدارس القضايا الهامة مع المسؤولين ، وليقابل عدداً من الزوار ، سعوديين أو عرباً أو أجانب ، ولا يقوم من جلسته تلك الا ليؤدي صلاة الظهر ، وغالباً ما يكون غداؤه مع زائريه ، ثم يعود لمتابعة شؤون الدولة حتى صلاة المغرب ، وينتقل بعد ذلك الى المجلس السابق الذكر لدراسة ما يعرض عليه المواطنون من شكاوى يقدم لها الحلول .

تلك هي سيرة الفيصل اليومية : عمل مستمر ، ونضال دؤوب ، ودرس لكل قضية ، واستماع لكل شكوى ، ونصب عينيه أبداً العمل لبناء دولة متطورة اجتماعياً ، متقدمة حضارياً ، روحها الاسلام ، وكنهها العروبة ، ووجهها الوعي العلمي والتفتح لروح العصر .

وتلك هي الأخلاق العربية مجسدة بالحاكم ، منعكسة على الحكم: اخلاقية التمسك بالدين ، وخوف الله بالرعية ، واعلاء شأن الأمة .

والأخلاق العربية رائدها أبداً الشرف والأمانة والوفاء بالعهد ، وذلك يشكل سفراً مشرقاً من حياة الفيصل .

وحسب الفيصل من وقفة شرف أشرق لها وجه المملكة والعرب والاسلام جميعاً ، ما سجله عام ١٩٥٦ إثر العدوان الثلاثي على مصر ، ووقوفه الى جانب القطر الشقيق في محنته ، ووضع البترول السعودي في الميزان ، وهو يطلق تلك الكلمة الصريحة التي لا لبس فيها ولا ابهام ، حفاظاً على الكرامة العربية ، وذوداً عن حياض العروبة :

« لقد كنا نعيش تحت الخيام ، ونستطيع أن نعود اليها . . فلئن نخسر المال خير من أن نخسر الشرف » .

وهل يمكن للتاريخ العربي ان ينسى وقفة الفيصل من قضية التجاء الزعيم العراقي رشيد عالي الكيلاني الى المملكة العربية السعودية، ومطالبة البريطانيين به لمحاكمته كمجرم حرب ، وكيف رد الفيصل على تهديد البريطانيين وكان وقتذاك وزيراً للخارجية :

« اعلموا ان رشيد عالي الكيلاني هو عندنا لاجىء سياسي ، وقد قبلنا التجاءه وارتبط بذلك شرفنا ، فلن نسلمه قط ، ومن أراد أن ينتزعه من بيننا فسوف يجدنا أمامه ، ولن يخلص اليه الا على جثثنا نحن آل سعود قبل كل الناس ! أما اذا كنتم تريدون رجلاً تجعلونه الضحية أو الفداء ، فخذوا أيّ واحد منا ، وأنا في المقدمة ، ونفذوا فيه أقصى عقوباتكم ، لأنه لم ينفذ أمركم بتسليم المستجير بحماه ! .. » .

ومن المآثر الكبرى في حياة الفيصل الذي عـاش الاسلام جوهراً حياً ، والديمقراطية واقعاً عملياً ، والمساواة مسلّمة أولية بالفعل لا بالقول ، والعدل نبراساً يضيء بسلوكه ليغمر بنوره المواطنين كل المواطنين ، في أخلاقية مثلى، ومناقبية فضلى ، تلك الوقفة التاريخية ، بل المأثرة المنقوشة في صدر الزمن ، من معضلة الرقيق في المملكة العربية السعودية ، واصـداره صك تحريرهم في السادس من شهر تشرين الثاني – نوفمبر سنة ١٩٦٢ ، يوم كان ولياً للعهـد ورئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية .

وكانت الدولة السعودية قد عملت منذ تأسيسها على معالجة مشكلة الرق بالوسائل التدريجية ، فمنعت أول الأمر استيراد الرقيق وفرضت العقوبات على ذلك ، ثم منعت بيعه أو شراءه ، الا ان قرار فيصل بن عبـد العزيز وضع حداً نهائياً لهذه المشكلة التي قال حافظ وهبة ان محاولة حلها قد تؤدي الى ثورة .

وقد ساعد على انهاء المشكلة المستعصية ، ان الحكومة وعـدت في بيانها المشار اليه ، بالتعويض على من يثبت استحقاقه للتعويض من جراء هـذا القرار . وبادرت الحكومـة إثر ذلك الى احصاء الأرقاء ومنحهم الجنسية السعودية وحقوق المواطنين السعوديين ، وبلغ ما دفعته للتعويض على أصحاب الرقيق ٦٠ مليون ريال ، بينما عمـد بعضهم الى تحرير الأرقاء الذين يملكونهم بدافع ديني وانساني .

وترددت أصداء هذا الصنيع في المحافل الدولية ، وذهبت بعض صحف الغرب الى قرن اسم الفيصل باسم الرئيس الاميركي ابراهـام لنكولن محرر العبيد في الولايات المتحدة الأميركية ، الذي خاض من أجل هدفـه نضالاً عسيراً على العديد من الأصعدة ومنها الصعيد العسكري ، على حـين كفت الكلمة الطيبة على بعث الشعور الديني والانساني في قلب المواطن السعودي ،

ومن تلكأ أو تردد عوّض المال عليه ، وهكذا تم تحرير الرقيق من حساب الدولة التي عرفت للانسان كرامته ، فمنحته اياها ، لأن نفوس المؤمنين ملك لله وحده . وليس بدعاً بعد ذلك أن يفدي كل سعودي البطل المحرر بنفسه، لأن ذاك الفداء للوطن وللعروبة وللاسلام .

ان حياة الفيصل قد ترجمت ذاتها بذاتها ، ودللت على انه رجل السياسة الرفيعة ، والحنكة الفطرية السامية ، من خلال مواقفه ولقاءاته مع قادة الشرق والغرب ، واثره في التاريخ العربي والاسلامي . وأقل حصيلة تلك المواقف واللقاءات الانفتاح على العالم الخارجي ودخول المعترك الحضاري ، والتطلع الى تطوير الحياة الاقتصادية والعمرانية ، دون تفريط بالقيم العربية والمثل الاسلامية ، او اندفاع وراء المظاهر الخادعة من الحضارة الأوربية بجوانبها المادية .

تلك بعض مزايا الشخصية الفيصلية المتعددة الجوانب : حنكة سياسية في شخصية قيادية فذة ، ورجل حرب في ادارة حكيمة وشجاعة نادرة طاقتها التحرك السريع والحسم الحازم تمدها فضيلة الأناة والتروي والصبر. وكل تلك السجايا صفات موروثة عن أبيه العظيم الملك عبد العزيز ، فهو أفضل ابن لخير أب ، تتكامل في سيرته الذاتية بنهجها القويم مدرسة الأخلاق العربية في موعدها مع الكرامة والاباء :

اذا الدولة استكفت به في ملمة كفاها فكان السيف والكف والقلبا

الفصل الرابع

مواقف الفيصل الفكرية

ان الله قـــد أعزكم بالاسلام ، فمهما
تطلبوا العز من غيره أذلكم الله .

عمر بن الخطاب



تمهيد

لا بد لكل من يتعرض لدراسة السيرة الفيصلية ، بتأمل وانصاف ، من ان يخطر له شطر من بيت لشاعر عربي كبير قاله في رجـــل عظيم :

هو البحر من أيّ النواحي أتيته ! . .

ونحن في ما قدمنا من صفحات سابقة ، مستشرفين هذه السيرة الكريمة ، لم نزد على وقفة العاجل على بعض شطآن هذا اليم الخضم ، عرضاً لحيـــاته وأخلاقه وشخصيته كانسان وكرجل حكم ، مما يستتبع بالضرورة انتقالنا الى شاطىء آخر ، استطلاعاً لمواقفه الفكرية من بعض القضايا السياسية الخطيرة ، تجاه التيارات المعاصرة والمتصلة بواقع بعض الأنظمـة كالصهيونية والشيوعية والمفاهيم الثورية .

وبدهي أن يكون لمواقف الملك فيصل الفكرية الأثر العميـــق على نهج السياسة العربية السعودية ، لكون الفكرة أصلاً انعكاساً للواقع ، والمجسد له في التطبيق العملي .

والمملكة العربية السعودية التي تستند بحكمها على أسس الشريعة الإسلامية لا بد ان تكون مواقفهـــا من مجمل التيارات الفكرية والسياسية المعاصرة ، تتطابق كلياً وموقف الفكر الاسلامي الخالص ، والوجدان العربي المحض ، من هـــذه التيارات بالذات ، دفعاً لسفين الحكم في أقوم سبيل نشداناً للشاطىء الأمين .

الإسلام أولاً

ان من أول المواقف التي يطرحها الفكر الفيصلي ، التمسك العقائدي بالدين الاسلامي الحنيف ، وتبنيه فكراً وايماناً ، نهجاً وتطبيقاً ، بآفاقه الروحية ومعطياته الحياتية . فالإسلام هو الأصل ، وكل ما عداه فروع . وبتعبير آخر : انها مواقف يحددها الفكر الإسلامي من القضايا والاتجاهات السياسية المعاصرة .

ومن هذا المنطلق بالذات ، أرسى عبد العزيز دولته ، وأكمل الفيصل صرحها الشامخ ، ويُوضح ذلك بقول الملك فيصل بصراحة لا لبس فيها أو ابهام :

« كل ما لا يوافق الشريعة الإسلامية فهو رديء ، ولا قضاء غير الشرع ، ولا نوافق على نظام لا يفهم له أساس من ديننا الذي استوعب كل ما في الحياة . ان شريعة الإسلام كفيلة لكل مصلحة » .

ومن هنا كانت التجربة الفيصلية في بناء الدولة ، الريادة السياسية التي يمليها الإسلام ، والدفاع عن مواقفه الفكرية ، فهو يعمل على تحقيق التطبيق العملي للنهج الفكري الذي حدده لسياسة دولته :

« سنبذل كل جهدنا في تدعيم الأساس الديني الذي تقوم عليه هذه الدولة ».

والتجربة الفيصلية بكل أبعادها السياسية ، داخلياً وخارجياً ، انما تستقي من هذا النبع الصافي ، وترسي على قواعده صرح الدولة الباذخ .

« اننا في جميع أعمالنا لا نستلهم سوى ديننا ، ولا نتوجه الا بتوصيات الشرائع المنزلة » .

« سياستنا أولاً وقبل كل شيء ، هي تحكيم كتاب الله وسنة رسوله ،



الفيصل حامل رسالة وقائد مسيرة .

واستنباط ما يصلح لأمورنا ، وما يصلح لشؤوننا ، على ان لا نخرج عما في كتاب الله وسنة رسوله » .

ومن هنا كان ذلك العهد المقطوع من المملكة العربية السعودية ، حكومة وشعباً ، قائداً ومواطنين ، والمتمثل بالتمسك بالإسلام ، والابتعاد عن كل مواقع الزلل التي يؤدي اليها نبذ الرسالة التي جاءت هدى للعالمين ، قال الفيصل :

« اننا في هذا البلد قد عاهدنا الله على انفسنا بأن نكون بحول الله وقوته، خداماً لشريعة الله ، داعين الى الله ، متعاونين مع كل اخواننا المسلمين في أقطار الأرض لنصرة هذا الدين » .

على ان الملك فيصل ينبه الى قضية غاية في الخطورة، هي ان تبني المواقف الصائبة ، لا يمكن ان يتم على الوجه الأمثل ، الا بمعرفة الشريعة الإسلامية معرفة صحيحة واعية، ليكون المرء على فهم سليم لها غير متزمت ولا متحلل، ويظل على اتصال مباشر بذلك النبع الدافق من القيم والفضائل ، يقول جلالته :

« اننا في حاجة كبرى الى التفقه في ديننا ، والى التعمق في أصول شريعتنا ، لنعلم المزايا التي تحتوي عليها هذه الشريعة المطهَّرة . فحينما نتعلم ونتفقه في ديننا وشريعتنا نعلم ويتبين لنا اننا الحائزون على كل فضيلة ، وعلى كل شرف ، وان شريعتنا هي المحققة للعدالة وللحرية والمساواة ، وللمحبة وللأخوة » .

ومن هذا المنطلق كان موقف السعودية الذي لا محيد عنه تجاه جميع العقائد المستوردة والتيارات الدخيلة التي لا هدف لها سوى محاربة العقيدة الاسلامية والقيم الأخلاقية ، ولذا قال الملك فيصل الكلمة الفصل :

« نحن لا نريد الا الإسلام ، نحن لا نؤمن باشتراكية ، ولا نؤمن بشيوعية

ولا نؤمن بأي مذهب خلاف شريعة الإسلام » .

قال الرسول العربي : « ان مَثَل مـا بعثني به الله من الهـدى والعلم ، كمثَلَ غيث أصاب أرضاً ، فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب منهـا أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً ، فذلك مَثَل من فقه في دين الله تعالى ونفعه ما بعثني الله تعالى به فعلم وعلّم ، ومَثَل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » .

ونحن لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان أرض المملكة العربية السعودية اليوم ، هي الأرض التي جادها غيث الهـدى ، فكانت خير أرض ، تشرباً أنبت الثمرات ، وامساكاً يروي ظمأ المؤمنين من أصقاع المعمورة . وليس موقف الفيصل ممن يؤمنون بأفواههم، الا موقف سيف الدولة من بعض حكام زمانه الذين قال فيهم سيد الكلمة الشعرية :

وسوى الروم خلف ظهرك روم فعلى أيّ جانبيك تميل ؟ ! . .

لكن ذلك لن يمنعـه من أن ينهض بواجبه ، وان يبذل في سبيل هـذا الواجب كل ما يملك من نفس ونفيس ، لأنه صاحب قضية لا دعيّ مسألة ، وحاملُ مَثَل جرى منه مجرى الروح في الجسد ، فكان منه القلب والفكر، ينهض به عملياً ويبشر به نظرياً :

حاطت يداه من الاسلام ضاحية وحالتا دون طرف الدهر والوسن

الصّهيُونية وَوليدتها الشيُوعيّة

لا يمكن لأي كاتب يتصـدى لتـاريخ الصهيونية الا ان يستحضر بذهنه

صورة اليهودي التائه ، وقد تناثر عدداً وجماعات في مختلف أنحاء المعمورة ، يعمل نخراً بقواعد الممالك وانظمة الدول والقيم الروحية والأخلاقية ، ووسيلته الدسيسة والخديعة وبارق الذهب ، يفجر الثورات ويحيك المؤامرات ويخترع المذاهب الفكرية والنظم السياسية .

وتتجلى الصورة للباحث أكثر فأكثر ، اذا ما قرأ تلك المطارحة التي دارت ما بين الحاخام الأعظم لاسبانيا ، وكبير اليهود في القسطنطينية ، وقد استجار الأول بالثاني سنة ١٤٩٢ ، يستنصحه في ما يفعل لدفع أذى الاسبان الذين غالوا في إيذاء اليهود ، وحملوهم بالاكراه على تغيير دينهم ، وكان الجواب الناعم بل النصيحة الذهبية ، يقدمها ملك القسطنطينية غير المتوج لأخيه في الدين الاسباني المرزوء :

« اخواني الأحباء في موسى ، بالنسبة لما تقولون عن هدم معابدكم ، فاجعلوا ابناءكم من كبار رجال الدين المسيحي ليتمكنوا من هدم كنائسهم .. »

وكانت عملية التقويض من الداخل .. وتسربل اليهودي ذلك المسوح الذي كم تغيرت ألوانه واختلفت مقاساته ، على تعاقب الأزمان واختلاف البلدان ، وظل هو هو بلحمته وسداه اليهوديين ، يفرّخ تحته رجال دين ، وثوار ، وفلاسفة ، أبناء سياسة ورجال اقتصاد ومفكرون من كل لون ، وهدف الجميع الالتقاء عند قوائم عرش اسرائيل .

وأحد كبار هؤلاء كارل مردخاي ماركس الذي أعلن والده تنصره ، وتكفل هو بتهديم الأديان كافة ومن ورائها الأنظمة القائمة باسم الثورة والبروليتاريا وحقوق الطبقة الكادحة .

وليس من قبيل المصادفة ، ان كارل ماركس الذي كان جده لأبيه يهودياً ، لم يجد من يضع مخططاته الهدامة موضع التنفيذ سوى فلاديمير لينين

الذي كان جده لأمه يهودياً أيضاً ! . .

وهكذا رضعت الشيوعية لبان الصهيونية ، وانطلقت كل منهما تعمل في ناحية ولكن من أجل هدف واحد ، وربما اختلفتا حيناً أو تحاربتا في الظاهر ولكنهما متفاهمتان بالباطن ولسان حال الواحدة من الاخرى قول الشاعر العربي :

أسرّ وفاء ثم أظهر غدرة فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهرهُ

ومن هنا كانت مواقف الفيصل الصلبة في مكافحة هاتين الحركتين المتكاملتين اندماجاً على الصعيدين السياسي والفكري ، باعتبارهما أشد الأخطار التي تهدد العالمين العربي والإسلامي ، فالصهيونية أم الشرور والشيوعية وليدتها التي لا تقل عنها شراً وخطراً .

وفي الواقع ، لقد تعرض الإسلام والعروبة في تاريخهما الطويل ، للعديد من الهجمات الشعوبية والاستعمارية الا ان أشدها خطراً: الصهيونية العالمية والشيوعية الدولية ، لكونهما لا تتوقفان عند حدود الاستعمار بمعناه التقليدي، وانما تتعديانه الى الغزو الفكري ، بحركة استعمارية منظمة تهدف أول ما تهدف الى تقويض التراث العربي والاسلامي . وقد حقق السرطان الصهيوني الكثير من مخططاته العدوانية ، ملتقياً بهذا الشكل أو ذاك بسرطان الحركة الشيوعية الذي يعمل على تهديم القيم الروحية والأخلاقية من الداخل .

وقد جاء في الخطاب الذي ألقاه الفيصل في موسم الحج لعام ١٣٩٠ ﻫ (١٩٧٠م) حول الحركة الصهيونية ووليدتها الشيوعية ، قوله :

« لم يعد خافياً على أحد اليوم ما تخطط له الصهيونية العالمية من محاولة سيطرتها على العالم ، فلقد خططت من سنين طويلة ولكنها لم تنجح ، ولسوء الحظ انها في تخطيطها الأخير نجحت .. نجحت حينما أطلقت على العالم هذه المبادىء الهدامة ، وهي المبادىء الملحدة الشيوعية وما يتفرع عنها من

اتجاهات ومن مذاهب » .

لقد القى الملك فيصل نظرته الثاقبة الى الصهيونية أم الشرور وابنتها الشيوعية أم الخبائث ، وسعي الأولى بالثانية سعي الضرير القوي الساقين بالبصير المقعد ، وهما ماضيتان باستعمارهما الاستيطاني وغزوهما الفكري ، في تلك الحركة العالمية من التضليل ، ومن خلال عملية التحلل الخلقي للشعوب وتحطيم مثلها ، توسلاً لهدفها النهائي وهو السيطرة على العالم ، مما يترجمه الفيصل بهذه الكلمات القلائل الطافحة بالكثير من المعاني، في ما هو ماض بتعرية هذين التوأمين الخبيثين :

« ولسوء الحظ ان الصهيونية العالمية تمكنت بنشر هذه المبادىء من أن تصل الى حد ما الى كثير من أهدافها وغاياتها ، وهذه الأهداف تستهدف تحطيم كل القوى البشرية ، واشاعة الفوضى والتنابذ والتحلل الخلقي لجميع شعوب العالم ، لتصل الى غايتها وهي السيطرة على العالم الذي لم تتمكن من أن تصل اليه بقوتها وقدرتها ، فسعت سعيها الحثيث الى ان تضالل العالم وان تسوقه الى ما فيه شرّه والقضاء عليه » .

لقد استطاعت الحركة الصهيونية ان تحقق العديد من الانتصارات والمكاسب ، اذ تمكنت من السيطرة على كثير من مراكز القوى في الشرق والغرب ، ففي الشرق اطبقت الشيوعية وليدة الصهيونية العالمية بقبضتها الحديدية على رقاب شعوب اوروبة الشرقية بما يسمى بالمعسكر الشيوعي ، وأما في الغرب فقد تبوأت الكثير من أماكن الصدارة في الحقول السياسية والعسكرية والاقتصادية ، دافعةً الدول المنكوبة بها في منحى مصالحها الخاصة ، لتنشب أظفارها بعد ذلك في جسم العالم العربي . وقد شبه الملك فيصل واقع العالم العربي بمن يعيش تحت سقف التنين ، حين قال :

« ولسوء الحظ ، وقعنا في هذه المدة تحت سقف التنّين ، وهذا التنين هو

الصهيونية العالمية ، فـان الصهيونية أيها الأخوان تسيّر اليوم العالم الذي في امكانه ان يصل الى ما يحقق العدالة والحق ، ولكننا لسوء الحظ نرى ان الصهيونية قد تمكنت من ان تسيطر على الغرب وعلى الشرق ، فسيطرتها على الغرب بما لها من نفوذ وبما لها من أساليب خادعة ، وسيطرتها على الشرق بما أحدثته للعالم من مبادىء هدامة ملحدة تتنكر لكل عقيدة ولكل أخلاق في العالم » .

ويتابع سبر غور هـاتين الحركتين وتلاحمها العضوي ، بدلالة ان معظم القادة الشيوعيين هم من اليهود الأصلاء بيهوديتهم وبالتالي صهيونيتهم ، فيقول:

« ويكفي ان ننظر الى شيء واحد : فمن هم أيها الأخوة قادة الشيوعية الذين حملوا لواءها وبثوا معتقداتها في العالم ؟ انهم أيهـا الاخوة ، كلهم من الصهيونيين الذين خططوا وسعوا الى تحطيم البشرية وتهديمها ليصلوا بذلك الى مبتغاهم وهو السيطرة على العالم » .

وتأكيداً لكل ما ذكره جلالته من تواؤم هاتين الحركتين ما قلناه سابقاً ان مؤسس الشيوعية العالمية كارل ماركس ومؤسس الدولة الشيوعيـة الاولى فلاديمير لينين حفيدا حاخامين يهوديين ، وان معظم قادة الاتحـاد السوفياتي وجنرالاته وماريشالاته يهود ، ابتداء من تروتسكي مؤسس الجيش الاحمر الى بيريا السفاح قائد الشرطة السرية ، فضلاً عن قادة وزعمـاء اوربة الشرقية الذين يمدون اسرائيل بجيش لا ينقطع عدده من المهاجرين ، وحلمهم الاكبر اعادة بناء هيكل سليمان على انقاض المسجد الاقصى .

واذا ما انتقلنا الى اطار العـالم العربي ، رأينا ان مؤسسي الاحزاب الشيوعية العربية يهود ، وان هذه الاحزاب كانت في اول نشأتهـا فروعاً تابعة للحزب الشيوعي اليهودي في تل أبيب ، وكم هلل الشيوعيون «العرب» لقيام دولة اسرائيل لتكون « واحة الديمقراطية والتقدم » في قلب العـالم

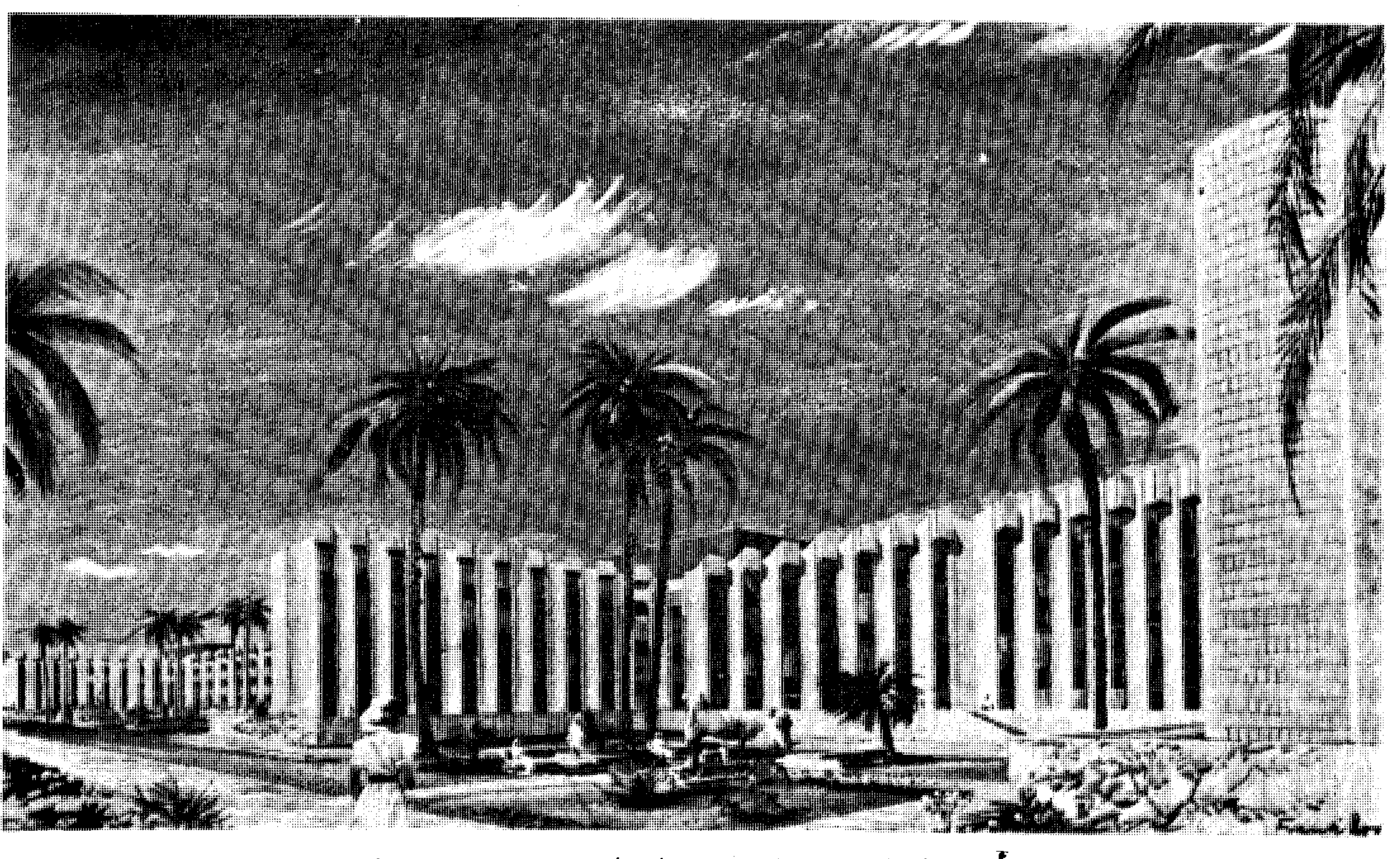
العربي « المتخلف فكرياً والمتحجر عقائدياً » ، مما فصلناه وعززناه بالوثائق والأرقام في كتابنا « تجربة عربي في الحزب الشيوعي » .

وهل يماري أحد في ان اسرائيل انما قامت بحراب الشيوعية الدولية والصهيونية العالمية، وان الاتحاد السوفياتي كان اول من نادى بتقسيم فلسطين، واول من اعترف بها ، وان اول ديبلوماسي انتقل من تل أبيب الى القدس لتكريسها عاصمة لاسرائيل هو السفير السوفياتي ؟

وهكذا دُهم العالم العربي بأشد خطرين وأفدح مصيبتين : الشيوعية والصهيونية ، لاسقاط انسانية الانسان العربي ، وتحويله الى آلة عمياء تدور بدولاب التبعية العمياء ، توسلاً لنهب خيرات أوطاننا ، وتقويض كياناتنا القومية ، تحقيقاً لمبادىء الماركسية اللينينية التي تنفي عن الشعوب صفة الانتماء القومي لتحل محله الانتماء الطبقي ، أي اخوة الشيوعي العربي للشيوعي الصهيوني ، ولكن بعد ان خسر الاول كل مقوماته وتمسك الثاني بصهيونيته ، وسار الاول تحت راية الثاني فيما يحسب انه يسير تحت راية الإخاء الاممية والعدالة الانسانية ، ويا للخديعة الكبرى التي فضحها الفيصل بقوله :

« اننا ابتلينا في هذا الوقت باعداء لا يرحمون ، وابتلينا بمصالح متضاربة لدول لا تراعي الا مصالحها واهدافها ، وما ترمي اليه من استعباد الشعوب والسيطرة ، على كل مواردها وثرواتها ، وصرفها عن عقائدها ودينها وشريعتها ، كل ينادي بالعدل ، وكل ينادي بالمساواة ، وكل ينادي بالسلم والحرية ، فيا سبحان الله ، هل هذه النداءات طبقت فعلاً ؟ . . »

ويزيد الفيصل على ذلك، وهو يرى ببصره وبصيرته معاً، تلك الصراعات الدولية المتكالبة على خيرات اوطاننا ، ومن ورائها القوتان المستشريتان : الصهيونية العالمية والشيوعية الدولية ، وهما تتباريان بطرح شعارات الحرية والاخاء والمساواة ، مجيباً على تساؤله :



منشأة فيصل الصحية ... الرمز الحي لاجواء الصحة في المملكة .

« لم نر شيئاً من ذلك، وكل ما نراه حالياً في العالم من اضطرابات ومشاكل واعتداءات هي ناتجة عن الصراع العالمي بين الدول الكبرى ، وبين من ينتمي اليهم او من يتبع ملتهم وطريقهم » .

الثوريّة والاشتراكية في العالم العربيّ

من المؤسف حقاً ان سموم الصهيونية العالمية والشيوعية الدولية ، قد وجدت لها منفذاً الى هيكل بعض الانظمة العربية، وافدة مع تلك التيارات الدخيلة التي من أول أهدافها نسف الأسس الاخلاقية والفكرية العربية ، والاستعاضة عنها بنظريات هزيلة هي صورة مشوهة ومهزوزة للحركتين الشيوعية والصهيونية المتربصتين بالعالم العربي .

وأحد هذه التيارات الوافدة ظاهرة « الثورية » العربية التي توسلت لبلوغ أهدافها بحبك المؤامرات وتنظيم الانقلابات ، حتى اذا وقفت على عتبة الحكم اعلنت انها حركة « تقدمية » .. « ثورية » .. « اشتراكية» ... دون أن تتناسى التباكي على حرية الشعب وكرامته المهدورة وحقوقه السليبة ، ولا ترجمة عملية لكل تلك الشعارات سوى أقبية المباحث، ووسائل التعذيب الرهيبة ، من سياط وأدوات كهربائية ومنافيخ تستحي المروءة من ذكر أهدافها ، وكأن غاية تلك الأنظمة ليس تحطيم المواطن جسدياً وحسب ، وانما اذلاله روحياً ، وتمزيقه نفسياً ، وتشتيته فكرياً .

ومضى الثوريون بهجمتهم هذه، يزرعون البغضاء بين أبناء الشعب الواحد، وقد أعمتهم الانانيات الذاتية الضيقة ، يتنازعون حتى فيما بينهم على استنزاف شعوبهم سلباً ونهباً ، لكن دون أن ينسوا الادعاء الباطل بأنهم حريصون كل الحرص على العقيدة الدينية ، وهم يحاولون وضع المذهبية الاشتراكية

كبديل لعقيدة الاسلام ، دون ان يغفلوا عن نعت كل مـــا عداهم بعدائه للاشتراكية التي هي الاسلام بعينه في ما يزعمون . وهذا ما فنده الملك فيصل فأحسن تفنيده بهذه الكلمة الهادئة :

« يقولون اننا نحـــارب الاشتراكية ، فنحن كمسلمين نؤمن بالله وشريعتنا القرآن ، فاذا كانوا يدّعون ان الاشتراكية لا تتنافى مع الاسلام ، فلمـــاذا يدعون الى ترك الاصل والتمسك بالفرع ؟ أما اذا كانت خـــلاف الاسلام ، فليقولوها صريحة ، وليكشفوا غاياتهم ومراميهم ، وفي ذلك الوقت تكون لكل حرية اختيار المنهج الذي يريده » .

ولم تنس القيادات الثورية في العالم العربي أن تصنف الانظمة – من خلال مفاهيمها الايديولوجية – الى تقدمية ثورية ومحافظة رجعية، وبالتالي وصم كل من عداهم بالرجعية ، مما لم يكن معه بد للفيصل من ان يقول كلمته بذلك ، ولكن على صعيد التطبيق ومحك التجربة ، فقال :

« لقد اتهمونا بالرجعية ، ولكن مـــا هي الرجعية في عرفهم ، وما هي في عرفنا ؟

اذا كانت الرجعية هي التمسك بكتاب الله وسنـة رسوله ، واذا كانت الرجعية هي الحفاظ على حريتنا واستقلالنا ، ، واذا كانت الرجعية هي في نشر العلم وتوسيع مدارك الشعب ، واذا كانت الرجعية في الخدمات الصحية ، وفي العمران يعم البلاد ، فنحن نفتخر بأننا رجعيون » .

ويتابع جلالته الكرة على اولئك الذين يدّعون « التقدمية » ، غامزاً من قناتهم ، مدللاً على انهم هم الرجعيون الذين ينطبق عليهم المثل القائل :

« رمتني بدائها وانسلّت » وليصمهم بالتالي بما هم فيه من رجعية فعلية ، من خـــلال ممارساتهم الاستبدادية ، وأساليبهم الدكتاتورية ، ومـــا تعني تلك

الممارسات والأساليب من اذلال للكرامة ، وخنق للحريات ، ونهب لثروات الشعب ، فيقول :

« اما اذا كانت الرجعية كما نراها نحن : هي الظلم والاستبداد ، وكبت حريات الناس ، وسلب أموالهم ، والتحلل من الأخلاق ، فهذه هي رجعيتهم التي يعيشون فيها » .

والمملكة العربية السعودية التي بنت وما تزال تبني تجربتها الفذة في الحكم المرتكزة على اسس الشريعة الاسلامية داخلياً ، والانفتاح على العالم الخارجي عالمياً ، تدرك عميق الإدراك واقع التحولات السياسية العالمية ، واختلاف الأنظمة الدولية ، مما دعا الملك فيصل الى الوقوف وقفة تحليلية رائعة ، باحثاً بواعث الثورات والانفجارات التي قامت بها الشعوب ، وما آلت اليه تلك الثورات من نتائج مؤلمة من تفاقم لكبت الحريات ، وبرمجة للظلم ، وتنظيم لحملات العنف والارهاب ، حتى غدا المظلومون والمضطهدون ولسان حالهم قول الشاعر العربي :

لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت حواشيه ، فصار ظلماً منظما

وكان الحكم الفيصلي على ذلك ، هذه الكلمة التي هي الصورة الفكرية لذلك الواقع المظلم الذي عاشته وتعيشه الشعوب المنتفضة على الظلم لتقع بما هو أدهى وأمر :

« لقد جربت البشرية طرقاً مختلفة للحياة وأساليب متعددة للحكم ، وخضعت بعض الشعوب لأنواع من الاقطاعية والرأسمالية وألوان من التحكم والتجبر، بل جاء عليها حين من الدهر عانى فيه الفقراء والضعفاء ما لا يطاق من ظلم الحكام ، بل كانوا أشبه بقطيع من الأغنام ، فلما ضاقت صدورهم بهذا الاسلوب من الحياة ثاروا عليه . ولكننا رأينا الثورات تنتهي الى انماط جديدة من الظلم والاستعباد والتخريب والبؤس ، رغم شعاراتها البراقة ،

فشقيت بهـــا الشعوب ولم تسعد . كان الاقطاع يستولي على ثروات الناس ومجهودهم ، فجاءت الأنظمة الثورية تسلب الفرد حريته وشخصيته كانسان ».

ولكن هجمة الثورية الظالمة على المبادىء الاسلامية ، قد ارتدت خاسئة مدحورة ، وعاد ذووها يجرّون ذيول الخزيان ، وهم أشد زراية من حـــالة الوعل الذي تنطح لتلك الصخرة الراسية على الصلابة والقوة .. ومن هنـــا كانت الكرّة الفيصلية على ذوي المبادىء المستوردة ، الذين لم ينتقلوا من حالة الهجوم الى حالة الدفاع وحسب ، وانما جرفهم تيار الاحداث المؤلمة التي هم باعثوها والمكتوون بنارها :

« في السنوات الماضية ، كثير منا من تنحوا ، والعياذ بالله ، من عقيدتهم ودينهم ، وتشبثوا بمـــا يتلقون من آراء وأفكار ومبادىء غربية كانت أو شرقية ، ولكنها كلها كانت تلتقي في نقطة واحدة وهي محـــاولة هدم هذا الدين والقضاء على هذه العقيدة الاسلامية ، لأنهم يشعرون بأن الاسلام هــو الحكم الوحيد الذي يقي أبناءه من شر عدوانهم ومكائدهم للمسلمين ، ويضع كل المسلمين في أنحاء المعمورة تحت رحمة أعدائهم وتحت سيطرتهم » .

وعلى حين التزم اكثر المتربعين على قمم الانظمة الثورية الصمت نتيجة ما آلت اليه سياستهم التي جرّت على العرب والعروبة الانكسار تلو الانكسار، والهزيمة اثر الهزيمـــة ، ولأنهم أدركوا انه لا مكان لدى الشعوب العربية « لانجيل الماركسية » والنظريات الاشتراكية .. في هــــذا الظرف بالذات — والأمة العربية تجهد لتضميد جراحها — كان ذلك التوالد الطفولي لما يسمى بالمنظمات الفـــدائية اليسارية التي ترفع — بمنطق الشيوعيين الذين لا يهمهم استعادة فلسطين وانما يهمهم استغلال قضية فلسطين لنشر الشيوعية في العالم العربي — أجل، ترفع بهذا المنطق شعار تحرير فلسطين من خلال تحرير الخليج العربي وبعض العواصم العربية واسقاط ما تسميه بالأنظمة الرجعية فيها ، مما يؤدي الى المواجهات الدموية ما بين الأشقة التي لم يستفد منهـــا الا العدو

الصهيوني وحده .

بيد ان كل هذه الاستفزازات لم تزحزح العربية السعودية عن موقفها الصلب العامل أبداً على وضع الخلافات جانباً لمواجهة العدو المشترك صفاً واحداً وقلباً واحداً، أما الكلمة التي يجب ان تقال بحق تلك الفئات المخربة، فقد قالها الملك فيصل بصدق وصراحة :

« أصحاب تلك المبادىء بعملهم هذا يؤدون أكبر خدمة للعدو . فكما ان الصهيونية عملت منذ نشوئها على ضرب العالم بعضه بالبعض الآخر ، فان المبادىء الهدامة أوجدت المشاكل بين الأمم والشعوب من أجل تحقيق غايات وأهداف ليست ببعيدة عن أهداف الصهيونية » .

ويتابع جلالته توضيح موقفه الفكري من هذه الآفة التي تعمل في قلب العالم العربي ، فيقول :

« برغم دعوة أصحاب المبادىء الهدامة الى التخريب وتبديل الانظمة قبل استرجاع فلسطين ، فاننا سنظل نعمل لنصرة القضايا العربية ، وتوحيد الصف العربي ، بمختلف الوسائل ، للمحافظة على ايماننا وتقاليدنا واسترجاع الحق العربي كاملاً » .

ان كل من يقف على هذه التناقضات والمفارقات ، بين المواقف الفيصلية والمواقف الثورية ، لا يسعه الا أن يردد قوله تعالى :

« أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى ، أم من يمشي على صراط مستقيم »

العودة إلى الأصالة العربية

من هذا المنطلق ، شق النهج الفيصلي خطه الواضح على كل الجبهات وفي

جميع المستويات ، ثباتاً أمـــام تحديات العصر ، وكسباً لمعركة الكرامة الانسانية . وهو يدعونا قبل كل شيء ان نطهر انفسنا من كل ما علق بها من أدران التيارات الهدامة :

« وهذا يستوجب علينا ، ان نجاهد أنفسنا قبـل كل شيء حتى نطهرها من الأدران ، ومن العقائد الفاسدة ، ومن التيارات الهدامة التي عصفت بنا ففرقتنا شعوباً وفئات متناحرة متناثرة ، يتآمر بعضنا ضد البعض الآخر ، وتستنزف قواتنا وامكانياتنا في محاربة بعضنا البعض » .

وعلينـــا العودة الى الاصالة العربية ، والينابيع الاسلامية ، والتراث الفكري والاخلاقي ، بعيداً عن التضليل المذهبي والزيف العقائدي :

« ان اول شيء يجب علينا القيـــام به ، ان نثقف انفسنا في عقيدتنا وشريعتنا وديننا ، فالكثير منا الآن يجهل مزايا الشريعة الاسلامية والعقيدة الاسلامية ، لأننا نمر عليها مروراً سطحياً لم نتعمق في مزاياها ومنافعهـــا وخيراتها للدنيـــا والدين . وانا على يقين ثابت ان اخواننا المسلمين في جميع الأقطار ، اذا تثقفوا بالثقافة الاسلامية ، وتفهموا معاني شريعتهم وعقيدتهم ، فلن ينصاعوا الى أي شعارات او كلمات رنانة ، او ما يسمعونه كل يوم من أبواق التضليل والدجل التي تحاول ان تصرفهم عن عقيدتهم وعن ايمانهم .

« انني أدعوكم يا أخواني ان تحصنوا انفسكم أمام هذه المبادىء الهدامة ، بأن تقووا ايمانكم بربكم واخـــلاصكم له ، وان تعضوا على شريعتكم وعقيدتكم بالنواجذ ، حتى لا تبلغ هذه التيارات فيكم رغبتها وما تصبو اليه » .

وبعد ، هل ترانا ونحن نعيش آفاق الملك فيصل الذي تتكامل حيـــاته المديدة بتكامل بناء دولة العرب والمسلمين الأولى : المملكة العربية السعودية ، سياسة وحضارة ، اقتصاداً واجتماعاً ، على اسس الاسلام التليدة وتقـــاليد

العروبة المجيدة .. هل ترانا وتلك حالنا ، الا وشأننا شأن رسول ملك الروم وهو يسعى بين يدي سيف الدولة الذي اوحى للمتنبي شاعر العـــرب الاكبر قوله :

وأقبل يمشي في البساط فما درى الى البحر يسعى أم الى البدر يرتقي

وان اختلف التشبيه بشيء ، فبوجـــه الساعي الذي يعيش روحاً ودماً الآفاق الفيصلية المعطاء لدنيا العروبة والاسلام .

الفصل الخامس

المنهج الفيصلي للسياسة الداخلية

اننا نطبق العدالة الاجتماعية الحقيقية ،
وهي حق لكم وواجب علينـــا ، فنحن
خدامكم ، وخدمتكم هي مصدر اعتزازنا .

فيصل بن عبد العزيز



تمهيد

ان ما قدمنا من فصول سابقة من السيرة الفيصلية ، ليثبت بما لا يدع مجالاً للشك بأنه الملك – الانسان الذي وهب ذاته لشعبه ووطنه ، وكرس حياته لرفعتها ، سيرة ديمقراطية ، ونهجاً اصلاحياً، وانه وهو يقطع مراحل سني حياته المديدة، تمضي معه المملكة في مسار خطها التطوري الصاعد أبداً ، تعميقاً لجذور الاصلاح ، وتوسيعاً من دائرة العدالة ، وترسيخاً لقواعد الحرية ، كل ذلك أخذاً بمبدأ الشورى الاسلامية ، ونشراً لروح الاخاء الانساني ، وسيراً على هدي المؤسس الكبير الملك عبد العزيز ، ووصل المسيرة الكبرى بهذا النهج القويم الذي قرن باسمه فنعت بالنهج الفيصلي .

وفي نطاق هذا البحث سنقف عند حدود دراسة الأسس التي قام عليها صرح النظام العربي السعودي ، الذي وطد تلك العلاقة الوثقى ما بين الدولة والشعب ، والحاكم والمواطن ، في ظل العدالة الاجتماعية الحقة ، النابعة أصلاً من روح الاسلام الحنيف .

نِظامُ الحكم وَالمُعطيات المَوْضُوعيّة

قبل ان ندرس واقع نظام الحكم في المملكة العربية السعودية في شكله الراهن، لا بد من القول بان مراحل تطور المملكة الحضاري مرتبط بتطورها التاريخي وتشكل معالمها السياسية .

فحين بدأ الملك عبد العزيز نضاله البطولي ، انطلق من واقع اجتماعي معين تسود علاقاته الاجتماعية التقاليد القبلية وحدهـا ، وقد استطاع بارادته الفولاذية وحكمته العميقة ، ان يشيد دولة فتية تشق طريقها بعناد في ميدان البناء الاجتماعي المتصل بتراثها الفكري وأسس منطلقاتها العقائدية الدينية ، ليدخل بها معترك التطور الحضاري ، ثابت القدم ، راسخ الجنان ، من خلال التقدم الذي شمل المملكة في ظل مؤسساتها الدستورية .

ومن الأهمية بمكان القول بان النظـام الملكي في الدولة السعودية لم يكن نظاماً جامداً عند حد معين من المعطيات والمكتسبات التاريخية ، بل كان نظاماً متطوراً منفتحاً على كافة المناحي الحياتية والمرافق العـامة ، يتكامل بأسسه الدستورية من خلال تطور الحيـاة الاجتماعية ، ويتقدم بتقـدم البناء الحضاري .

ولقد أوضح فيصل بن عبد العزيز في أحد بياناته الوزارية عام ١٣٨٢ هـ ١٩٦٢ م ، واقع التطور للنظام في العربية السعودية ، واتصال هذا النظـام بالمعطيات التاريخية لتطور المجتمع العربي السعودي ، فقال :

« لما كان من الواجب ان يكون نظام الحكم في أي دولة صورة صادقة لحقيقة التطور الذي وصل اليه مجتمعها ، فقـد حرصت الحكومة على تطور المجتمع السعودي ، علمياً وثقافياً واجتماعيا حتى تصـل الى المستوى الذي تنعكس معه صورته في شكل نظام راق للحكم يمثل الأهداف العظيمة الخالدة التي جاءت بها شريعتنا الغراء .

ولقد حدثت من آن لآن، عدة تطورات فعلية لشكل الحكم السعودي ، كانت تمثل تطور المجتمع لدينا ، وتحاول في الوقت نفسه ، أن تأخذه لمستوى أرقى مما هو عليه » .

الملكيّة في النهج الفيصليّ

ليس من المستغرب وتلك هي الأهداف الفيصلية ، ان يكون للرجـــل الكبير دوره الخطير في دفع عجلة الحكم في المسار التطوري ، من خـــلال تقدم المؤسسات الدستورية في العربية السعودية ، وقد كان في حياة المؤسس العظيم ، ساعده الأيمن ، والفكر الخلاق الذي يستشرف آفـــاق المستقبل ، ويجيش في وجدانه طموح النهوض الكبير في حياة المملكة .

وعلى هذا الأساس ، ومن ذاك المنطلق ، ومنذ نشوء الدولة ، وهي في تطور مستمر ، حاملة نبراس الاسلام المتوهج ، عائشة وجدان العروبة الحي ، آخذة بأسباب الديمقراطية السليمة ، دون ان تحتاج لتلمس او تبني المصطلحات السياسية الحديثة لواقع الأنظمة المختلفة .

والنظام الملكي للعربية السعودية ، هو النظام الأخلاقي الأمثل ، وصورة التطور التقدمي الأصلح لشعب هذه المملكة ، بل هو جبلة الحياة المتطورة موضوعياً وتاريخياً ، لتلك الدولة التي مَرَدَت موحدة عملاقة من غمـــار التجزئة والتشتت والتخلف القبلي ، لتسير صعداً في مضمار التقدم والتطور .

وكان الفيصل واضح الرأي صريح الكلمة ، حين عقد تلك المقارنة ما بين النظام الملكي ونقيضه النظام الجمهوري ، فقال :

« المهم في الحكم ليس الاسم وانما التطبيق ، فكم من نظام جمهوري فاسد، وكم من نظام ملكي صالح ، والعكس بالعكس ، فالنظـام سواء كان ملكياً أم جمهورياً ، يجب ان يعكس الخير والتوفيق والرقي وحسن الاستعداد ، في تجاوب كامل بين الراعي والرعية » .

ويردف العاهل الكبير قائلاً :

« ومن هنا يمكن ان نقارن بين نظام ملكي صالح ونظـام جمهوري غير صالح ، او بين نظام جمهوري صالح ونظام ملكي غير صالح .. »

ويخلص الى نتيجــة سليمة مؤداها ان القضية ليست قضية أسماء او مصطلحات او كليشهات ، وانما معطيات حياتية ، فيقول :

« ان الأسماء كما ترون ، ليست هي العبرة في الحكم ونوعيته ، وانما العبرة للتطبيق ولشخصية الحكام » .

والملكية في العربية السعودية تختلف عن كل ما عــداها من الانظمة التي تسمى ملكية في العالم أجمع ، لأنها تستند على السنن الاسلامية بكل ما تزخر به من مثل العدالة والاخاء والتراحم الانساني . يقول الفيصل :

« تعكف الحكومة على بناء مجتمع يقوم على أسس اسلامية عادلة، تستنير في خطوطها بما جاء به القرآن وما ورد في سنة رسول الله . وانني كمسلم أرى في شريعتنا الاسلامية ما يحقق كل خير من الناحية الاجتماعية ، او من الناحية الاقتصادية ، او من الناحية الثقافية ، او من الناحيــة الصحية . لأن الله سبحانه وتعالى هو خالق البشر ومكون الكون ، فلا يمكن ان يستنّ لهـذا الكون شريعة ويأمر باتباعها ويكون فيها ما يختلف مع مصلحة هذا الكون ومصلحة البشر » .

واذا قلنا الاسلام في المفهوم الفيصلي ، فنعني التعمق بجوهر الدين، والوعي لمفهومه الشامل ، والارتكاز الوطيد الى تجربة واعية متفهمة مــا يدور في العالم الخارجي ، تعرف كيف تواجه الانظمة الوضعية التي تظل أبداً ، رغم شعاراتها البراقة ، مقصرة عن بلوغ المضامين الفضلى للمثل العليا :

« من هنا تدركون سر تمسكنا بالرسالة الاسلامية الخــالدة ، فهي التي

تحفظ للانسان كرامته وحريته واستقلاله ، وتكفل له الكسب الحلال والحياة الكريمة في ظل العدالة الاجتماعية .

وهي فوق ذلك كله تحقق حل المشاكل بين الشعوب بالطرق السلمية ، وتحرر البشرية من كل قيد يعوق مسيرتها في طريق الرقي والتطور » .

وليس معنى ذلك ان المملكة السعودية قد بلغت الغاية التي اليها تهدف ، والقصد الذي اليه ترمي ، فهي كلما بلغت افقاً في انطلاقتها العظمى ، شارفها أفق جديد تمضي اليه ، وهدف أسمى تناضل من أجله .

المبايعة هي نوع من الانتخاب الحر

ان الملكية في العربية السعودية تحددها المعطيات التاريخية لتطورها ، وارتكازها على واقع الأسس الاسلامية في الحكم ، وبالتالي فان سلطات الملك في هذه الدولة انما ترتبط بتلك المعطيات وهذه الأسس .

فالملكية في العربية السعودية ترتبط بالامامة الاسلامية . وحين وقع اختيار العلماء والأمراء السعوديون من أهل العقد والحل ، على فيصل بن عبد العزيز ليخلف الملك سعود ، بويع بالملك والامامة معاً ، وكان ذلك القرار التاريخي الذي ينص على « مبايعة ولي العهد فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملكاً شرعياً على المملكة العربية السعودية واماماً للمسلمين » . وكان رفع الفيصل لسدة الملك والامامة تطميناً لمصالح الرعية ، وأخذاً بيدها في معارج الصلاح الدنيوي والفلاح الديني .

وحين تمت مبايعة الفيصل ، كانت مبايعة على كتاب الله وسنة رسوله ، ليقوم بذلك الدور التاريخي الكبير الذي القي على عاتقه تحقيقاً للعدل والانصاف ، وخدمة للوطن والشعب . وكان ذلك العهد ما بين

الملك والشعب الذي وقف من ورائه قلباً واحداً ولساناً واحداً وهو يصغي لكلمته التاريخية بذلك الظرف الدقيق :

« وأنا من جـــانبي ابايعكم على اتباع كتاب الله وسنة رسوله وتحكيم الشريعة ، وان اكون خادماً للشرع في جميع الامور ، وان أسعى بكل ما في امكاني لحفظ كيان هذا البلد وخدمة مواطنيه فيما يصلح دينهم ودنياهم .

وأرجو الله سبحانه وتعالى ان يجعلنا واياكم هداة مهتدين ، عاملين بالخير ، متقين الشر ، متبعين كتاب الله وسنة رسوله ، وان يجعلنا من أنصار دينه ، وان يوفقنا دائماً لاتباع ما يجب علينا من خدمة ديننا وامتنا ووطننا ، انه على ما يشاء قدير ، والله سبحانه وتعالى يوفق الجميع للخير » .

وهذه السابقة ان دلت على شيء فعلى ما تتضمن من عظة بالغة ، ودرس هيهات ان يُنسى ، لا لحاكم مضى ، وانما لكل رجل ما زال في ضمير الغيب، ستوضع في يديه مقاليد الحكم في المستقبل القريب او البعيد ، فيخـاف الله برعيته ، ويصون كتاب الله ، لا يحيد عن حق ، ولا يزيـغ قلبه في بهرج من بهارج الدنيا .

وقد سبق للفيصل حتى في ايام والده المغفور له ، ان حدد الارتباط مـا بين نظام الملك وامامة المسلمين ، من خلال نظرته لواقع تطور المملكة ، حين أعلن ان نظام الملك « لم تعرفه المملكة العربية السعودية أصلاً ، لأن منشىء المملكة قد بايعه الشعب بالامامة قبل ان يبايعه بالملك ، والمبايعة في المفهوم الاسلامي نوع من الانتخاب الحـــر الذي يتطلب توفر شروط أساسية فيمن ينتخب للقيام بمهام الامام » .

اذن فمهوم الملكية في العربية السعودية متلازم ومفهوم الامامة ، التي هي الشرط المسبق لتبوء سدة السلطة وقيادة دفة الحكم ، من خـــلال الانتخاب الحر الذي حدد الفيصل معالمه ، فقال متابعاً :

« ونظام الحكم في الاسلام لا يعرف أصلاً ملكاً يملك ولا يحكم ، فهو انما يعرف الامام الذي يملك ليحكم على أن يبقى حكمه دائما محققاً للخير العام ، وتبقى مسؤلياته دائماً أمام الله وأمام الشعب ، لأن الامام هو الراعي ، وكل راع مسؤول عن رعيته » .

لا سيّد ولا مسود وإنّما إخوة متكافئون

واذا كان التطور التاريخي للدولة السعودية ، قد أدى الى تجسدها بالشكل الملكي فقد احتفظ هذا الشكل بصيغة الامامة للقيادة الاسلامية ، وظل الملك اماماً يعمل بهدي الشريعة الاسلامية . ومن هنا كان منطلق النهج الفيصلي في اتباع كتاب الله وسنة الرسول ، معلناً بتواضع المؤمن الذي أخلص قلبه لله ، انه يهدف أول ما يهدف الى ان يكون « خادماً للشرع » لا أن يكون التشريع في خدمته ، كما حدد ذلك في مختلف آرائه نظرياً ، ومن خلال ممارسته القيادة عملياً ، حين يقول ويقرن قوله بالتطبيق :

« اننا لسنا أباطرة ، ولسنا متجبرين ، ولكننا دعاة لكتاب الله وسنة رسوله » .

والحاكم المسلم الحق لا مكان لديه للدكتاتورية ، ولا لأوتوقراطية الحكم ، بل للتعاون المخلص ما بين الراعي والرعية ، لاحقاق كلمة الله في قيادة عباده القيادة المثلى .

وكثيراً ما أعلن فيصل انه الاخ للمواطن العربي السعودي ، والخادم للاسلام والمسلمين، فالحاكم في النهج الفيصلي وجه الأمة ، ولا يكون الاخلاص لشخصه كفرد ، وانما لما يحمل من مثل تخدم الأمة ، وهو يقول :

« ليس الاخلاص والمحبة لفيصل ، وانما الاخلاص والمحبة للشعب الذي يمثله الفيصل » .

ويحدد واقع الحاكم من خلال الحكم فيقول :

« ليس منا سيد ولا مسود ، وانما نحن جميعاً أخوة متكاتفون » .

ومن خلال هذا المفهوم الفريد لرسالة الحكم ، يكون الملك هو الأخ الأكبر لرعيته ، والقائد لمسيرة شعبه التاريخية في ريادة التطور ، واقامة اسس الملك على دعائم الأخوة والعدالة :

« ليس فينا أحد أشرف من أحد ، وليس فينا أحد أكرم من أحد ، ان اكرمكم عند الله أتقاكم . فاذا رجعنا لأنفسنا فلننظر ماذا نقوله للناس وماذا نعمل لهم ، وكيف نعامل الآخرين فهل نحن نعاملهم بالمبادىء التي نصّ عليها كتاب الله وسنة رسوله » .

ومن هنا كان ورع الفيصل وتقواه ليس بادائه فرائض الاسلام فحسب ، وانما بسيرته في قيادة الرعية ، تلك السيرة الباقية ذخراً كريماً وتراثاً حياً يعيش في ضمائر المواطنين ، في تلك الحركة الاصلاحية البناءة ، وبسمو ذلك الصرح الحضاري . فالاسلام دين الهداية للعالمين ، واحقاق قواعد العدالة ما بينهم ، والحاكم العادل من حقق هذه الأهداف السامية . ولذا فأبعد ما ينأى عنه الفيصل فكرة الجور والاضطهاد، المنافية كل المنافاة لروح الاسلام. يقول جلالته :

« أما اذا كنا نريد أن نتسلط على الناس ، وان نستعبدهم وان نذلهم باسم اننا موكلون او مفوضون ان نتصرف فيهم كما نشاء ، فحاشا الله أن يكون ذلك من الاسلام » .

ومن هنا ، وللثقة الكبرى التي أولاها الشعب مليكه ، لارساء قواعد



مستشفى مكة ... حارس وزارة الصحة في مهبط الوحي ..

العدالة الاجتماعية ، ولترجمة المفهوم الاسلامي بالحكم الى معطيات سياسية واصلاحات عملية مثلى ، أخذ الفيصل على عاتقه مسؤوليات الملك وتبعات رئيس مجلس الوزراء ، تحقيقاً للاهداف السامية في الاصلاح ، وقيادةً لدفة الحكم في هذا الزمن العاصف ، من هذه المرحلة التاريخية الحرجة ، التي تتطلب من الحاكم الفكر النير ، والقلب الكبير ، والنفس الصبور ، لتجاوز كل العقبات ، وتخطي سائر المصاعب ، بلوغاً للهدف الأسمى في هذه المسيرة الطويلة للنهج الاصلاحي الظافر .

النهج الإصلاحي الفيصلي

تنبع المسيرة التطورية في النهج الاصلاحي الفيصلي ، من خلال التجربة العربية الاسلامية للمملكة ، بعيداً عن كل الايديولوجيات الغربية في النظام والسياسة ، الغريبة عن الفكر العربي والوجدان الاسلامي ، ولذا كان هذا النهج يتصل بالأعمال لا بالأقوال ، ومن خلال حصيلة التقدم ومعطيات التطور ؛ يقول الملك فيصل :

« ان الاصلاح ليس مرتبطاً بنظام مخصوص ، ولا بمذهب مخصوص ، ولا بشخص مخصوص . فالاصلاح أعمال صالحة وثمرات نافعة ، فمن حققها هو المصلح . ولا يمكن لجو يسوده الاضطراب وتسوده الشحناء ، ويسوده التنافس على المناصب وكراسي الحكم ، أن يقوم فيه اصلاح أو بناء » .

ان الاصلاح الفعلي يحتاج أول ما يحتاج الى الأجواء التي تمهد للآفاق الرحبة لتحقيق التقدم ، وهذه الآفاق بدورها تتصل بواقع الاستقرار الداخلي لأية دولة ، كما ترتبط بعلاقاتها مع العالم الخارجي .

وحين بويع الفيصل بالملك ، تم ذلك في ظرف تاريخي معقد تشابكت فيه العوامل الداخلية بالعوامل الخارجية ، وكان ثمة ضرب من عدم الاستقرار ووقوف البلاد على شفا الانهيار ، مما جعل منه البطل المنقذ، بخطه الاصلاحي داخلياً وخارجياً معاً ، اذ عكف على تحقيق الاصلاحات الداخلية ، وتهيئة الاجواء الصحية للبناء ، وهيأ أسباب التفاهم المثمر مع الدول العربية ، بالحض على عدم التدخل في شؤون الآخرين . يقول جلالته في هذا الصدد :

« اننا على يقين من أنه اذا اهتم كل مسؤول او قائد في أي بلد ، بشؤون شعبه وباصلاح بلده ، وبالنهوض بمستويات المعيشة في بلده ، فان في ذلك ما يشغل وقته عن ان يمد يده او نظره الى ان يتدخل في شؤون غيره او يؤذي غيره » .

ويقول في مكان آخر :

« كل ما نطمح اليه هو ان يتمتع كل شعب وكل بلد بحريته واستقلاله وأمنه ، واستقراره ، وان تتاح لكل بلد الفرصة ليبني مستقبله بيده ، وبالتعاون مع اصدقائه » .

وقد كان فيصل بن عبد العزيز المثل الأعلى في قيادة المسيرة الاصلاحية ، بكل أبعادها الديمقراطية ، وكان عهده عهداً جديداً كل الجدة في تاريخ العربية السعودية ، عهدا انتفت فيه كل معالم الازدواجية بين خطين مختلفين : خط المصلحة الخاصة ، ونقيضه خط المصلحة العامة بكل طاقاتها الاصلاحية. ولم تقتصر جهوده على تطوير المجتمع ، وانما عمل جاهداً على تطوير نظام الحكم أيضاً ، فكان الاصلاح الفيصلي اصلاحاً في الشكل والمضمون بآن معاً .

الفيصل وحكم الشورى

المملكة العربية السعودية هي دولة الاسلام نصاً وروحاً ، وجوهر الحكم

في الاسلام الشورى ، قال الله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » وقال جلت كلمته : « وشاورهم في الأمر » ، وقال الشاعر :

اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي نصيح او نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فريش الخوافي قوة للقوادم
وما خير كفّ أمسك الغلّ أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم

ورجال الشورى حسب التعريف الفقهي هم أصحاب الرأي وأهل الحل والعقد ، وهم بالتالي القوى الموجهة للحكم .

وليست الشورى بطارئة في حياة المملكة ، وانما تعود بجذورها الى عهد المؤسس الكبير ، حين دعا الى انشاء مجلس الشورى في الحجاز . ومثل الفيصل دورا فعالاً في تعزيز نظام الشورى ، وهدفه اعداد الشعب العربي السعودي ليبلغ تدريجياً مرحلة النظام الشوري العام. وكان أبداً على احتكاك مباشر ومستمر برجال الشورى حين كان نائباً لجلالة والده الملك عبد العزيز على الحجاز ، يتدارس معهم الأمور لما فيه خير الوطن ومصلحة الشعب .

وحين كان رئيساً لمجلس الوزراء جعل نصب عينيه توطيد دعائم الشورى في المملكة ، لمعالجة شؤون الدولة وقضاياها من خلال نظرة جماعية لا مكان فيها لتسلط حاكم واستبداد فرد. وقد جاء بيانه الوزاري في ٩ جمادى الثانية ١٣٨٢ هـ ٦ تشرين الثاني — نوفمبر ١٩٦٢ م ، مؤكداً على هذه الناحية ، رامياً الى ان يكون للعلماء والفقهاء كلمتهم في شؤون الدولة ، ومن هذا المنطلق عمل على تأسيس مجلس للافتاء ضم عشرين عضواً من فقهاء المملكة . وقد بسط رأيه بهذا الموضوع في ذلك البيان بقوله :

« ولما كانت نصوص الكتاب والسنة محددة ومتناهية ، بينما وقائع الأزمنة وما يستجد للناس في شؤون دنياهم أمور متطورة غير متناهية ،

ونظراً لأن دولتنا الفتية تقيم حكمها والحمد لله على أساس الكتاب والسنة نصاً وروحاً ، فقد اصبح لزاماً علينا ان نمنح الفتيا عناية اكبر ، وان يكون لفقهائنا وعلمائنا حملة مشاعل الهدى دور ايجابي فعال في بحث ما يستجد من مشاكل الامة ، بغية الوصول الى حلول مستمدة من شريعة الله ومحققة لمصالح المسلمين ، ولذلك فقد قررت حكومة حضرة صاحب الجلالة تأسيس مجلس للافتاء يضم عشرين عضواً من خيرة الفقهاء والعلماء ، ليتولى النظر فيما تطلب الدولة منه النظر فيه وما يوجهه اليه أفراد المسلمين على أسئلة واستشارات ، وليكون أداة قوية لتنوير الأذهان وتذليل العقبات التي تعترض سبيل التقدم السليم » .

واذا كان المبدأ الأساسي للشورى هو تدعيم تلك الصلة الحميمة ما بين الحكم والشعب ، واخذ الحكم قضايا المواطنين بعين الاهتمام والتقدير ، وتلك النظرة الحريصة على المصلحة العامة ، فقد كان الفيصل على الدوام ذلك الوجه الديمقراطي المحبوب ، تفديه العامة ، ويجله القادة ، لأنه دائم الصلة بالشعب ، وثيق الارتباط بأهل الفكر والعلم . وحسبه في هذا الصدد ما قاله قبل عشرة أعوام من تولي الملك :

« كلنا يعلم ان بلادنا تختلف أوضاعها وظروفها عن كل بلاد العالم ، فليس بيننا بحمد الله أحزاب ولا عناصر مختلفة ولا اتجاهات متباينة حتى تكون خطراً على أوضاعنا الخاصة ، انما نحن اخوان متحابون .

نحن في حاجة الى التوجيه ، والتوجيه لا بد منه في كل الحقول ، وأنا شخصياً أقبل كل رأي وكل فكرة وان اختلفت عن رأيي ، وهذا لا يجعلني أقف ضدها ولكنني أبحثها وانظر فيها حسب المصلحة » .

ولا بد من ان نعيد الى الأذهان ذلك الدور الكبير الذي اضطلع به رجال الحل والعقد من علماء وامراء ، في خلع الملك السابق ومبايعة الفيصل

بالملك ، حرصاً على سلامة بناء صرح الدولة ، ودفعها في طريق التطور السليم . وحسب هذا المثل من بالغ الأهمية والخطورة على ما للشورى من أثر عميق في حياة المملكة ، ودورها في اختيار القيادة السليمة للحكم ، والحاكم الاصلح لتقلد زمام السلطة . وكم البون شاسع ما بين هذا الاسلوب ، بكل ما يحمل من مناقبية مثلى ، وقيم فضلى ، وسعيه في وضح النهار لتقويم الاعوجاج ، والسير في خير الفجاج ، التماساً لوجه الله والوطن ، وبين اسلوب الانقلابات العسكرية التي جرت في انحاء متفرقة من العالم العربي ، والتي لا تعدو أصلاً حياكة مؤامرة في الظلام للقفز الى مركز السلطة ، ان حالف النجاح القائمين بها سمّوا أبطالاً وإلا وصموا بالخيانة والعمالة ! . .

ان فيصل بن عبد العزيز هو قائد المسيرة الظافرة في تحقيق رسالة الاسلام نصاً وروحاً ، تقدّمه الجزيرة العربية للعرب كافة وللمسلمين قاطبة ، وجهاً قيادياً مشرقاً ، في هذه الفترة التاريخية الحرجة ، فدخل التاريخ من باب الشورى ، لا يستبد برأيه ، ولا يتشبث بأفكاره ، وانما يناقش بالكلمة المخلصة السواء ، ويجادل بالتي هي أحسن ، وليست مجالسه اليومية المثالية ، للنظر في شكاوى المواطنين وحسب ، بل هي مجالس للحوار الحر الذي لا يستهدف الا المصلحة العليا والغاية المثلى .

النهج الفيصلي في النظام الوزاري

في الحوار الذي أداره القرآن الكريم على لسان النبي موسى قوله : « واجعل لي وزيراً من أهلي ، هارون أخي ، أشدد به أزري ، وأشركه في أمري ، كي نسبحك كثيراً ، ونذكرك كثيراً ، انك كنت بنا بصيراً ، قال قد أوتيت سؤلك يا موسى ...» . والله جل شأنه حين أدار هذا الحوار على

على لسان كليمه ، انما كلم به الأجيال على تطاول أزمانهـــا ، والعصور على تسلسل قرونها ، اشفاقاً منه على الحـاكم ، ورحمة بالمحكوم ، لأن الفرد مهما كانت طاقاته الفكرية ، ومهما تعددت مواهبه التنظيمية ، يظل بحاجة لمن يشدد من أزره في المهام الكبرى ، ويأخذ بيده في الامور العظمى .

واذا ما رجعنا الى أيام الرسول، واستعرضنا الوجوه التي كانت تحف به ، والرجال الذين كانوا من حوله ، لألفينا في بعضهم وجوه وزراء وان لم يسمّوا كذلك . وحسبنا في هذا الصدد اذا ما عرض أمر خطير ، وجلس الرسول الى صحابته البررة يعرضه عليهم ويبسط فيه رأيه ، ان نسمع الفاروق عمر ابن الخطـــاب وهو يستمع الى حديث النبي ينثال من بين شفتيه ، يسأله : « أوحي هذا أم رأي يا رسول الله ؟ » فان كان وحياً تمت الموافقة الجماعية دون نقاش ، وان كان رأياً أدلى كل من الصحابة بدلوه ، بالاقناع والحجة ، وكان الرأي الفصل ، انتهاء الى خير الأمة وصلاح الجماعة .

ولا يفوتنا في هذا الصدد ان الرسول الكريم ، قد اتخذ في بعض الاحيان قرارات في بعض الأمور الدنيوية ، ثم عدل عنها ليمارسها أربابها بمـا درجوا عليه ، وهو يطلق هذه الكلمة الخالدة : « أنتم أدرى بشؤون دنياكم » ، مما يجب ان يكون درساً ثميناً لا يفوت أيّ مسلم .

والواقع ان الملك عبد العزيز لم يغمض عينيه الاغماضة النهائية الا بعد ان أرسى قواعد الحكم الحديث في المملكة العربية السعودية ، ففي عام ١٣٧٣ هـ ١٩٥٣ م ، قبيل وفـــاته بشهر واحد فقط ، أسس اول مجلس للوزراء في المملكة . وشغل الفيصل منصب رئيس الوزراء حين كان ولياً للعهـــد ، وارتبط ذلك المنصب باسمه الكريم منذ عام ١٩٥٣ ، واخذ يطور من خلاله النظام آخذاً به نحو الأرقى والأصلح .

وفي عام ١٩٥٨ اشترط الفيصل على أخيه الملك سعود ، ألا يتسلم منصب

رئاسة الوزارة ما لم يقر بمنحه السلطات الواسعة التي تتيح لمجلس الوزراء ان يرسم « سياسة الدولة الداخلية والخارجية والمالية والاشراف على تنفيذها ».

وبعد ان اصبح الفيصل ملكاً للعربية السعودية ، رأى – بغية متابعة مسيرة الاصلاح ، ومنعاً لكل ازدواج في الحكم قد يعتور المسيرة – من واجبه الاحتفاظ بمنصب رئيس الوزراء ، على ان يكون له نائبه في رئاسة المجلس في حال تغيبه . وقد نصت المادة (٧) من نظام مجلس الوزراء المعدل بتاريخ ١٤ رجب ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤م) على ما يلي : « مجلس الوزراء هيئة نظامية يرأسها جلالة الملك ، وتعقد اجتماعاتها برئاسة جلالته او نائب رئيس مجلس الوزراء ، وتصبح قراراته نهائية بعد تصديق جلالة الملك عليها » .

وأقرت المادة (٨) من النظام المذكور ان كافة أعضاء المجلس مسؤلون أمام جلالة الملك ، اذ نصت على ما يلي : « يتم تعيين أعضاء المجلس وأعفاؤهم من مناصبهم وقبول استقالاتهم ، بأمر ملكي ، ويكون جميع أعضاء المجلس مسؤولين عن أعمالهم أمام جلالة الملك » .

أما المادة (٤) فتقرر ان المجلس هو الموجه لسياسة الدولة العامة ويعمل على التنسيق بين الوزارات ، وهذا نصها : « رئيس مجلس الوزراء هو الذي يوجه السياسة العامة للدولة ، ويكفل التوجيه والتنسيق والتعاون بين مختلف الوزارات ، ويضمن الاضطراد والوحدة في أعمال مجلس الوزراء ، ويتلقى التوجيهات السامية من جلالة الملك للعمل بموجبها ، وهو الذي يوقع قرارات المجلس ويأمر بتبليغها الى الجهات المختلفة وله الاشراف على مجلس الوزراء والمصالح العامة ، وهو الذي يراقب تنفيذ الأنظمة والقرارات التي يصدرها مجلس الوزراء » .

ويمثل مجلس الوزراء دوراً خطيراً في حياة المملكة ، لكونه يملك السلطات المتعددة ، ويرسم سياسة الدولة الداخلية والخارجية ، والسلطات

التشريعية والتنفيذية والادارية ، وقد نصت المادة (١٨) من النظام على ما يلي : « يرسم مجلس الوزراء السياسة الداخلية والخارجية والمالية والاقتصادية والتعليمية والدفاعية وجميع الشؤون العامة للدولة ، ويشرف على تنفيذها ، ويملك السلطة التنظيمية والسلطة التنفيذية والسلطة الادارية ، وهو المرجع الأعلى للشؤون المالية ولجميع الشؤون المرتبطة في سائر وزارات الدولة الأخرى ، وهو الذي يقرر ما يلزم اتخاذه من اجراءات في ذلك ، ولا تعتبر المعاهدات والاتفاقيات الدولية نافذة الا بعد موافقته ، وقرارات مجلس الوزراء نهائية ، الا ما يحتاج منها لاستصدار أمر او مرسوم ملكي طبقاً لأحكام هذا النظام » .

أما المادة (٢٥) من النظام ، فقد بينت الاختصاصات التنفيذية لمجلس الوزراء بما يلي « للمجلس باعتباره السلطة التنفيذية المباشرة ، الهيمنة التامة على شؤون التنفيذ ، وهو صاحب الاختصاص الأصلي في اتخاذ جميع ما يرى في مصلحة البلاد . ويدخل في اختصاصاته التنفيذية الأمور الآتية :

١ ـ مراقبة تنفيذ القرارات والأنظمة .

٢ ـ احداث وترتيب المصالح العامة والوظائف ، وتعيين وفصل وترقية مديري المصالح والموظفين الذين يشغلون المرتبة الثالثة فصاعداً او احالتهم على المعاش .

٣ ـ لمجلس الوزراء ان يقرر انشاء لجان تحقيق تتولى التحري عن سير أعمال الوزارات والمصالح بصفة عامة او عن قضية معينة ، وترفع لجان التحقيق نتائج تحرياتها الى المجلس في الوقت الذي يحدده لها ، ويبت المجلس في نتيجة التحقيق حسب النظام » .

ومن جهة أخرى أشارت المادة (٢٦) الى السلطة الادارية لمجلس الوزراء

وجاء فيها : « مجلس الوزراء هو السلطة المباشرة لادارة البلاد ، وله الهيمنة التامة على كافة قضايا الادارة ، وتدار المناطق المختلفة في كافة انحاء المملكة بموجب أنظمة تسن لذلك » .

وحسب نص المادتين (٣٧ و ٣٨) من النظام ، يصدق مجلس الوزراء على ميزانية الدولة . تقول المادة ٣٧ : « يصدق مجلس الوزراء سنوياً نظاماً بميزانية الدولة يشمل على تخمينات الواردات والمصاريف لتلك السنة ، ويرفع لجلالة الملك لتصديقه ، ويجري تصديق الميزانية قبل السنة المالية بشهر على الأقل ، فاذا حلت السنة المالية وحالت أسباب اضطرارية دون تصديق الميزانية ، وجب السير على الميزانية السابقة بنسبة اثنى عشرية حتى صدور الميزانية الجديدة » . وتقول المادة ٣٨ : « كل زيادة يراد احداثها على الميزانية لا تكون الا بموجب نظام او قرار من مجلس الوزراء » .

وقد منح النظام الوزير صلاحيات كبرى فيما يختص بشؤون وزارته ، وذلك حسب نص المادة الثامنة منه وقد جاء فيها : « يعتبر الوزير هو الرئيس المباشر والمرجع النهائي لشؤون وزارته ، ويمارس اعماله وفق أحكام هذا النظام والنظام الداخلي لوزارته» . ومنح النظام الوزير فضلاً عن ذلك ، حق عرض مقترحاته على مجلس الوزراء في ما يدخل بنطاق اختصاصات وزارته ، وذلك في المادة (٢٢) وتنص : « لكل وزير الحق بأن يقترح على المجلس مشروع نظام يدخل ضمن أعمال وزارته ، لغرض اقراره ، وللمجلس الموافقة عليه او رفضه ، واذا رفض المجلس اقتراحاً فلا يجوز اعادة عرضه عليه الا اذا دعت الضرورة لذلك ، كما انه يحق لكل عضو من أعضاء مجلس الوزراء ان يقترح ما يرى مصلحة من بحثه في المجلس » .

وقد مثل النهج الفيصلي دوره الكبير في تطوير واقع الحكم ، من خلال نظام مجلس الوزراء ، وتحديد معالم صلاحيات هذا المجلس وصلاحيات أعضائه ، في قيادة دفة الحكم الى ما فيه الخير العام ، وتوجيه الدولة في



لا عمل متقناً بلا برمجة ... مجلس التخطيط الأعلى في الرياض .

سبيل الاصلاحات الجماعية ، وبالتالي انشاء دولة عصرية متطورة بوجهها الحضاري المشرق وأسسها الاسلامية العميقة .

النهج الإصلاحيّ والنظام الإداريّ

كان فيما تناوله الفيصل بسبر الاصلاح في معترك البناء الحضاري ، النظام الاداري الداخلي ، في فترة ترأسه مجلس الوزراء ، إذ أعلن في بيانه الوزاري لعام ١٣٨٢ هـ ١٩٦٢ م :

« لم تكتف حكومة صاحب الجلالة في التفكير فقط في نظام أساسي يضع قواعد الحكم المركزي فحسب ، بل انها قامت بدراسات مختلفة لوضع نظام للمقاطعات ، يوضح طريق الحكم المحلي لمناطق المملكة المختلفة ، ولقد تبلورت شتى الدراسات التي تمت لمشروع نظام المقاطعات لدرجة لن يطول معها ظهوره الى حيز الوجود ، وسيكون عند صدوره عاملاً فعالاً في دفع عجلة التطور الاداري والسياسي والاجتماعي لمملكتنا الفتية » .

وهكذا وبهمة قعساء ، قاد النهج الاصلاحي الى تأسيس اللجنة العليا للاصلاح الاداري التي تم الاقرار على انشائها من قبل مجلس الوزراء في ٤ رجب عام ١٣٨٣ هـ (٤ تشرين الثاني – نوفمبر ١٩٦٣ م) ، بغية اتخاذ كافة الاجراءات التي تحقق الاصلاح الاداري ، بعد استقدام لجنة من الخبراء والفنيين لدراسة الجهازين الاداري والمالي في المملكة ، وعرض المقترحات العلمية والعملية للنهوض بالجهاز الاداري .

وجدير بالذكر ان المملكة كانت قد أدركت نقصها الكبير في مجال التنظيم الاداري وقصور الخبراء السعوديين ، فأنشأت في عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م)

معهداً للادارة العامة باسم « معهد الادارة العامة للتنظيم الاداري » ، وقد حددت الحكومة مهمة هذا المعهد بالنقاط التالية :

١ – رفع كفاية موظفي الدولة عن طريق تدريبهم على مختلف مستوياتهم.

٢ – المساهمة في التنظيم الاداري وتقديم المشورة الادارية للوزارات والمصالح .

٣ – جمع وتبويب وتصنيف الوثائق الادارية ، حكومية ودولية ، لمساعدة المسؤولين والباحثين في الشؤون الادارية واطلاعهم على تجارب الآخرين ، ونشر البحوث والبيانات الادارية .

وكان من أول أهداف النهج الفيصلي لاصلاح النظام الاداري ، ايجاد التعاون الفعال بين المسؤولين ، والعمل الجاد في نطاق وظائفهم ، لتحقيق المصلحة العليا للوطن ، فقال فيصل بن عبد العزيز :

« انني ارجو من كل زميل في هذه الدولة ، من أكبر مسؤول الى أصغر موظف ، ان يكون عوناً لنا في تحقيق ما نصبو اليه من تعاون وتكاتف واخلاص ، وان يعتبر كل فرد منهم انه مسؤول في دائرة اختصاصه عما يؤمن المصلحة العامة » .

وفي عام ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣م أقرّ مجلس الوزراء بقيادة الفيصل نظام الحكم المحلي الذي عرف باسم « نظام المقاطعات » ، والذي يعتبر خطوة فعالة كبرى لتطوير النظام الاداري في سبيل تعزيز الادارة المحلية لمقاطعات المملكة المختلفة .

وبهذا اعتبر حكام المقاطعات موظفين اداريين ملحقين بوزارة الداخلية ، ويكون كل منهم الممثل الفعلي للحكومة في منطقته الادارية . وقسمت المقاطعة الى مناطق او محافظات ، يدير كلا منها محافظ ، وقسمت المنطقة

الى مراكز يسمى مديروها رؤساء مراكز .

وفي الوقت نفسه ، أقرّ نظام الحكم المحلي ، انشاء مجالس المقاطعات التي تشترك مع حكام المقاطعات في ادارة الوحدات الادارية الجديدة .

ويعتبر حكام المقاطعات المسؤولين الاداريين المباشرين عن مقاطعاتهم ، وينوب المحافظ عن الحاكم في ادارة المحافظة او المنطقة ، ويعين من قبل مجلس الوزراء . وقد اشترط النظام الجديد في حاكم المقاطعة التمسك « بتقوى الله ومراقبته تعالى ، وانفاذ أحكام الشريعة الغراء ، في نفسه وعمله ، والمحافظة على الآداب الدينية وعلى الأغراض والأحوال الشخصية والحقوق العامة » . وحاكم المقاطعة هو المشرف على أعمال المناطق والمراكز ، والمكلف بمراقبة أوضاعها الداخلية .

والى جانب حكام المقاطعات ، تنشط كذلك « مجالس المقاطعات » في الادارة ، وهي تعتبر بمثابة مجالس شعبية هدفها تحقيق عدالة الحكم المحلي ، ودفع التطور الاجتماعي والاقتصادي لكل مقاطعة الى أمام، وتأدية الخدمات الاجتماعية والشعبية ، وتطوير المجالات الثقافية المحلية، والعمل على محو الأمية بالتعاون مع وزارة المعارف ، وتشجيع الجمعيات التعاونية ومساعدتها ، ودعم الهيئات الاجتماعية والخيرية .

وأقرّ مجلس الوزراء ان على كل وزارة درس مقترحات « مجالس المقاطعات » ، وتنسيق الأعمال معها ، وتحقيق المشاريع التي تضعها بروح التعاون البناء .

وبذا يمكن القول بكل اطمئنان ان المملكة العربية السعودية قد سارت شوطاً بعيداً في مضمار تحقيق البرامج الاصلاحية ، وتطوير النظام الاداري ، واقرار نظام الحكم المحلي ، هادفة الى اشتراك المسؤولين والمواطنين في دفع عجلة تطور المجتمع السعودي بكافة المجالات : ثقافة وصحة ، واجتماعاً

وعمراناً ، واعطاء الدولة السعودية وجهها الحضاري البارز بين دول العالم الثالث .

الفيصل ورسالة القضاء

وتتم رسالة فيصل الاصلاحية باشتمالها على تنظيم القضاء ، لأن القضاء هو المحك الفعلي لديمقراطية الحكم وتكامل المؤسسات الدستورية ، والمؤشر الفعلي الى التطبيق العملي للمفاهيم الاسلامية .

فقد أعار النهج الفيصلي في الحكم ، القضاء ، اهتماماً خاصاً ، اذ تم انشاء وزارة العدل الى جانب المحاكم المختلفة في الدولة ، ومما جاء في بيانه الوزاري لعام ١٩٦٢ قوله :

« تحرص حكومة صاحب الجلالة على ان يكون للقضاء حرمته ومكانته ، فهو مناط القسط ورمز العدالة ، وكلما ارتفع شأنه وعظمت حرمته كلما حققنا بذلك هدفاً أساسياً من أركان ديننا الاسلامي الحنيف ، وقد عقدنا العزم على مضاعفة الجهود نحو هذه الغاية ، واصدار نظام لاستقلال القضاء ، يمسك بزمامه مجلس أعلى للقضاء ، وقررنا انشاء وزارة للعدل تشرف على الشؤون الادارية للقضاء ، ويلحق بها نيابة عامة للدولة ترعى مصالح المواطنين وتذود عن حقوقهم ، وتقوم بالتعاون مع المحاكم المختلفة للدولة مقام الحارس الأمين الذي يدافع عن المظلومين ويضرب على أيدي الظالمين » .

والقضاء في العربية السعودية احقاق كلمة الله في عباده ، واقامة ميزان العدل فيما بينهم ، سواء أكان المتقاضون مواطنين أم أجانب ، تساوقا وقوله تعالى : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » وقوله جلّ شأنه : « ان الله يأمركم أن تؤدوا

الأمانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » .

وقد أحيت العربية السعودية النظام العربي الاسلامي الذي عرف باسم « ديوان المظالم » وهدفه النظر في القضايا والخلافات التي قد تقوم ما بين دوائر الحكومة والمواطنين ، وهو يرتبط برئاسة مجلس الوزراء . كما تم انشاء « لجان قضائية » ترتبط بوزارة الشؤون الاجتماعية ، وهدفها النظر في الخلافات التي تشجر بين العمال وأرباب العمل .

والى جانب كل هذه المؤسسات الدستورية، فان الفيصل بوجهه الديمقراطي الاسلامي المشرق ، ومناقبيته العربية الخالصة ، يمثل الدور الكبير في ارساء قواعد العدالة ما بين المواطنين ، وليس مجلسه المشرع الأبواب لكل من يود ان يغشاه من ذوي المصالح والقضايا ، الا احياء لسيرة الخلفاء الراشدين في الحكم. وهل يمكن لأي مواطن سعودي إلا ان يهتز في أعماقه،ويشعر باطمئنانه الروحي الى حقه وهو يستمع الى قول الملك فيصل :

«اذا اعتقد أي انسان ان معاملته قد أسيئت فانه هو الملوم لعدم ابلاغي»

او عندما يستمع الى ندائه هذا :

« لا أريد من المواطن ان يشتكي بينه وبين نفسه ، او بينه وبين زميله ، او ان يشتكي في مجلس خاص ، بل أريد منه ان يأتيني ويشكو اليّ ويثبت على المرتكب ، وسترون ان اعظم العقوبات التي لا يتصورها ستتخذ بحق المتلاعبين بحقوق الشعب والمواطنين .

والقضاء في الاسلام هو المرادف لفحوى العدالة ، ومعنى المساواة ، والترجمة العملية لقوله تعالى : « ان اكرمكم عند الله أتقاكم » والحديث الشريف : « الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى » . وعلى هذا الضوء ندرك معنى استدعاء الفيصل ذات مرة حاكم الحجاز لينظر بنفسه في شكوى تقدم بها ضده

جانب من ميناء الدمام .. باباً مشرعاً على العالم ...

أحد المواطنين .

وليس ما قدمنا بالمثل الأوحد ، وانما هناك المئات من الأمثلة ، وكلها تدل على تمسك الفيصل بنبراس العدالة ، والعمل على تأمينهـا لجميع المواطنين على السواء .

وهل يمكن لأي عربي الا ان يهتز اعتزازاً حين يقرأ قول الاستاذ أحمد الشيباني في كتابه « الاخلاقية الثورية والاخلاقية العربية » :

« وعندما يأمر الملك نجله بالتوجه الى منزل أحد المواطنين والاعتذار له، لأن المواطن قد ادعى ان نجل الملك قد انتهر ابنه في ميـدان السباق ، فهذا الأمر يدل على ان التواضع والاحترام هما اللذان يضفران للعـدل اكليله . وعندما يقدم الملك على تكليف من ينوب عنه للمثول أمـام القضاء في دعوى حقوقية رفعها أحد المواطنين عليه بالذات ، فهذا يعني ان العـدل هو أساس الملك القائم في السعودية » .

ان من حق المملكة العربية السعودية ان تفخـر كل الفخر ، وتعتز ابلغ الاعتزاز ، وهي ترى الى صرح قضائها يتسامى ، والى حبل أمنهـا يستقر ، والى وجه مليكها يشرق بسياء الحق ، والى شعبها وهو يفيء الى دوحـة العدالة والاخاء والمساواة .

الاقتصادُ الحرّ في النهج الفيصليّ

من السمات البارزة للنهج الفيصلي ، ترسيخ قواعـد التعاون الواسع ما بين الحكم والشعب ، والدولة والأفراد ، لدفع واقع النظـام في طريق التطور المثمر . ومن خلال هذا التعاون البنّاء برزت صيغة «النظام الاقتصادي الحر»

الذي يتفق وروح الشريعة الاسلامية ، في اطـــلاق الحرية الفردية وتفجير مواهبهـــا .

ويقول الفيصل حول تبني المملكة اسلوبها الخاص في النظام الاقتصادي :

« اننا أيها الأخوة ، اخترنا لنظامنا الاقتصادي « النظـام الحر » ، وفي اعتقـــادنا ان هذا، علاوة على انه يتفق تمام الاتفاق مع شريعتنا الاسلامية، يقوم بافساح المجال لكل الكفاءات من الشعب ، حتى يبذل كل شخص ، وكل جمع ، مجهوده في سبيل الصالح العام » .

ولكن اذا ما عدنا الى دراسة صيغة « النظام الاقتصادي الحر » كما تطبقه العربية السعودية ، فهل نراه متطابقاً كل التطابق مع انظمة الدول الرأسمالية، ومتعارضاً كل التعـــارض مع النظام الموجه السائـــد في الدول الأخرى ؟ وبكلمة أخرى : هل أباح النظام الاقتصادي الحر في المملكة السعودية للأفراد ان يفعلوا مـــا يريدون ويقترفوا ما يشاؤون ، فيما هم يمـــارسون حرياتهم الاقتصادية ، دون أية رقابة او توجيه من الدولة ؟

ان كلاً من النظامين العالميين ، الحـــر والموجه ، ليس شراً كله ولا خيراً كله ، وانما لكل منهما محاسنه ومساوئه . فمن مميزات النظام الأول وتأخـــذ به دول الغرب انه يطلق للفرد كل حوافـــزه لتطوير الحيـــاة الاقتصادية في البلد الذي ينشط فيه ، لكنه من جهة أخرى يقيم للمال دولته بحيث يكون هو الغاية والهدف .

وفي الطرف المقابل نرى النظام الموجه يقتل الحـــافز الفردي والمبادرة الشخصية ، لاستقطاب الدولة لكل وسائل الانتاج باسم الملكية الجماعيـــة ، وتمسكها بيد فولاذية بحجة منع استغـــلال الفرد للمجموع . لكن المجتمع لا يلبث ان يتحول الى براغ صغيرة في ماكنة الدولة الهائلة ، لتقف على ادارتها قلة قليلة من البيروقراطية الفنية والحزبية تتمثل بالطبقة الجديدة التي تحـــدث

عنها مطوّلاً الكاتب اليوغوسلافي ميلوفان دجيلاس .

والذي عمله الفيصل في هذا الصدد ، انه نفى من كلا النظامين جـانبه السلبي وأخذ بالجانب الايجابي منه. قال جلالته مبيناً مثالب الاقتصاد الموجه، جواباً على سؤال طرحه عليه الدكتور منير عجلاني :

« ان الاقتصـاد « الموجه » بالمعنى الذي فهمته طـائفة من الحكومات ينتهي دائماً الى سيطرة الدولة الكاملة على اقتصاد البلاد ووضع يدهـا عليه ، بل حلولهـا محل الأفراد والشركات ، فيفقـد الاقتصاد عنصرين جليلين كانا يضمنان له الازدهـار والابتكار ، وهمـا : ١ ـ الحافز الشخصي ، ٢ ـ التنافس » .

اذن فالملك فيصل مع النظام الحـر ، ولكن هل يأخذ هذا النظـام على علاته ؟ يقول جلالته مبيناً واقع النظام الحر في المملكة العربية السعودية :

« اننا لا نقيد حرية أي انسان في أن يستهدف في عمله وفي اتجاهه مـا يرى ان فيه صالحاً عاماً ، ولكن هذا لا يعني اننا نترك الحبل على الغارب ، اذا ما رأينا ما يستوجب التدخل » .

فجوهر النظام الاقتصادي السعودي يمنح الفرد حريته في الانتاج والابداع، ولكنه لا يسمح له بالغش والتلاعب والاساءة الى المصلحة العـامة . وهـو ينطلق من واقع الدول النـامية السليمة ، التي تطلق للفرد حـافزه الشخصي ومبادرته الذاتية ، وتدخل في الوقت نفسه القطاع العـام الى جانب القطاع الخاص ، ولكن لا لتخنقه بـل لتتكامل معه . وهكذا تمثل الدولة دورهـا الايجابي في تطوير الجوانب الاقتصادية الهامة ، وتوجهها في طريق المصلحـة العامة للوطن والشعب ، دون ان تتحول الى قبضة حديدية تخنق كل نوازع الطموح والابداع .

ونستنتج مما تقدم ان النظام الحر الذي تأخذ به المملكة السعودية ليس

بالنظام الرأسمالي الغربي ، كما انه ليس بالنظـــام الموجه السائد في الدول الاشتراكية التي لا منفذ للحرية والتطلعات الشخصية فيها . ذلك ان الشريعة الاسلامية قد أقرت الحرية الاقتصادية ، بمعنى اعطاء الفرد الحق في ممـارسة حرية التجارة والعمل والتملك . وهي تبيح الحرية الفردية وتصونها ، وتقر بحق الفرد في ان تكون له نشاطاته الحياتية يديرها بنفسه دون تدخل الدولة ، شرط ألا يضر هـــذا النشاط بالمجتمع ، أي ان له حرية الابداع والابتكار والانطلاق واعطاء حياته أبعادهـــا الانسانية الحقة في اطـــار المجتمع والمصلحة العامة .

لقد كفلت المملكة العربية السعودية للأفراد والشركات ، حرية العمـل وحرية الانتاج ، ولكنها لا تسمح لهم ولها بالتصرف بدوافع الانانية والاثرة والاضرار بالمصلحة العامة . ويقول الفيصل في هذا الصدد :

« لقد زعم بعضهم اننا سنأخذ بمبدأ التأميم . لا !.. ولكننا سنطلب من الشركات التي لها مساس بمصـالح الجمهور – كشركات الكهرباء – ان تخفض أسعارها بما يتلاءم ومقدرة الفقير وأبناء الشعب . فان لم تفعل فعلنا نحن مـا يلزم تجاهها » .

فالنهج الفيصلي للحياة الاقتصادية ، يقـوم على أسس الدراسة والتمحيص والتعمق بواقع المعطيات الاقتصادية الموضوعية . والمدرسة الفيصليـة مدرسة قائمة بذاتها ، وقد أعدّت لكل حادث حديثه ، ولكل معطى حقه وجوابه . وقد أجمل الاستاذ احمد عسة موقفها في مثل هذه الأحوال بقوله :

« صحيح ان قانون العرض والطلب هو الذي يحـــدد الأسعار ، وينظم علاقات المنتج والمستهلك ، تنظيمه لعلاقات صاحب رأس المال مع العامل ، الا ان الانطلاق من هذا المبدأ العام ، لا يعني الاضرار بالصالح العام . ذلك انه اذا لم يراع المنتج الصالح العام للمستهلكين ، كان على الدولة ان تتدخل ،

لا عن طريق نزع الملكيـــة من المنتج ، ولا عن طريق تأميم مشروعه او مصادرته ، وانمـــا عن طريق شراء المرفق الذي يؤمّن خدمة عامة للشعب المستهلك ، ودفع ثمنه لصاحبه حالاً مع ربح معقول ، لتقوم الدولة بعدهـــا بتأمين الضروريات للمستهلكين من أفراد الشعب على نحو لا يرهقهم ويتفق مع قدرتهم على الانفاق ، لأن الحاجات الأساسية للشعب ، ومنها الماء والكهرباء، يجب ان تقدم للناس بأسعار الكلفة ، واذا صادف ان أسعار الكلفة لبعض ضروريات المعيشة قد ارتفعت موقتاً لسبب طارىء جعلها أعلى من قـــدرة عامة الشعب على الشراء ، وجب ان تتحمـــل الدولة بعض النفقة ، فتقوم بتخفيض أسعار المواد الغذائية وأسعار الماء والكهرباء،تأميناً لبعض ضروريات العيش الكريم في متناول الشعب دون ارهاق » .

ان الدولة تقوم بتحمل بعض الاعبـــاء ، وتدفع شطراً من النفقات ، فتخفض اسعار المواد الاستهلاكية ، لتخفف من اعباء عامة الشعب ، وتجعل هذه المواد في متنـــاول الجميع ، كي لا تبرز أية ظروف ترهق المواطنين كما يحدث في العديد من الدول ذات الاقتصاد الحر والاقتصاد الموجه على السواء.

لقد حرصت المملكة على تحقيق العدالة والاخاء في ظل النظام الحر الذي لا مكان فيه لاستغلال ظـــالم ، أو طبقية حقود ، وانما الجميع مواطنون متعاونون على ما فيه خير المجتمع ورفاهية الجميع . يقول الملك فيصل :

« الكل مواطنون ، المستهلك وصاحب المؤسسة ، والتـــاجر وصاحب الشركة ، فيجب ان يتحمل كل فريق ما يخصه في خدمة هذا الوطن ، وعلى الحكومة ان تتحمل كل ما يعجز عنه أفراد الشعب » .

وفي ظل حرية هذا النظـــام وفيء رحمته ، تتكافل الأعمـــال المادية والنشاطات الفكرية وتتكامل ، احقاقاً للعدالة الاجتماعية ، ومضياً في النهج الاصلاحي الخيّر . ومن أجـــل ذلك يوجه الفيصل هذه الدعوة الحـــارة

للمواطنين :

« أوجه رجائي لأخواني المواطنين من أصحاب رؤوس الأموال ومن القادرين ومن المفكرين ، على ان يتكاتفوا وان يتعاونوا وان يسهلوا للحكومة طريق الصلاح وان يعاونوها على ذلك ، وان يندمجوا معها في سبيل الصالح العام ، وفي خدمة هذا الوطن الطيب وشعبه المجيد » .

لقد أخذ النهج الفيصلي على عاتقه تحقيق التحولات التاريخية في المملكة العربية السعودية ، متوسلاً الى ذلك انجاز التنمية الاقتصادية ، ونقل المجتمع من واقع التخلف الى معارج الحضارة ، وبدهي ألا تلقي الدولة هذا العبء على القطاع الخاص وحده ، وهو في طور تكوّنه ، ولذا سارت قدماً في تحقيق وثبتها الحضارية بتبني اقامة المشاريع الاقتصادية الحيوية المتعلقة بالصناعات الثقيلة التي تتطلب رؤوس أموال ضخمة. وبذا أقامت قطاعها العام لكن لا ليعمل بمفرده ، وانما ليسهم الى جانب القطاع الخاص ، بالنهوض بهذا البلد الطيب . فالدولة السعودية لم تفكر البتة بحصر المشاريع الاقتصادية بنفسها ، مبتعدة بذلك عن واقع « رأسمالية الدولة » ، وانما سعت سعياً حثيثاً ليكون القطاعان ، العام والخاص ، متكافلين متعاونين متكاملين .

الحُريّة والعدالة هما الهدف الأسمى

ان السيرة الفيصلية في المملكة العربية السعودية ، هي سيرة العزة والكرامة ، سيرة الحرية والعدالة ، تستمدها من التقاليد العربية العريقة ، والمفاهيم الاسلامية السامية ، لا تبتغي في ذلك الا وجه الله ولا تنشد الا خير الشعب . يقول جلالته مخاطباً المواطنين بلهجته المخلصة الصادقة :

« نحن لسنا في حاجة الى الدعاية ، حتى نتبع الطريق التي تؤدي الى

العدالة الاجتماعية . ذلك لأننا سائرون فيها فعلاً ، ببركة الله سبحانه وتعالى. وباتباعنا دستورنا في الحكم ، وهو القرآن . اننا نطبق العدالة الاجتماعية الحقيقية ، وهي حق لكم وواجب علينا ، فنحن خدامكم ، وخدمتكم هي مصدر اعتزازنا » .

ونظرة الملك فيصل الى الحاكم الصالح ، يحددها الموقف الذي يتخذه الحاكم من احقاق الحق ، واقامة ميزان العدالة في الرعية . يقول جلالته :

« ان الهدف الذي يسعى اليه كل حاكم صالح هو تحقيق العدالة الاجتماعية لأفراد الشعب . وهذا ما نفعله هنا في هذا البلد ، ونضعه نصب أعيننا دائماً، مهتدين بتعاليم الشريعة السمحة ، ولسنا بحاجة الى استيراد المبادىء او الشعارات من الخارج لمجرد التقليد » .

والترجمة العملية للعدالة الاجتماعية ، هي اقامة البناء الاجتماعي العام المتوازن والمتناسق في نطاق المصلحة العامة ، تطبيقاً لا ادعاء ، بعيداً عن اللغو الكلامي ، وبمنأى عن النظريات والايديولوجيات التي قد لا تعني سوى التضليل الفكري ، والارهاب الدكتاتوري ، والاعتداء على الحريات العامة . يقول الفيصل :

« ان سياستنا تستهدف العمل للصالح العام ، وضمان حقوق المواطنين ، كما تستهدف الانشاء والتعمير والبناء، وتؤمن بالعمل الجاد لا بالجدل والنظريات التي لا تنتهي بعمل مثمر » .

وتتكامل صورة العدالة بتوأمها الحرية ، وهي بالطبع حرية البناء لا التخريب ، والاصلاح لا الافساد ، ومن هنا كانت وقفة الفيصل الشجاعة التي حرر بها الارقاء وأعاد اليهم كرامتهم ، رغم ما كلف ذلك خزينة الدولة من مبالغ كبيرة . وهل يمكن لجيش الرقيق ، وقد غدا جيش الحرية ، الا ان يكون عنصر بناء وعمل وانتاج وتعاون ؟ . .

ومن خلال تكامل توأمي الحرية والعدالة ، كانت تلك الانطلاقة العملاقة في المملكة العربية السعودية ، يقودها ذلك الربان الماهر الذي نذر نفسه لله وللوطن ، بكل طاقاته الفكرية ، وقواه النفسية ، وبكل ما يحتمل هيكله السمهري من جسمه الناحل ، الذي لا يفتأ يعمل ويسعى ، دائم النشاط ، دائب الحيوية ، منكراً ذاته الا للعمل الصالح ، ناسياً نفسه الا للسهر اليقظ على دفة الاصلاح .

ومن يجعل العلياء همة نفسه   فكل الذي يلقاه فيها محبب



الفصل السادس

المبادئ المضيئة للسياسة الخارجيّة

اذا كنت أسهم في السياسة ، فذلك لأن السياسة تحيط بنا من كل ناحية كما يلتف من حول الانسان ثعبان ولا يستطيع الخلاص منه مهما حاول . واني لأريد مصارعة هذا الثعبان ، لذلك فأنا احاول ادخال الدين الى السياسة .

غاندي



تفاعل الأوضاع الداخلية والخارجية

ان الطموح الخلاق لبناء دولة حديثة متطورة تشق لنفسها سبل التقدم من خلال واقع التخلف السابق ، لا بد من ان يرتبط بفعالية بمجرى الحياة الدولية ، من خلال ترابط السياسة الداخلية للدولة بالسياسة الخارجية ، فكلتا الناحيتين ضرورة متساوقة واختها في معركة التقدم والبناء .

واذا كانت المملكة العربية السعودية قد استطاعت ان تربح معركة الوحدة الداخلية من خلال النضال الاسطورى الذي خاضه فهد الصحراء الملك عبد العزيز ، فان خوض معركة البناء الداخلي تتوافق وتتفاعل بآن معاً مع اقامة العلاقات السليمة مع العالم الخارجي .

وقد كان الفيصل الساعد الأيمن لوالده عبد العزيز ، يسهم معه في النهوض بعبء الحكم،من خلال تمرسه بالحياة السياسية على صعيديها الداخلي والخارجي، وحسبنا في هذا الصدد ان العاهل المؤسس عهد لابنه الفيصل وهو في ميعة الشباب بوزارة الخارجية ، كما اختاره نائباً للملك لما امتاز به من رجاحة فكر وثاقب بصيرة ، ورحابة صدر ، وسعة أفق ، تدعمها ارادة فولاذية ، وطاقات هائلة لاتخاذ التدابير الحاسمة والقرارات الخطيرة ، في الوقت المناسب والمكان الملائم .

وتابع الفيصل دوره الفعال بعد غياب وجه والده ، بتقلده منصب رئاسة الوزراء ، ثم بتسلمه زمام السلطة كاملة يوم أجمع أهل الحل والعقد على رفعه

الى سدة الملك .

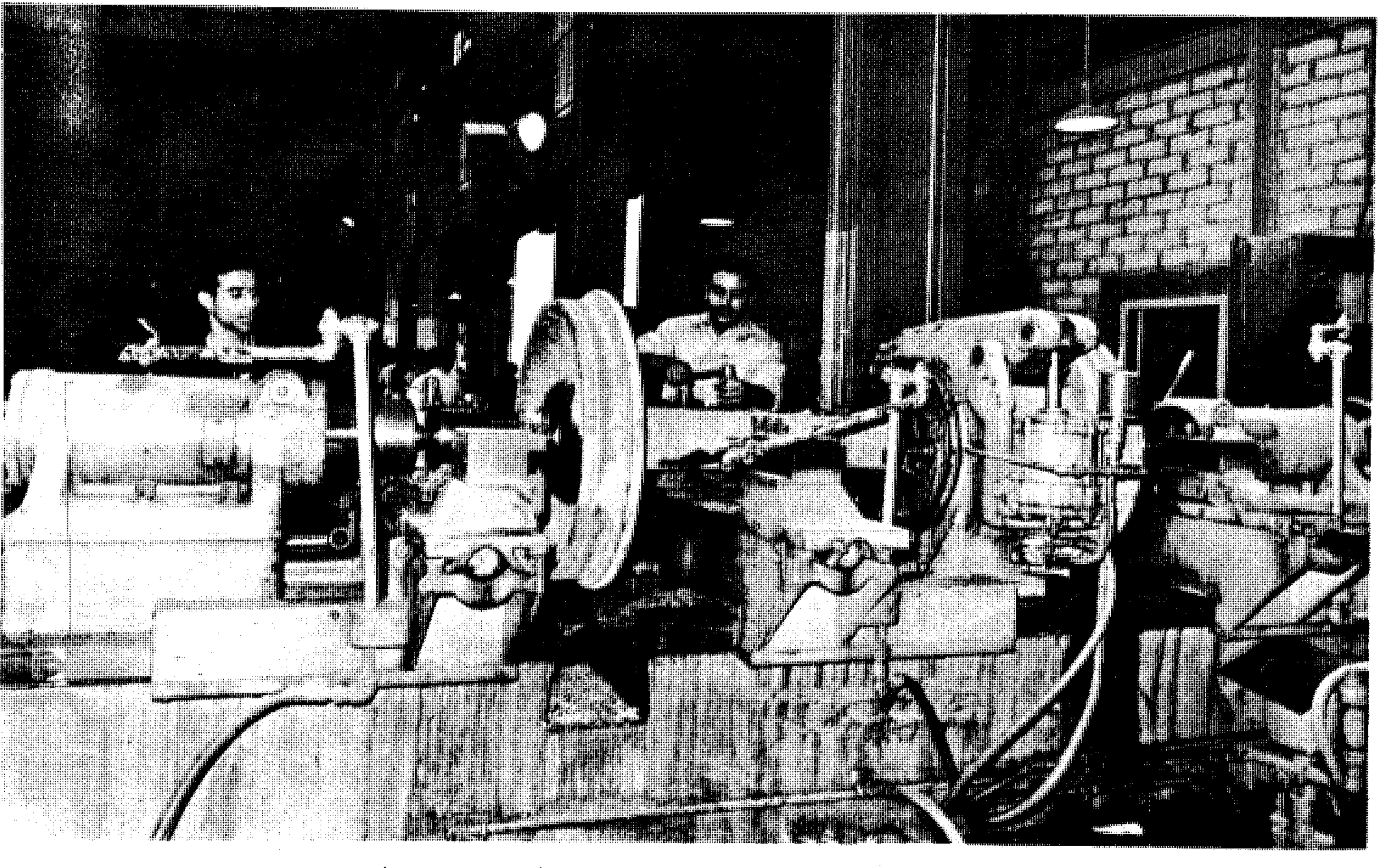
وقد أدرك الملك فيصل منذ أيام صباه ، أسرار الحياة الدولية ، ادراكه للواقع الاجتماعي الذي كانت تعيشه الجزيرة العربية ، وتعمّق الصلة ما بين الناحيتين ، وما يتبعهما من وشائج العلاقات الاقتصادية ، وما تفرضه على الدول الفتية من دعم للسلام العالمى ، وتحقيق للعدالة بين البشر .

وكان من وراء هذه المفاهيم بالنسبة للفيصل ومن قبله العاهل المؤسس ، العقيدة الاسلامية ، ورسالتها في الحياة ، وما مثلته في الماضي وما يجب ان تمثله اليوم في حياة الأمم،وبناء عالم الغد على أسس الاخاء والتضامن والسلام. فالاسلام هو المنبع الروحي الأول لكل ما يستلهمه القادة السعوديون في بناء الدولة ، وفي اقامة علاقاتها مع العالم الخارجي .

وقد تقدم الفيصل بنهجه المتكامل على كل صعيد ، جاعلاً نصب عينيه اقامة صرح العروبة على اسس واقعية سليمة ، ورفع لواء الاسلام ، تتقدم بها العربية السعودية على الصعيد الدولي رسالة اخاء بين الشعوب العربية الاسلامية ، في هذا العالم المحموم الذى تتجاذبه المذاهب المادية وتتقاذفه النظم السياسية المختلفة ، وويل للشعوب المستضعفة يوم يتغلب احدها على الاخر.

بعيداً عن معسكري الغرب والشرق معاً

من السمات الأولية لخارطة العالم السياسية التي تمخضت عن الحرب الكونية الثانية ، استقطاب اكثر القوى العالمية حول معسكرين جبارين : معسكر الرأسمالية ومعسكر الشيوعية . وأخذ كلا الجبارين يسعى لاهثاً جاهداً لمد



يشتد الاقبال في المملكة على المعاهد الفنية : دقة بالآلة ومهارة باليد ...

رقعة سيطرته على القوى الأخرى سياسياً واقتصادياً وعسكرياً .

وطفقت بعض الدول المستضعفة المستقلة حديثاً في الدوران كشهب صغيرة في فلك هذا المعسكر أو ذاك ، قبل أن تتبلور شخصيتها السياسية المستقلة ، مما يجعل طابعها الاستقلالي شكلياً محضاً وحبراً على ورق ! . .

لكن سياسة شد الحبل هذه ، على ما فيها من سلبيات، كان لها ايجابياتها أيضاً ، فقد تسربت من شباك القوة الغاشمة دول صغرى ، لم تلبث ان تنادت فيما بينها ، منتزعة كامل استقلالها ، لتحقق الانتصار تلو الانتصار في معركة الحرية والسيادة ، مطلة من خلال نضالها القومي بوجهها الأصيل الذي برزت به كقوة ثالثة ، والذي لم يبرح حتى عرف بوجه العالم الثالث .

وقد أدت سياسة التوسع الاستعماري، واشتداد الصراع ما بين المعسكرين العملاقين ، ومحاولتها فرض الوصاية على مجموعة الدول الحديثة الاستقلال ، الى تنادي هذه الدول ، وانضمام بعض هذه الدول الى بعض ، بهدف تأكيد وجودها القومي المتحرر ، وانتهاج سياسة مستقلة عن مراكز القوى، وبالتالي تحقيق حرية شعوبها في تقرير المصير ، بعيداً عن معسكري الشرق والغرب معاً ، في سعي جاهد دائب ، الى دعم حرية الشعوب المضطهدة ، واخماد بؤر الحرب اللاهبة ، وتعزيز السلام العالمي .

وهكذا وبقوة المستضعفين في الأرض ، بدأت تنجم في الأفق بوادر سياسية جديدة لشعوب العالم الثالث ، واضعة نصب أعينها هدف تبديل واقع الخارطة السياسية للعالم ، لتنهض بين طاقة المعسكرين الأساسيين قوة حيادية ثالثة ، تؤكد وجودها المستقل في خضم الصراعات العنيفة ، تحت شعار عدم الانحياز والحياد الايجابي .

والمملكة العربية السعودية التي تستلهم سياستها من عقيدة الاسلام السمحاء

الداعية — من موقف القوة — الى السلام ، والتي ترفض اول ما ترفض الاستعمار والتبعية السياسية ، قد وجدت في شعار عدم الانحياز النابذ لسياسة المعسكرات ، دعوة خير بناءة تخدم مصلحة البشرية جمعاء ، لما تتضمن من مفاهيم سامية عن العدالة والاخاء الانسانيين ، ولذا كانت في طليعة الدول التي تنادت الى اللقاء ، لتحقيق السياسة العالمية الجديدة للشعوب المتحررة في العالم الثالث .

القواعد السّياسية الدّولية للمملكة السّعودية

ولا يخفى ان المملكة السعودية ، كانت منذ تأسيسها تؤكد على استقلالها السياسي ، ورفضها كافة أشكال التبعية ، في عمل مخلص دؤوب ليكون لها دور فعال في توجيه السياسة العالمية ، مما لا يمكن أن يتحقق الا باقامة علاقاتها الدولية على أساس الاحترام المتبادل ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية ، ورفض التكتلات العسكرية أو الدخول في الأحلاف السياسية ، والاصرار على الحياد السياسي ما بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي .

ومن خلال هذا المنطلق ، وبوحي هذا المنهج ، كانت العربية السعودية — على الصعيد العالمي — في طليعة الدول التي تنادت لعقد مؤتمر باندونغ في اندونيسيا عام ١٩٥٥ ، وكان الوفد السعودي برئاسة فيصل بن عبد العزيز وكان آنذاك ولياً للعهد ورئيساً للوزراء .

وكذلك شاركت العربية السعودية في مؤتمر دول عدم الانحياز الذي دعت اليه يوغوسلافيا وتم انعقاده في بلغراد عام ١٩٦١ ، وكان يرمي الى توطيد السلام العالمي وتخفيف حدة التوتر ما بين الدول الكبرى .

وفي عام ١٩٦٤ ترأس الفيصل الوفد السعودي لمؤتمر دول عدم الانحياز

الذي عقد في القاهرة .

وفي جميع تلك المؤتمرات ، كان فيصل بن عبد العزيز يقوم بدور فعال في اثارة القضايا الهامة ، ومناقشة المشاكل العالمية ، والمشاركة في صياغة المقررات والتوصيات ، وحسن عرض القضايا العربية وفي رأسها القضية الفلسطينية .

وحسبنا تدليلاً على ذلك خطاب الفيصل الذي القاه بالقاهرة في العاشر من تشرين الأول – اكتوبر ١٩٦٤ (٤ جمادى الثانية عام ١٣٨٤) ، ذلك الخطاب الذي يمكن اعتباره النبراس الهادي الى معرفة القواعد السياسية الدولية للعربية السعودية . قال الفيصل :

« لقد كان للمملكة العربية السعودية في بلغراد شرف المشاركة في وضع المبادىء لمدلول عدم الانحياز ، ايماناً منها بأن هذه السياسة تتمشى مع سياستها المنبثقة من دينها وتقاليدها ، فهي تؤمن بالتعايش السلمي بين الدول على اختلاف نظمها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، دون التدخل في شؤونها الداخلية ، وممارسة الشعوب حقها في تقرير مصيرها واختيار نظمها السياسية والاجتماعية طبقاً لظروفها وحاجاتها وامكانياتها ، وان تعمل في سبيل تطورها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، وان تحل المشاكل الدولية حلاً سلمياً يرتكز على مبادىء الحق والعدالة » .

في وجه التطاحن الدولي على السيطرة ومناطق النفوذ

وليس من ريب في ان سياسة عدم الانحياز التي تبنتها العربية السعودية، ونشطت في نطاقها بكل اخلاص وايجابية ، قد جاءت متمشية والعقيدة الاسلامية السمحاء . قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة»

وقال جل شأنه : « وان جنحوا للسلم فاجنح لهـا » . ومنطلق السلم في الاسلام لا يمكن قبوله الا على اساس كامل العزة ومطلق الحرية وخالص المجد القومي . وهذا مـا عملت وتعمل له العربية السعودية ، مستلهمة مبادىء الحق والعدالة وحرية الشعوب ، مما ركز الملك فيصل عليه أمـام مؤتمر دول عدم الانحياز بقوله :

« ان المملكة العربية السعودية التي اتشرف بتمثيلها في هـذا المؤتمر ، تشغل القسم الأكبر من الجزيرة العربية ، وهي فضلاً عن مكانتهـا في المحيط العربي ، تحتل مكاناً هاماً في العالم الاسلامي لأنهـا منبع الحضارة العربية ، ومهبط الوحي ، والرسالة الاسلامية الخالدة التي أفاضت على العالم أجمع بمـا قدمته له من حضارة وتقدم ، وستبقى على مرّ العصور المؤتمنة على التراث الاسلامي ، والحامية لأماكن الاسلام المقدسة التي تهوي اليهـا أفئدة ستمائة مليون من البشر يستقبلون يومياً قبلتها ، ويؤدون فيها ركناً من أركان دينهم .

ومن هـذا المعين الروحي والتقليدي الذي لا ينضب ، تستلهم المملكة العربية السعودية سياستها التي تتفق ومبادىء الحق والعدالة والسلامـة التي نادى بها ميثاق الأمم المتحدة » .

وتناول الواقع العالمي ، والمخاطر التي تهدده من جراء الصراع الدولي ، الذي يقابله ويعارضـه ذلك الطموح الحي الذي عم الدول والشعوب دعماً للسلام العالمي ، وتوسلاً للعيش بسلام واطمئنان الى الغـد ، والتحرر من ربقة الاستعمار بسائر أشكاله القديمة والحديثة على حد سواء ، فقال :

« لقد عاش العالم بعد الحرب الأخيرة في دوامة من القلق على مصيره من جراء التطاحن لبسط النفوذ والسيطرة والاستغـلال ، وفي صراع حول المبادىء لاختيار حياة أفضل لمختلف شعوبه ، مما جعله يتخبط وهو في حيرة

من أمره، ومن هذا القلق والصراع انبثقت فكرة عقد مؤتمر باندونغ ثم مؤتمر بلغراد ، من الدول التي ترغب في ان يعيش العالم عيشة راضية ، بالتعاون تعاوناً صادقاً بين مختلف الشعوب دون النظر الى مذاهبها والوانها والنظم السياسية التي تدين بها.» .

واستعرض الوضع الدولي الذي انعقد فيه المؤتمر الأول لدول عدم الانحياز بقوله :

« لقد انعقد مؤتمر عدم الانحياز الأول في بلغراد عام ١٩٦١ في جو ملبد بالغيوم ، وشعور بالقلق على مصير العالم ، اذ كان اليأس مخيماً على مؤتمر جنيف لنزع السلاح ، وكان يبدو في الأفق ما ينذر بقيام حرب ذرية شاملة تدمر العالم . وكان الاستعمار في شكليه القديم والحديث يضيق الخناق على كثير من الشعوب .

العَدالَة والسِّيادَة القَوْمية للجميع

وهكذا كمسلّمة بدهية ، تؤكد السياسة العربية السعودية ، ايمانها بالحياد وعدم الانحياز ، تأكيداً لمفهوم السيادة القومية التي تعني استقلال الشعوب ، ووحدة تراب الوطن ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية ، مما بسطه الملك فيصل ، وشرحه في اكثر من مؤتمر ، وعلى اكثر من منبر دولي ، وحسبنا هنا ، اثارة لهذه الناحية ، الكلمة التي قالها في هيئة الامم المتحدة في الخامس عشر من شهر تشرين الأول — اكتوبر ١٩٦٢ إثر دخول عدد من الدول الصديقة وفي مقدمتها الجزائر المناضلة تلك المنظمة العالمية ، وقد جاء فيها :

« ان السيادة القومية التي هي حجر الأساس في ميثاق الأمم المتحدة ،

قد تدعمت بانضمام هذه الدول ، واذا ما عادت بي الذاكرة الى مؤتمر سان فرنسيسكو ، عندما اجتمعنا لوضع اسس هذه المنظمة الدولية ، فانه يسعدني ان أجد الأمم المتحدة اليوم وقد تضاعف اعضاؤها ، وانني لمسرور جداً بأن الكثير من الشعوب في افريقية وآسية قد نالت حريتها واستقلالها ، ولي وطيد الأمل في ان تزداد عضوية هذه المنظمة بتوالي انضمام الأمم التي تنال استقلالها ، كما ان من واجبنا الاستمرار في جهودنا من أجل أولئك الذين يتوقون الى الحرية والاستقلال ، واذا كان لا بد لنا من ان نعمل من أجل الدول المستقلة الحرة ، فكذلك لا بد من ان نوحد قوانا لاقتلاع التمييز العنصري . . »

وليس من خلاف في ان الأمم المتحدة قد استطاعت ان تلعب دوراً بارزاً في الحياة الدولية ، لكن عليها ان تقدم أيضاً الحلول لكثير من المشكلات العالمية المعقدة لدعم السلم العالمي ، وخدمة الاخاء الانساني ، وتحقيق العدالة للجميع دون استثناء . وقد قال الملك فيصل في ذلك :

« ولكي تكون الأمم المتحدة جديرة بالبقاء وبمبادىء ميثاقها ، فعليها ان تضمن العدالة والسيادة القومية للجميع ، وان تجتهد في منع خرق مبادىء القانون الدولي وجميع المبادىء التي أعلنت عنها الامم المتحدة ».

التزامٌ كاملٌ بالحقّ وَالعدْل وَحُرّية الشعُوب

والعربية السعودية التي ربحت معركة الاستقلال والوحدة والحرية بنضالها الاسطوري الفذ ، تدرك بالأعماق معنى الحرية ، وتوق الشعوب للاستقلال ، وحرصها على وحدة تراب وطنها ، ولذا فانها تعلن التزامها الكامل بالحق والعدل ، مؤكدة على السياسة الفعالة في حيادها الايجابي الذي هو على طرفي

نقيض من الحياد السلبي ، بوقوفها دائماً الى جانب الشعوب المضطهدة ، والدول التي تخوض معركة التحرر العادلة ومن هنا نتفهم المعنى العميق لتلك الكلمة المدوية التي القاها الفيصل في مؤتمر دول عدم الانحياز وجاء فيها :

« ان المملكة العربية السعودية تقف مع الشعوب في نضالها من اجل حريتها واستقلالها في افريقية وفي عمان والجنوب العربي المحتل ، وتقف ضد سياسة التمييز العنصري التي تبدو بأجلى مظاهرها في جنوب افريقيا ، واني استأذنكم في أن اتعرض هنا لموضوع يتعلق بجوهر المبادىء التي ننادي بها ونكافح من أجلها ، وأعني به قضية فلسطين ، فلقد حملت جميع الدول في الأمم المتحدة وفي مختلف المجالات الدولية ، حملات شعواء على لسان وفودها منددة بالاستعمار والتفرقة العنصرية والعدوان ، واننا لنرى جميع هذه المساوىء قد تجمعت في ما تعرض له الشعب العربي في أرض فلسطين من عدوان استعماري لم يجابه مثيله أي شعب من شعوب العالم » .

وبدهي أن يربط الملك فيصل قضايا الحياد الايجابي وعدم الانحياز ، بسياسة التحرر القومي والنضال من أجل السلام العالمي ، مما يشدنا الى واقعنا العربي المؤلم ، وتحول منطقة الشرق الأوسط الى بؤرة خطيرة للتوتر العالمي ، تهدد بأوخم العواقب الانسانية جمعاء ، ما لم تحل مشكلة السلام على اسس من العدالة والحق واحترام حرية الشعوب في تقرير مصيرها .

وفي غمرة نضال المملكة السعودية لتوطيد دعائم السلم العالمي ، يمكن ان نضيف الى ذلك السجل المشرق بالخير ، الناطق بالحق ، المترجم للأمل ، تلك الوقفة المشرفة للملك فيصل أمام هيئة الامم المتحدة ، والمطالبة بنزع السلاح ، ووقف التسابق على التسلح ، وابعاد شبح اخطار الحروب النووية .

الإيمان المطلق بانتصار إنسانية الإنسان

لقد دخلت البشرية حربين كونيتين لم تجن منهما غير الخراب والدمار والمجاعات ، وذهاب زهرات الشباب طعاماً للنيران التي تأكل الأخضر وتأتي على اليابس . وهذه البشرية بحاجة للسلام ، ومن مقومات السلام الهدوء المطمئن الى اشراقة الغد ، والاستقرار الذي من معانيه تفتق براعم الفكر والعمل على تطوير طاقات الانسان الاقتصادية والذهنية ، وبالتالي ضرورة العمل الجاد ، الهادف الى نزع التسلح ، وانهاء التجارب النووية في الجو وفي باطن الأرض .

والحفاظ على الحضارة البشرية المهددة بالفناء والدمار ، يحتاج أول ما يحتاج الى تضافر القوى المخلصة لتوفير المناخ الصحي لابداعاتها الانسانية ، وخوض معركة النضال ضد الثالوث البشع : الفقر والمرض والحرب . وقد قال الملك فيصل بصدد نزع السلاح :

« ان العالم أجمع لشديد الاضطراب للواقع الذي جعل مسألة خطيرة كهذه ، لا زالت تؤجل من دورة لأخرى دون اتخاذ خطوة واحدة تدفعها الى حل يمنح الأمل في سلام واستقرار الجنس البشري . ان حقيقة ما يدعو الى تجسيم مخاوفنا ويثير مكامن قلقنا ، ناجم عن السباق الى التسلح المعتمد على الأسلحة الفنية النعالة في فتكها الجماعي وقوة تدميرها ، على انه مما يؤسف له جداً ، وانه على الرغم من علم أصحاب القوى الذرية بخطر الحرب الذرية ، الا انهم لم يستطيعوا الوصول الى اتفاق من شأنه ان يهدىء روع الجنس البشري في هذا الجيل والأجيال المقبلة .

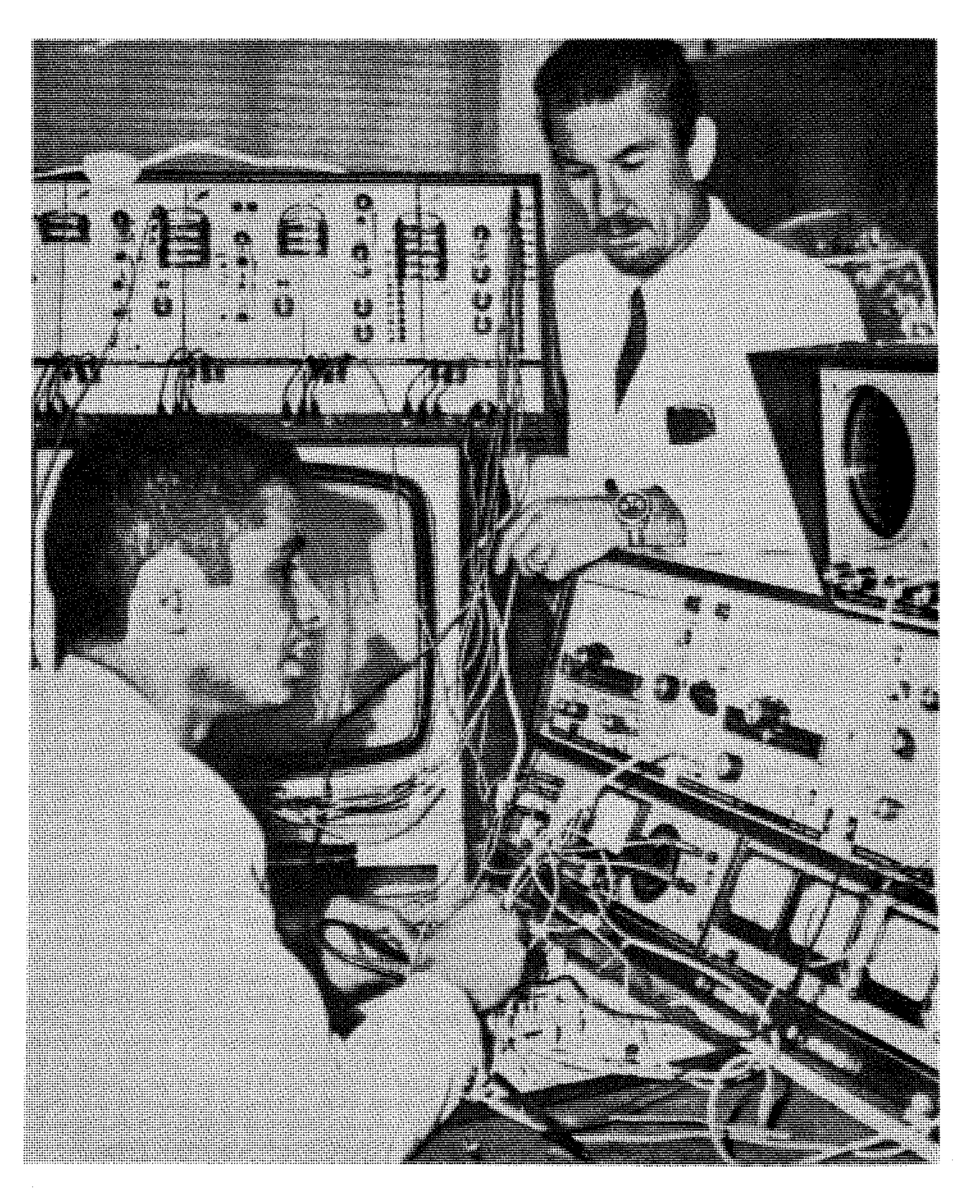
ان التجارب الذرية تجري باستمرار في الجو وتحت الأرض، متجاهلة ان جميع تقارير الأمم المتحدة قد أشارت الى خطر تلك التجارب ، وبالرغم من هذا كله فان جميع الجهود التي بذلت لوقف التجارب الذرية قد باءت بالفشل » .

ومما يلفت الانتباه ويثير الاهتمام ، ان الملك فيصل في نضاله الدائب في سبيل السلام العالمي وخير البشرية جمعاء ، انما ينظر الى المستقبل نظرة المتفائل ، المؤمن بانتصار انسانية الانسان ، وبناء الغد الأفضل ، انسجاماً منه مع عمق نظرة الاسلام الى الحياة ، التي ترى في صراع الضدين : الخير والشر ، والحق والباطل ، والحقيقة والزيف ، انتصاراً للخير ، وارتفاعاً لصوت الحق ، وترسيخاً لجذور الحقيقة بتربة الواقع . قال ابن عبد العزيز :

« اننا لم نفقد الأمل في أن تصل الأطراف المعنية الى اتفاق ، وعلى كل حال فان من واجب هذه المنظمة ان تقيم السلام على اسس الحق والعدالة ، وان تصون الجنس البشري والحضارة من الفناء من هذه الأرض . اننا نلتمس من كل القوى المعنية ان تطرح الخلافات التي تفصل بينها جانباً ، حتى يتسنى خلق جو ملائم يمكن للأمم المتحدة فيه ، ان تحقق للعالم أجمع ، الحلم القديم لبناء مجتمع دولي جديد ، حر من التهديد بالحرب والدمار ، وان كل ما سبق ان قلته يمس سلام العالم » .

مبادئ السياسة الخارجية السعودية

وهكذا نرى ان السياسة السلمية التي انتهجتها المملكة السعودية وأُثرت عنها تهدف أول ما تهدف الى اشاعة الحرية الخيّرة ، بحيث تشمل كافة



وقفة وراء أجهزة البث ... سنريكم آياتنا في الآفاق ...

الشعوب وسائر الأمم ، ودحض منطق القوى الاستعمارية ، وكسر طوق التطويق الاستراتيجي ، والتحرر من القيود الاقتصادية التي يفرضها منطق القوة على قوة الحق ، في مناداة صادقة لترسيخ جذور العدل ، وارساء دعائم السلام العالمي على شاطىء الاطمئنان لغد الانسان ، معبرة بذلك عن خير ما في التراث البشري من قيم ومُثُل ونبل هدف .

ومن هنا كانت تلك المعطيات التي لخص بها الملك فيصل سياسة بلاده الخارجية التي ارتكزت على المبادىء المضيئة المنيرة الهادية لشعوب وأمم الأرض في مسيرتها التحررية ونضالها السلمي المشترك :

« أولاً — نزع السلاح نزعاً عاماً شاملاً تحت اشراف دولي فعال ، وعدم استعمال الذرة الا لأغراض ترمي لرفاه الشعوب .

ثانياً — تصفية الاستعمار بجميع أشكاله نهائياً من العالم .

ثالثاً — اتخاذ الاجراءات الفعالة الكفيلة بالقضاء على التفرقة العنصرية بجميع أنواعها .

رابعاً — حل المنازعات الدولية بالطرق السلمية القائمة على الحق والعدالة .

خامساً — تأييد شعب فلسطين في كفاحه لاسترداد حقوقه في وطنه وتمكينه من ممارسة حقه في تقرير مصيره .

سادساً — بذل الجهود لرفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي لمختلف الشعوب . »

تلك هي — على الصعيد العالمي — بعض هموم رجل الجزيرة ورائد مسيرتها في معركة الكرامة ، الكرامة التي لا ينشدها لشعبه وحسب ، ولا لأمته فقط ، بل للبشرية جمعاء ، لأنه بكل ما ينطق به ويفكر انما يصدر

عـن الاسلام الشقيق التوأم – حق بالاشتقاق اللفظي – للسلام ، والذي تتميز رسالته بالشرعة السمحاء التي تخرج الناس من الظلمات الى النور .

وقد حدد الفيصل بوضوح نهج سياسته الخارجية حين نودي بـه ملكاً ، تلك السياسة التي تعتبر بحق امتداداً متطوراً واستمراراً خـلاقاً ، لسياسة المغفور له الملك عبد العزيز ، فقال في اول خطاب للعرش القاه بعد مبايعته بالملك :

« لسنا في حاجة لتكرار الأساس التقليدي الذي تسير عليـه سياستنا الخارجية ، فنحن منذ أسس هذه الدولة بانيها وواضع اسس نهضتها المغفور له الملك عبد العزيز ، قد أثبتنا في المجال الدولي ايماننا بالسلام العالمي ، ورغبتنا في دعمه وتقويته ، ونشره في ربوع العالم ، وكنا ولا نزال نفعل ذلك بوحي من تعاليم ديننا وتقاليدنا العربية الاصيلة ، ونحن نؤيد الآن في سبيل ذلك ، نزع السلاح وتجنيب البشرية مخاطر الاسلحة الفتاكة ، وندعو الى حريـة تقرير المصير لكل الشعوب ، وحل المنازعات الدولية بالوسائـل السلمية المرتكزة على الحق والعدل .

ومن أهداف سياستنا الخارجية المعروفة ، التعـاون العربي الى أقصى الحدود مع الدول العربية الشقيقة ، وتنفيذ مقررات مؤتمري القمة العربيين ، والسعي الى تحرير جميع أجزاء الوطن العربي التي لا تزال تحت نير الاستعمار ، والسير مع الدول الاسلامية في كل ما يحقق للمسلمين عزتهم ورفعـة شأنهم ، ونؤيد ميثاق جامعة الدول العربية وندعمه ، ونؤيـد ميثاق هيئة الامم المتحدة ومقررات باندونغ ودول عدم الانحياز ، ونسعى بكل ما أوتينا من قوة الى أن يسود العالم سلام عـادل ، وحرية حقيقية ، وطمأنينة دائمـة » .

ومن خلال هذا النهج القويم حققت العربية السعودية انطلاقات خـلاقة ،

وانتصارات باهرة ، على صعيد الحياة الدولية المتطورة ، لانها انطلقت من أرضية هي أرسخ ما تكون قاعدة للبناء السليم والسير القويم .

درسان بليغان من تاريخ الإسلام

والواقع انه لا بد لايّ باحث في علاقات المملكة العربية السعودية الخارجية ، من ان يذكر انها مذ كانت ، وهي الحاملة الامينة لراية الاسلام ، تهتدي بهديه ، وتصدر عن أحكامه ، في كل صغيرة وكبيرة ، قولاً وفعلاً ، تفكيراً وتنفيذاً . لذا لا مناص لنا ونحن نتعرض لهذا الموضوع الخطير من أن نستهدي بدرسين اثنين من تاريخنا الاسلامي المشرق الصفحات .

لما كان الاسلام مايزال وليداً في أم القرى نشبت حرب ضروس ما بين امبراطوريتي فارس والروم ، وسحقت جيوش كسرى جيش قيصر ومزقته شر ممزق . وتحت نير الروم كان ينوء عرب الشام ، وفي قبضة الفرس كان يتململ عرب العراق والخليج . ومع ذلك انحاز مشركو قريش للفرس ، على حين اكتأبت النفوس المسلمة المؤمنة لهزيمة الروم أهل الكتاب. وقامت مباراة بل رهان ما بين ابناء العمومة والخؤولة الذين يفصل ما بينهم جدار صفيق من الكفر والايمان ، حول الموقف من الدولتين الكبريين، وكان الحكم الفصل ما بينهم كتاب الله ، اذ نزلت على الرسول « سورة الروم » التي تسلسلت آياتها على شفتيه الملهمتين :

« ألم ، غلبت الروم في أدنى الارض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، في بضع سنين ، لله الامر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، وهو العزيز الرحيم » .

وكانت للروم كرّتهم الموفقة على الفرس وهزموهم شر هزيمة ، وهزم

مشركو قريش معهم هزيمة روحية ، وفرح المؤمنون أصحاب الكتاب لنصرة أهل الكتاب .

ولا يقل عن هذا الدرس بدلالته ، درس ثان كان مسرح أحداثه أرض الحبشة التي لجأ اليها بعض المسلمين الاولين هرباً من اضطهاد قريش . فأوفد القرشيون الى الحبشة وفداً من كبار دهاتهم ، وفي عداده العقل الراجح عمرو ابن العاص ، الذي دخل على النجاشي لاسترداد الصابئين الخارجين على عقيدة آبائهم . ولم يكلم الوفد ملك الاحباش بلغة الهدية فقط ، وانما بلغة المنطق ، وبدغدغة عواطفه الدينية . وأسرّ داهية العرب بأذن النجاشي ما اختلقه أو توهمه عن رأي المسلمين بالسيدة العذراء مريم ام المسيح ، فتربّد وجه الملك قليلاً ، وسأل المسلمين رأي الاسلام بسيدة نساء العالم ، وانبرى عقيل بن ابي طالب يتلو قول الله تعالى بالسيدة البتول : « واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً .. الخ » فتهلل وجه النجاشي ، وتناول عوداً صغيراً كسره ما بين اصبعيه وهو يقول : « ليس ما بين الدينين من فرق أكثر من هذين العودين ، وكانا عوداً واحداً »، وردّ الوفد القرشي عن بغيته، وأبقى المسلمين تحت جناح رحمته ، حتى تمت كلمة الله وعزّ الاسلام في المدينة المنورة .

ولم يطل الأمر بداهية قريش حتى انضوى تحت راية التوحيد ، وكان من أبطال الرأي ، وهو القائل : « ليس العاقل من يعرف الخير من الشر ، ولكنه الذي يعرف خير الشرين ! » .

ولا نعتقد إلا أن العربية السعودية كانت تصدر عن هذا الرأي ، حين ارتضت لنفسها التمسك بمبدأ الحياد الايجابي ما بين الدول ، وعدم الانحياز للمعسكرات الكبرى ، والعمل البنّاء في سبيل السلام العالمي ، وحرية

الشعوب في تقرير مصيرها ، واضعة نصب عينيها في علاقاتها الديبلوماسية والاقتصادية ، الحفاظ على مبدأ السيادة القومية المرتبطة عضوياً بشرعة الاسلام وسلامة العروبة ، بكل ما قامت به من علاقات خارجية على الصعيد الدولي .

ولقد سبق للفيصل عندما كان ولياً للعهد ان بسط سياسة حكومته بهذه الكلمة الواضحة وضوح الحقيقة ، المنبلجة بنور الصدق الواقعي :

« ان سياسة حكومة جلالة الملك كانت ولا تزال تهدف لمصادقة كل دولة لا تعتدي عليها ، وتسعى لأن تتعامل مع كل دولة في العالم طبقاً لما تقتضيه مصلحتها والمصلحة العربية عامة ، غير مقيدة بأي اتجاه او ارتباط تجاه أي دولة أجنبية لا يتلاءم مع مصالحها ومصالح العرب » .

المملكة السعودية ودول المعسكر الاشتراكي

على الرغم من عدم وجود أي تمثيل ديبلوماسي ما بين المملكة العربية السعودية ودول المعسكر الاشتراكي التي طرحت الدين جانباً ورفعت شعار المادية التاريخية ، فان الملك فيصل قد اتخذ منها موقفاً متسماً بطابع العقلانية المرتكزة على اسمى القواعد الروحانية ، وقد سبق له ان اعلن في بيان صدر عام ١٣٧٧ ﻫ رأيه الذي يوائم ما بين القواعد الاسلامية من جهة والتفهم لروح العصر من جهة ثانية ، فقال :

« انه وان لم يكن بين المملكة العربية السعودية والدول « الشرقية » تمثيل سياسي ، فان العلاقات قائمة بينها وبين هذه الدول على أساس ميثاق هيئة الأمم المتحدة ، وفي نفس الوقت فان حكومة جلالته لا تسمح لأي مبدأ

يختلف مع مبادىء الشريعة الاسلامية بالظهور في بلادها » .

وقد كان الاتحاد السوفياتي من أوائل الدول التي اعـــترفت بالمغفور له عبد العزيز آل سعود ملكاً على الحجاز عام ١٩٢٦، وذلك لإدراك السوفيات العميق ما لشخصية عملاق الجزيرة من طاقة اشعاعية على العالم الاسلامي من جهة ، وفي محاولة منهم لكسبه الى جانبهم من جهة ثانية . ولقــد قيَّم السوفيات نضال عبد العزيز مؤسس المملكة تقييماً واقعياً ، واعتبروا هـذا النضال نابعاً من منطلقات التحرر الوطني الهـــادف الى توحيد الجزيرة العربية .

ولقد كتب بليابيف في كتابه « الوجود الأميركي في المملكة العربيـــة السعودية » ما يلي :

« ان عبد العزيز يرمي الى انشاء دولة قوية تحقق امنيات الشعوب العربية في الوحدة والاستقلال ، وتشترك فيها شعوب الامـــارات وعشائر الجزيرة العربية التي تعاني التصدع والانشقاق » كما ذكر المؤلف في مكان آخر من مؤلفه : « ان السعوديين وإمامهم يقومون بحركة التحرر الوطني في الجزيرة العربية » .

ولعل بعض المفكرين والسياسيين يذكرون تلك الزيارة التاريخية التي قام بها الفيصل على رأس وفد رسمي الى موسكو عام ١٩٣٢ ، وقابل خلالها كلا من ستالين ومولوتوف ، لمناقشتهما بشأن مسلمي الاتحاد السوفياتي ومـا يعانونه من عنت النظام الشيوعي . وقـــد وصف جيرالد دي غوري تلك الزيارة بالايجابية ، وقال عنها :

« ومن الراهن ان زيارة الفيصل هذه أسفرت عن نتائج ايجابية ، فارتفع عدد الحجاج السوفيات الى الأراضي المقدسة في السنوات التي توالت بعد تلك الزيارة » .. « ومن البديهي ان المسلمين في مختلف بقاع الأرض ، ينفرون من

تيارات الالحاد أياً كان مصدرها ، وليس من المستبعد أن تكون زيارة الفيصل لموسكو هي السبب الأساسي لزيادة عدد الحجاج السوفياتيين » .

ويعرف متتبعو نشاط المملكة السعودية الدولي ، انه كان للاتحاد السوفياتي مفوضية في جدة ، الا ان المغفور له عبد العزيز أمر باغلاقها عام ١٩٣٨ والغاء التمثيل الديبلوماسي مع الاتحاد السوفياتي ، اذ أدرك بثاقب بصيرته ما ينطوي عليه استمرار ذلك التمثيل من أخطار ، ذلك ان السوفيات ذوو عقيدة إلحادية من جهة ، ولأنهم ذوو مطامع توسعية في البلاد العربية من جهة ثانية ، فارباب الكرملن الجدد هم ورثة السياسة القيصرية التي ما انفكت تحاول النفاذ الى البحار الدافئة والخليج العربي بالذات ، عقائدياً وسياسياً ، اقتصادياً وعسكرياً ، والابقاء على التمثيل الديبلوماسي معناه ، بهذا الشكل أو غيره ، السماح بتسلل تيار سياسي جديد قوامه الالحاد في دولة الايمان .

وكان الملك عبد العزيز يدرك بصادق حدسه ، الاطماع السوفياتية في الشرق الأوسط ، تلك الأطماع التي اتضحت اتضاح النور في رابعة النهار بذلك الدعم السوفياتي لدولة اسرائيل ، والاسهام الفعال بخلقها على انقاض فلسطين العربية ، ناهيك عن سيل الهجرة اليهودية الدافق من الاتحاد السوفياتي ، وروافده من بقية البلدان الاشتراكية . وحسبنا علماً في هذا الصدد ان غولدا مائير يهودية روسية .

وكم كان عبد العزيز على حق عندما صرح بعد قيام دولة اسرائيل بقوله :

« لقد أراد الشيوعيون خلق أزمة في منطقة الشرق الاوسط ، وهم سينتظرون لاستغلال هذه الأزمة ، الوقت الذي تكون فيه القضية الفلسطينية قد أوقعت المقدار الكافي من الشقاق بين العرب والأميركيين » .



العمران في الرياض .. آية من آيات الحضارة الحديثة ...

وقد تأثر الفيصل خطا عبد العزيز بسياسته تجـــاه الاقطار الشيوعية ، يحاربها كمبدأ وعقيدة ، ويهادنها كدولة ، مقتصراً بعلاقاته العامـــة مع دول المعسكر الاشتراكي ، على شرعة الأمم المتحدة ، لأنه على راسخ اليقين مـــا يعنيه تغلغل السوفيات في منطقة الشرق الأوسط ، مهـــد الديانات وملتقى الحضارات واكبر خزان لاحتياطي النفط في العالم ، مما لا يقبله قائد مسلم ، ولا ترضى به السيادة القومية ، ولا يتفق مع المصلحة العربية ، والترجمـــة العملية لكل ذلك التمسك بالحياد الايجابي بين المعسكرات ، وتعميق التضامن الاسلامي ، من خلال حكمة داهية العرب ابن العاص القائلة : ليس العاقـــل الذي يعرف الخير من الشر ، ولكنه الذي يعرف خير الشرين ! . .

العلاقات مع المعسكر الغربي

والمعسكر الغربي ، ما هي علاقة المملكة العربية السعودية بـــه ؟ . . سؤال لا بد من أن يطرح ، ولا بد من الاجابة عليه ، لاسيما وان هناك من يحاول اظهار هذه العلاقة على غير حقيقتها ، ولم يدخر بعض ذوي الأقـــلام الرخيصة المأجورة من اطلاق الكلمة الشطط بزعمهم انها علاقة تابع بمتبوع .. كبرت كلمة لا بد من الاجابة عليها لتلقيمها حجراً في أفـــواه المشككين والمخادعين ، وازالة الغشاوة عن أعين المضّللين والمخدوعين ، ولأن هـــذه الكلمة بكل الأحوال هي التنفيذ المباشر أو غير المباشر للسياسة الشيوعية التي تعمد الى وصم خصومها بجميع الاكاذيب والافتراءات ، عمـــلا بشعارها القائل ان الهجوم هو أحسن وسائل الدفاع .

والواقع ان فيصل بن عبد العزيز قد أعلنها منذ عام ١٩٥٧ كلمة صريحة لا لبس فيها ولا ابهام ، تجسد طابع العلاقات القائمة بـــين المملكة ودول

الغرب ، فقال :

« ان علاقات المملكة مع دول الغرب تختلف باختلاف ما تقتضيه مصلحة المملكة وسلامتها وأمنها ، وما تقتضيه المصلحة العربية العامة » .

وهي كلمة واضحة البيان وضوح الشمس في رابعة النهار ، لا تمثل الخط الفيصلي فحسب ، وانما تمثل الخط الذي تنتهجه المملكة منذ نشوئها حتى يومنا هذا ، ولا نكون مغالين اذا قلنا انها سياسة المستقبل أيضاً .

خط لا تحيد المملكة عنه قيد أنملة ، حداه المصلحة الوطنية والمصلحة العربية ، وليس بعد هذين المنطلقين غاية .

ومن خلال هذين المنطلقين دخلت العربية السعودية في علاقات مع دول الغرب ، كانت تختلف قوة أو ضعفاً ، دنواً او بعداً ، تبعاً لمواقف دوله من المنطلقين الأساسيين للسياسة الخارجية للمملكة .

وحين خطت المملكة سياستها التي لم تحد عنها ، انما كانت تصدر عن الثقة بالنفس ، والمصلحة الوطنية العامة ، بعيداً عن التشنج والتوتر والارتجال والعقد التي كثيراً ما طفت على السطح في علاقات بعض الدول العربية مع العالم الخارجي ، تلك العقد التي من سماتها المميزة التناقضات الحادة ، والتقلبات الطفولية ، والتخبط العشوائي .

العلاقة مع الولايات المتحدة الأميركية

خرج العالم من الحرب الكونية الأولى ، ومبادىء الحرية والعدالة

والسيادة الوطنية ، تلهب مشاعر الامم المضطهدة والطامحة الى غد أفضل .
وقد وجدت هذه المبادىء خير ترجمة لها بتصريح الرئيس ويلسون القاضي باعطاء سائر الشعوب حقها في تقرير المصير ، واقامة السلام العالمي ، وتصفية جميع مظاهر الاستعمار ، ذلك التصريح الذي أعلنه في اعقاب الحرب وأصبح لدى الشعب الاميركي قاعدة للعلاقات الدولية .

وعندما كانت الولايات المتحدة تمثل هذا الوجه المشرق ، بدأت علاقاتها مع المملكة العربية السعودية ، وتوطدت هذه العلاقات عـــام ١٩٣٣ حين عقدت بين الدولتين «اتفاقية للتمثيل السياسي والقنصلي والتجارة والملاحة. ثم نشأت الى جانب العلاقات الديبلوماسية علاقات اقتصادية ، حين عمـدت المملكة الى استثمار موارد نفطها من خلال التعاقد مع الشركات الأميركية .

الا ان نشوء المعضلة الفلسطينية قبيل الحرب العالمية الثانية وخلالها، أدت الى تأزم العلاقات ما بين الدولتين ، ثم كان اجتماع روزفلت بالعاهل السعودي المغفور له الملك عبد العزيز ، سنة ١٩٤٥ ، على ظهر الطراد « كونيسي » في مدخل البحر الأحمر ، وقد اسفر عن نتائج ايجابية في مصلحة القضية العربية، اذ تعهد الرئيس الأميركي للعاهل السعودي بألا تقف بلاده ضد المصالح العربية وألا تعترف بدولة اسرائيل .

ولكن الولايات المتحدة سرعان ما تبدل موقفها إثر غياب رجلها العظيم روزفلت ، وقيام عهد الرئيس ترومان الذي دخل مـــع الرفيق ستالين في مباراة تعاطف مع مطامع الصهيونية وتأييد أهـــدافها المجرمة ، فعادت العلاقات ما بين المملكة السعودية والولايات المتحدة الى حـــالة جديدة من التأزم .
وفي عام ١٩٥٦ تحسنت العلاقات بين الدولتين اثر الموقف الايجـابي الذي

وقفته اميركا من العدوان الثلاثي على مصر . وهنا عمدت القوى الحاقدة لافتعال انطباع جديد بأن العلاقات السعودية الاميركية قد اتخذت طابع التحالف العسكري بهدف محاربة الاتحاد السوفياتي ، وتحويل المملكة الى قاعدة عسكرية اميركية ، واستغلت أبواق الضلال انشاء مطار الظهران لترويج هذه الشائعة الظلوم . وقد بلغ سخف الشائعات الشيوعية في تلك الأيام ، ان أكدت ان الانشاءات العمرانية التي تشاد في الكويت انما هي في الواقع انشاءات عسكرية صممت تصميماً خاصاً بحيث تتحول المدارس والمستشفيات عند الاقتضاء الى معسكرات حربية بريطانية لمهاجمة الاتحاد السوفياتي ! . .

وقد شرح فيصل بن عبد العزيز آنذاك طبيعة العلاقات ما بين المملكة السعودية والولايات المتحدة ، وهي لا تعدو حدود الصداقة التي تمليها المصلحة الاقتصادية المشتركة ، وتطرق بحديث له الى ما يشاع عن قاعدة الطيران فقال :

« لا توجد في الظهران قاعدة اميركية ، ومطار الظهران مطار سعودي وقاعدة سعودية » .

بيد ان نكسة حزيران – يونيه عام ١٩٦٧ ، عادت فوترت العلاقات ما بين الدولتين بسبب الموقف الأميركي المعروف من العرب واسرائيل ، وكانت دعوة الملك فيصل لجمع الكلمة ، ووحدة الصف ، والتكاتف العربي، للضغط الفعلي على السياسة الغربية بشكل عام، وعلى الولايات المتحدة بشكل خاص، ناهيك عما سيحدثه التحالف الاسلامي تحت راية العاهل السعودي من اثر بليغ على السياسة الدولية عامة .

العلاقة مع بريطانيا وفرنسا

كانت المملكة البريطانية تناوىء عبد العزيز آل سعود ، وتنصر الشريف حسين ، وترى في الأول منافساً ضعيفاً للثاني ، الا انها ما لبثت ان حاولت اكتساب صداقته حين غدا سيد الجزيرة المطلق ، وبرز كزعيم عظيم ووجه مشرق من وجوه العروبة والاسلام .

لكن الخلاف عاد فذر قرنه ما بين بريطانيا والمملكة السعودية عام ١٩٣٣ ، بسبب الاختلاف على حدود المملكة مع المحميات العربية في الخليج العربي ، ولا سيما واحة « البريمي » . ومع ذلك فان العربية السعودية لم تقطع علاقاتها الديبلوماسية ببريطانيا حتى في عام ١٩٥٥ عندما قامت بريطانيا بالاستيلاء على الواحة بالقوة المسلحة ، الا انها بادرت الى قطع هذه العلاقات عام ١٩٥٦ بعد العدوان الثلاثي على مصر ، ولم يجر اعادة هذه العلاقات الا في عام ١٩٦٣ .

وتوطدت هذه العلاقات عام ١٩٦٧ ، بعد ان قام الملك فيصل بزيارة بريطانيا ، وقد كان لهذه الزيارة أثرها في الحدّ من تأييد الحكومة الانكليزية لاسرائيل ، واتخاذها من الصراع العربي الاسرائيلي موقفاً اكثر انصافاً وتفهماً من مواقفها العدوانية السابقة .

أما العلاقة ما بين المملكة السعودية والحكومة الفرنسية فقد اتسمت بصورة عامة بالصداقة والتعاون ، ولم تدخل في مراحل حرجة الا قبل الحرب العالمية الثانية بسبب تأييد المملكة للنضال الوطني في سورية ولبنان ضد الانتداب الفرنسي ، والا عام ١٩٥٦ في أعقاب العدوان الثلاثي

على مصر .

ثم عادت تلك العلاقة الى ما كانت عليه بعد انسحاب القوات الفرنسية من مصر ، وظهور البوادر الايجابية في نظرة الحكومة الفرنسية الى القضايا العربية ، واتجاهها الى اعطاء الجزائر حقها في الاستقلال .

وقد قال الملك فيصل قبل اعادة العلاقات مع فرنسة ، مشيراً الى زوال السبب الذي دعا المملكة الى قطع تلك العلاقات ، مفسراً ذلك بقوله :

« لقد قطعت المملكة العلاقات مع الحكومة الفرنسية ، على اثر عدوانها على مصر ،وبعد انسحابها من الأراضي المصرية جرت مباحثات بين الطرفين، انتهت باعادة مبالغ كانت سلمت الى الجهـــات الفرنسية ثمن أسلحة منعت الحكومة الفرنسية تصديرها . وبعد هذا لا يوجد ما يمنع الحكومـة العربية السعودية من اعادة العلاقات مع الحكومة الفرنسية في الوقت الذي تتجه فيه الأمور الى اعطاء اخواننا المكافحين في الجزائر حقوقهم في الحرية » .

وهكذا عادت العلاقات السعودية ـ الفرنسية الى التوطد والترسخ، وازدياد وشائج الروابط ما بين البلدين ولاسيا في الحقل الاقتصادي ، بعد ان وقفت الدولة الفرنسية ذلك الموقف المشرف من حـــرب حزيران ١٩٦٧ ، واجتماع العاهل السعودي بالجنرال ديغول في باريس ، ذلك الاجتماع الذي ترك اعمق الأثر في نفس الزعيم الفرنسي ، وفي الموقف الفرنسي من الصراع العربي الاسرائيلي .

السيادة القومية والمصلحة العربية

واننا لنستنتج من ذلك كله ، ان وشائج الصلات والتعاون ، والعلاقات

السياسية والاقتصادية ، التي بنتها المملكة العربية السعودية ، انما تنبع أبداً من المصالح المشتركة التي تكرس احترام السيادة القومية للمملكة من جهة ، ومراعاة المصلحة العربية من جهة ثانية ، سواء مع الدول التي ذكرنا أو دول أخرى مثل ايطاليا واليابان .

فالمملكة العربية السعودية لا تتحرك تحركها الايجابي ، الا تبعاً لمصالحها القومية التي تنعكس على دنيا العروبة والاسلام، وتزيدها تطوراً وازدهاراً، وتمثلاً لروح العصر ، تحرق المراحل حرقاً سباقاً مع الزمن الذي جسّدته القافية العربية بهذا البيت الرائع :

يعدو الزمان،فمن لم يعدُ مستبقاً أمامه ، سحقته أرجل الزمن

في تلك الرحلة التاريخية التي تستهدف صميم المستقبل ، وان لم تتنكر للماضي العريق ، تنهل من معينه ، وتفيد من دروسه وعبره ، ومنها الدرسان البليغان اللذان تسلسلت آيات أحدهما في « سورة الروم » ونطق بالثاني داهية العرب عمرو بن العاص القائل : « ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ، ولكنه الذي يعرف خير الشرّين ! .. » .

ومن يهدِ الله فهو المهتدي .

الفصل السابع

أبعاد التضامن الإسلامي

ليس لنا أي هدف ولا أي غرض في دعوتنا الاسلامية سوى أن تكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر ، وان يتعاون المسلمون فيما بينهم فيما فيه صالحهم ، ورفع مستوى شعوبهم ، وتعاونهم الأخوي في كل مجالات الحياة من اقتصادية واجتماعية وثقافية .

فيصل بن عبد العزيز

التوأمان المتلازمان : العروبة والإسلام

ظلت بطاح الجزيرة – وهي مهد التوأمين المتلازمين بطيب المغرس وكريم المنبت : العروبة والاسلام – قبائل متعادية وشعوباً متفرقة وجماعات متناثرة تناثر الرمال في صحرائها المترامية ، حتى أطل رجل وحدتها ، وباعث عزتها، وجامع كلمتها على البر والتقوى والصلاح والفلاح ، الرجل العملاق عبد العزيز آل سعود الذي ما ان مرد في هذه الديار حتى انتهى الأقزام الى ما يجب ان ينتهوا اليه ، وما ان استل باتر حسامه وبسط نبيل يمينه ، حتى انضم مترامي الأصقاع ومتنائي البقاع الى كبير جنانه ، شعباً واحداً وكلمة واحدة ، وعاد للديار المقدسة عميق فحواها ، وسامي مبناها ، واضحت من جديد ، بعد غربة طال أمدها : قلب العروبة ومحجة الاسلام ! . .

وكان ذلك الصرح الشامخ الذي اجتزأ القرون واختزل الأزمان ، فطفر بمجتمع البداوة الى معارج الرقي والحضارة ، بمسيرة هي الملحمة الانسانية الكبرى ، التي شقت سويداء الصحراء ، وفجرت فيها ينابيع الخير ، وجعلت منها واحة عطاء وريادة نهضة وأمانة رسالة .

واذا كانت العربية السعودية قد تأثلت على يمين عبد العزيز، فانها قد رسخت أسس النهضة ، وسمت بوطيد الكيان على شريف البنيان ، بفضل متابع المسيرة ومكمل الرسالة ، رجل القيادة والحكمة : فيصل بن عبد العزيز .

لقد كان الفيصل أبداً تلك الطاقة المعطاء التي مثلت دورها الفذ في حياة

هذا البلد العربي الكريم ، أميراً ووزيراً وولياً للعهد ورئيساً للوزراء وعاهلاً كبيراً ، وزعيماً خطيراً في دنيا العروبة والاسلام ، تشده الى النفوس وتنزله في سويداء القلوب ، تلك الشخصية الرحبة المحببة السمحة التي تحمل في طياتها كل الاباء العربي ، والاخلاص لرسالة الاسلام ، والفطرة الديمقراطية التي جعلت منه فرداً من أفراد الشعب السعودي لا يتميز منهم الا بقدر ما يعطي من حبه وجهده في سبيل وطنه ، ودفعه في مراقي التطور والازدهار ، وخدمة القضايا العربية والاسلامية ، من خلال التفهم الواعي لروح الدين الحنيف ، الذي شمخ في قلب الجزيرة قلعة راسخة تتحطم عليها مقهورة مدحورة أسنة التيارات الفكرية التي تحمل في تضاعيفها مخطط الهدم والتخريب ، وزعزعة الايمان بوافد الرأي الغريب ! . .

ولا بد لنا ، اذا أردنا ان نعرف حقيقة هذا القائد الكبير ودوره البناء في تاريخنا المعاصر ، من ان نتناول بالبحث والعرض والتحليل ، مواقفه الكريمة من القضايا العربية والاسلامية ، ومكانته الفاعلة في تطور العربية السعودية ، وطبيعة النظام السائد في المملكة واسسه ومراميه ، من خلال أقوال الملك فيصل وأعماله ، على ضوء تلك الوحدة الجدلية ما بين الفكر والعمل ، ما بين تلاحم الهدف والمسيرة التاريخية ، ما بين النية والإرادة .

وهنا ، لا بد من تذكر المتنبي ، ذلك الشاعر الحكيم الذي شغل الناس قروناً وقروناً ، وما أطلق من كلمات كم جدير بعصرنا الحاضر أن يتروى خلفيّتها ، وما انطوت عليه خديعة الازدواجية ما بين القول والفعل ، حتى تردّت الكلمة — على قدسيتها — لتصبح لدى أغلب زعمائنا تجارة رخيصة وشعارات فارغة ، لا طائل تحتها الا الخداع والتزوير ، وجرنا الى مواقع الهزيمة ومنطق الاستسلام ... قال ابن الألف عام :

وما كل من قال قولاً وفى　　　وما كل من سيم خسفاً أبى
ولا بد للقلب من آية　　　ورأي يصدع صم الصفا

وكل طـــريق أتاه الفتـــى   على قدر الرجل فيه الخطـــا

الجزيرة العربية ودورها القيادي في التاريخ الإسلامي

لقد كان الاسلام وما يزال تلك القوة الروحية التي مثلت دوراً حضارياً كبيراً في عالمنا العربي والاسلامي ، فغدت الجزيرة التي كانت موطن الجاهلية والقبلية ، المنطلق الرئيسي لنشر الدعوة والاخـاء والمساواة بـين الشعوب ، وكانت تعاليم الاسلام الروحية والخلقية قاعدة بناء الدولة الكبرى التي امتدت حتى نهر السند شرقاً ، وشطآن الاطلسي غرباً ، ململمة شمل العديد من الامم والشعوب في ظل الدوحة الاسلامية المعطاء .

وقد تم نشوء المملكة العربية السعودية في العصر الحديث ، ودخول هذه المنطقة قافلة الحضارة من جديد ، في ظل اقتران راية الكفاح مع العقيدة الاسلامية . ومن خـلال الفكر السديد والعمل الرشيد ، نهضت العربيـــة السعودية صرحاً عربياً بازخاً ، وقلعة اسلامية صامدة ، ردت المستعمرين على اعقابهم ، وحررت المنطقة من السيطرة الأجنبية . وكان للعقيدة الاسلامية الدور الأهم ، كقوة روحية مشعّة مدت الاجيال الطالعة بروح النضـــال ، امام جحافل الغزاة المستعمرين والتيارات الفكرية الهـــدامة ، صوناً لذاك الطابع العربي الاسلامي ، وحفاظاً على التراث المنير .

ولا خلاف في ان العقيدة الاسلامية قد دخلت في البنية الفكرية لتراثنا الحضاري ، وكانت عاملاً أساسياً في وجودنا القومي ، وذلك لأن الفكر الاسلامي ، وهو بالأصل قوة روحية ، قد تحول الى طاقة مادية لعبت دورها الطليعي الهام في حياة مجتمعنا وتكوين شخصيتنا ، وفي مجمـــل الأحداث التاريخية لهذه المنطقة . ولا بدع ، فالاسلام هو الرسالة التي تنزلت على قلب

الرسول الكريم هدى ورحمة للعالمين ، عقيدة فكرية ، ونظاماً حياتياً ، وشرعة سمحاء للبشرية جمعاء .

ومن هنا كان كل اهتمام قوى الاستعمار والهدم ، منصباً لتحطيم التعاليم الاسلامية ، روحية وخلقية ، مركزاً على الغزو الفكري والتسلل العقائدي ، لادراك تلك القوى ما لتلك التعاليم من قوة وفعالية في بلادنا ، ومن ثم شهدنا تلك الموجة من النشاط التخريبي في عالمنا ، من خلال التشكيك في كل ما ورثناه من مبادىء وقيم ، وكل ما حفل به تاريخنا من بطولات وأمجاد ، ونجمت هنا وهناك تيارات سياسية وعقائد مستوردة ، غريبة عن واقعنا وعن فكرنا وعن حاجاتنا ، هدفها الهدم ولا شيء سواه .

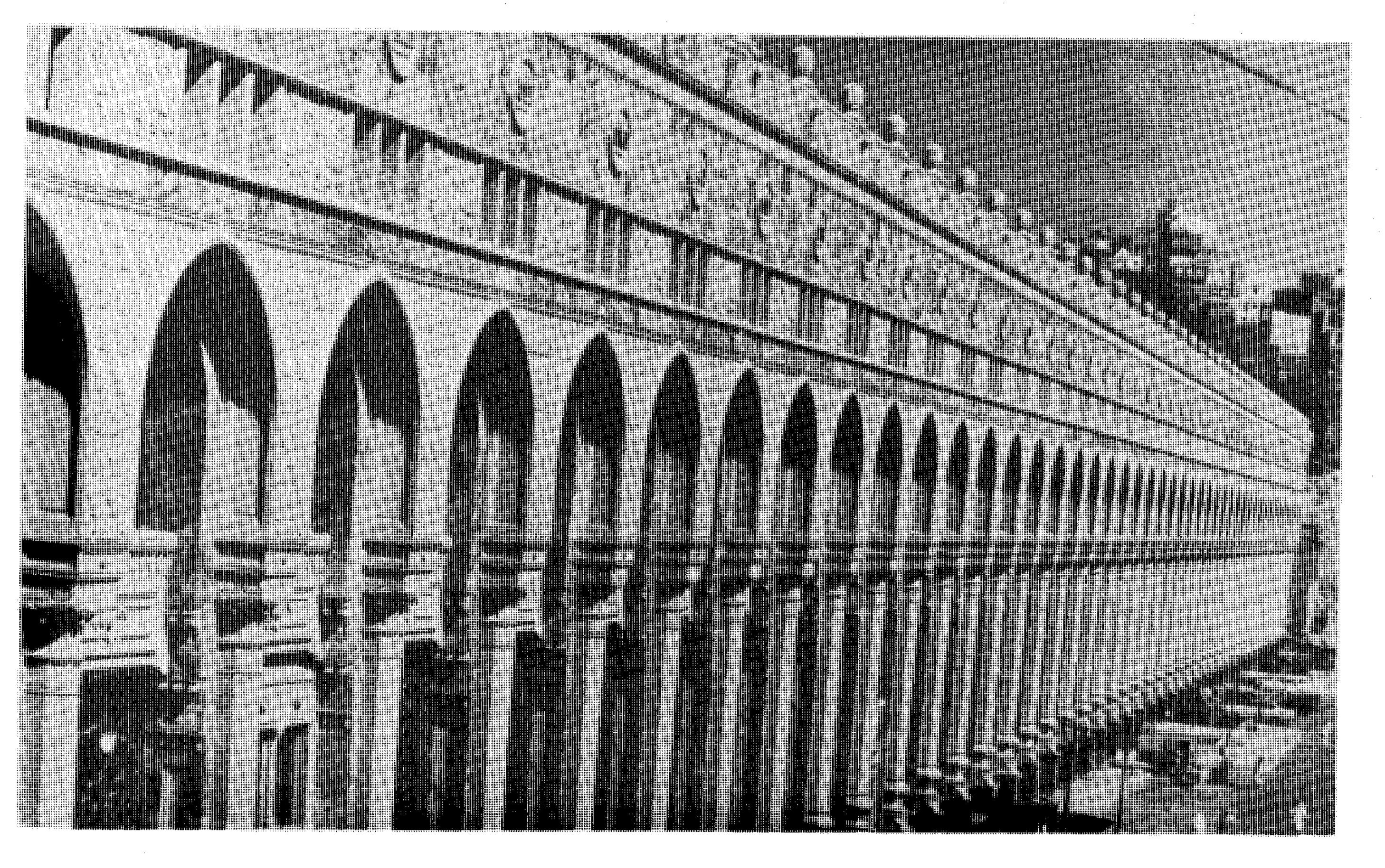
وقد كان للمملكة العربية السعودية الدور الرائد في الدفاع عن الاسلام ، فكراً عقائدياً ، ونظاماً حياتياً ، وتنظيماً اقتصادياً ، والعمل على جمع كلمة المسلمين في أصقاع المعمورة ، سعياً لاقامة رابطة فكرية لهم ، وجامعة سياسية تجمع كلمتهم وتوحد شتاتهم . وسرعان ما غدت المملكة المنبر الحر للفكر الاسلامي ، ومهوى القلب لضم شمل المسلمين ، فهي كما وصفها عاهلها :

« الدولة التي شرفها الله ، فجعل فيها بيته ، ومسجد نبيه ، ووضعها بذلك في مركز قيادي ، منذ بزغ فجر الاسلام ، وانطلق مشعل الهداية وركب العروبة من أرضنا الطاهرة » .

وقد أدرك العاهل العربي ما لبلاده هذه من دور ريادي بالغ الأثر ، كبير الخطر ، في التاريخ ، كموئل للدعوة ومنطلق لنشر العقيدة ، فهي :

« موطن الاسلام ، ومحل ولادته ، وموطن الديار المقدسة.. فان المملكة العربية السعودية تحتل مكاناً خاصاً في قلوب المسلمين في جميع انحاء المعمورة ».

وهل من شك في ان الجزيرة قد مثلت هذا الدور القيادي في أهم حقبة



الصفا والمروة (المسعى) بجوار المسجد الحرام بعد الانشاءات الحديثة :
إن الصفا والمروة من شعائر الله .

من التاريخ الاسلامي ، مما يجعلها ابداً قبلة الأنظار، ومهوى الأفئدة والأفكار ، ويعطيها في تاريخنا المعاصر الدور الأخطر لتحمل رسالة الأخاء ما بين الشعوب العربية والدول الاسلامية ، وتنهض منبراً للسلام الذي بشر به الاسلام . ان هذا الطموح النبيل الذي تمده همة قعساء ، وارادة كأنها من معدن الفولاذ ، قد حدا بالملك فيصل الى مزيد من الشعور بالمسؤولية التاريخية فقال :

« ان هذه البلاد لها مركزها الديني مما يجعلها مسؤولة ، وعليها واجبات تجاه اخوانها .. وعلى الأخص اذا كانوا اخوة في الدين ، وفي العنصر ، وفي الجوار ، وفي المصلحة والهدف » .

الرسالة الأولى والمهمة الفضلى

ومن هنا كانت رسالة المملكة الأولى ومهمتها الفضلى ، الدفاع عن الاسلام وعن تعاليمه وقيمه ، بعد ما ألمّ بها من نوب وصروف ، نتيجة تشتت القوى الخيرة ، وانتشار موجة السلبية واللامبالاة ، وتقصير أولي الأمر ، وطغيان التيارات الغريبة وما تحمله في طياتها من بذور التشكيك بالمبادىء الرشيدة ، لاحلال الشعارات الخادعة والمبادىء المضللة محلها في عقول الناس وأفئدتهم . وموجة السلبية المدمرة هذه ، لا يمكن ان يصد تيارها ويقلم أظفارها ، الا العمل النشيط الدائب لدفع خطرها ، والعمل الحثيث لاقامة صرح وطيد من الحرية الديمقراطية والعدالة الاجتماعية .

ومما لا شك فيه ان المعطيات التاريخية التي طفرت بالجزيرة العربية طفرتها الملحمية ، قد ارتبطت أصلاً بالدعوة الاسلامية ، وان هذه الدعوة لن تفقد طاقاتها الزاخرة لاجتراح المعجزة من جديد ، في وثبة عربية اسلامية تنبع

من سويداء الديار المقدسة ، لتعيد لعالمي العروبة والاسلام الوجـــه الزاهر المشرق . وهذا ما نحسه بعمق واخلاص في أقوال الملك فيصل ، ومن خلال عمله وتوجيهه ، ولما سأله المستر بادن رئيس دائرة العلوم السياسية في « جامعة البرت » بكندا : هل بالامكان ان تحقق العربية السعودية قفزة حضـــارية كتلك التي حدثت في فجر الاسلام وما لازمها من نهضة رائعة ؟ كان جوابه هذه الكلمة الحكيمة :

« هذا ممكن جداً ، وفي ما اعتقد ان التاريخ يعيد نفسه ، فتكون هذه البلاد المقدسة منبعاً لنهضة وانتشار دعوة عامة ، وذلك اذا مـا أخذنا بعين الاعتبار الأسس التي قامت عليها الدعوة العربية ، وهي الدعوة الاسلامية . ولا شك ان الدعوة الاسلامية هي الاساس والمنطلق الوحيد الذي انطلق منه العرب لنشر دعوتهم في العالم أجمع ، فاذا عدنا الى وضعنا حينـذاك في تاريخ الاسلام الأول ، فليس ببعيد ان نقتفي آثار أسلافنا وننشر في العالم قبساً من النـــور » .

ان الاسلام قد حمل للعالم رسالة المحبة والاخاء ، وقام على اسس سمحـاء توائم بين تطلع الانسان الى السماء وسعيه في الأرض ، لا تفرق بين الشعوب ، ولا تمايز بين الأمم ، وانما تدعو الى العدالة والاخوة والمحبة . وهو كما قـال الملك فيصل :

« دين المحبة ، دين الأخوة ، دين السلام ، دين العـلم ، دين البناء ، دين التقدم ، دين الفضيلة » .. « دين بُني على الاخوة ، وعلى المحبـة والاصلاح ، ومحاولة ايجاد الاستقرار والسلم والخير للعالم ».. « الاسلام رسالة للعالم أجمع ، وليست رسالة لشعب خاص أو بلد خاص » .

العربيّة السّعوديّة وتجربتها الذاتيّة الفذّة

ولا يقف الملك فيصل بمنافحته المجيدة عن الاسلام ، عند حدود الكلمة

الطيبة ، وانما يربطها بوحدة عضوية متكاملة ، بالعمـــل الصالح ، في تلك التجربة الفذة للعربية السعودية ، كدولة اتخذت تعاليم الاسلام وسنن الرسول نهجاً في الحكم وأساساً للتشريع .

وقد شقت المملكة العربية السعودية بقيـــادة الملك عبد العزيز وحكمة الملك فيصل ، سبيلها القويم بين مختلف النظم ومتبـاين أساليب الحكم ، من الشيوعية الهـــادمة لشخصية الانسان والمحطمة للقيم الروحية والخلقية ، الى الرأسمالية العازفة عن القيم الانسانية والمنزلقة في حمأة التدهور الأخلاقي ، كما نأت بجانبها عن السبل الفوضوية التي يتخبط بها العالم الثالث في محـــاولات طفولية للخروج من بؤرة التخلف ، لتحقق تجربتها الذاتية الفـــذة ، تجربة توائم ما بين المعطيـــات القومية والأسس الاسلامية ، منفتحة على منجزات العصر ، بتطوير مبدع لتجاربهـــا في كل ميدان ، تعرف كيانها ومكانتها من عالمي العروبة والاسلام ، وتمثـل فيها دورها الايجابي لخلق حيـــاة أفضل ومستقبل أمثل .

وكان ذلك تأكيداً على الذاتية الواعية المتبصرة للنهج القويم والسبيـــل المستقيم ، الممتد صريحاً واضحاً عبر الدروب الملتوية والفجاج السقيمة العقيمة، محققاً تلك الانطلاقـــة الرائعة التي ما تفتأ تسير من حسن الى أحسن ومن مستوى رفيـع الى مستوى أرفع . ومن كانت لديه تلك المناهـــل الصافية والتجارب التاريخية الضافية ، فهيهات ان يحتاج إلى استيراد العقائد المضللة والشعارات الكاذبة . ويقول الملك فيصل في ذلك :

« لسنا بحاجة لأن نستورد تقاليدنا ونظامنا من الخارج ، وانتم في غنى عن أن تقلدوا غيركم . لقد كان لنا تاريخ ، وكان لنا ماض ، وقد قهرنا العالم بكلمة الله ، وتوحيد الله ، وسنة رسوله » .

وهكذا تمضي المملكة العربية السعودية قُدُماً في استلهـــام الشريعة

السمحاء الجامعة بشمولية واعية،وروحانية صافية اسس الحياة الفضلى، والقيم المثلى ، بعيداً عن الضياع ، ونأياً عن الزلل ، بتفتح عقلاني مبدع على روح الحضارة ومعطيات العصر ، تلبية لمتطلبات المجتمع الدارج تكاملاً وتصاعداً على سنن التطور والتقدم .

أبعاد التضامن الإسلامي

ولم يتوقف جهاد الملك الحكيم على تجربته الفذة لبناء المجتمع على أسس الشريعة السمحاء مع التفتح على روح العصر ومنجزات العلم ، وانما عمل على أكثر من جبهة وفي أكثر من ميدان دفاعاً عن الاسلام كنظام حكم وشرعة حياة ورابطة مودة ورحمة واخاء ، وجعل الديار المقدسة منبراً لخدمة التضامن الاسلامي وتوحيد كلمة المسلمين شعوباً ودولاً ومفكرين .

والتضامن الاسلامي يرتكز أول ما يرتكز على التعاون مع الآخرين خدمة للشريعة ونشراً للسلام ورفع مشعل العدالة والمحبة ، قال الفيصل :

« اننا في هذا البلد قد عاهدنا الله على أنفسنا بأن نكون — بحول الله وقوته — خدماً لشريعة الله ، داعين الى الله ، متعاونين مع كل اخواننا المسلمين في أقطار الأرض لما فيه نصرة هذا الدين ، وتحكيم شرع الله ، وخدمة شعوبنا ، بل وفي نشر العدالة في العالم أجمع » .

وينوه جلالته بأمر بالغ الأهمية شديد الحساسية ، وهو ان العمل الحثيث والجهد الدائب في سبيل الدعوة الاسلامية ، لا يحمل في طياته أية بذور عدائية ضد أي شعب من الشعوب او أية أمة لا تدين بالاسلام ، فالاسلام في جوهره رسالة القضاء على العنصرية والتعصب القومي ، والسعي الجاد لبناء المجتمع المتكامل المتسابق افراده في دروب الخير ، والعاملة جماعاته على نشر

راية الاخاء الانساني . وقد قال في احدى خطبه في احد مواسم الحج :

« واني في هذه المناسبة أحببت ان اؤكد لكم اننا كمسلمين لسنا نناصب الآخرين العداوة ، ولسنا ممن تضيق آفاقهم ، او كما يزعمون ان المسلمين دعاة شقاق مع الامم الاخرى ، انما نحن دعاة التعاون مع كل مؤمن بالله » .

وينتقل للتعميم الأشمل ، ايضاحاً لدور التضامن الاسلامي وانعكاسه على مصلحة البشرية جمعاء ، فيقول :

« وكذلك يمكن لهذا الاتجاه وبهذا الهدف ، ان نحقق للبشرية أجمع ما تهدف اليه من استقرار وأمن وسلام » .

والواقع ان التضامن الاسلامي هو الأمل الكبير الذي طالما راود مشاعر الملايين من المسلمين الذين ظلوا يحلمون خلال أجيال متعاقبة بايجاد نوع من التعاون المثمر فيما بينهم لمعالجة قضاياهم المشتركة وشؤونهم العامة ، حتى تجسد هذا الأمل في دعوة فيصل بن عبد العزيز مشاعر وشعائر وعملاً جاداً في هذا السبيل ، طموحاً منه وتعبيراً عن الأهداف النبيلة والمثل الكريمة تتفيأ ظلالها شعوب الاسلام ، تجتمع حول اصوله وتنهل من منابعه .

والدعوة للتضامن الاسلامي لا يمكن ان تمر الا عبر المقاومة لكل ما تعارض ومعطياته ، وفي مقدماتها تلك المذهبيات المضللة والاتجاهات المريبة والنزعات التخريبية التي تعمل كلها لزرع بذور الشقاق ما بين ابناء البلد الواحد، وخلق روح العداوة ما بين الشعوب جميعاً . يقول جلالته :

« ندعو اخواننا المسلمين أن يكونوا يداً واحدة ، وان يحكموا كتاب الله وسنة رسوله ، وان لا يلتفتوا لأي نظام او مذهب او قانون وضعي يخالف ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله » .

وحدة الغاية ووحدة المسعى ووحدة الجهاد

ان الأهداف التي تجمع بين دول العالم الاسلامي أقوى وأرسخ من العناصر والقوى التي تفرقها ، وقد ركز الملك فيصل كامل جهده وسائر طاقاته لجمع الشمل ووحدة الصف ، فكان فكره بمثابة العدسة التي تلتقي فيها خيوط النور فتوحدها في قوة مكثفة تزيد بشحنة القوة الذاتية التي تلهب الجماهير وتدفعها الى معترك النضال .

والعالم الاسلامي يقف اليوم تجاه سيل من التحديات الخطيرة والتيارات الهدامة ، ورد الفعل الطبيعي هو العودة الى ينابيع الخير والايمان ، والتمسك بالتراث الروحي والخلقي ، والذود عن المبادىء والقيم ، وقد بذل فيصل بن عبد العزيز في سبيل ذلك كل جهد ، حتى غدت حياته مجموعة من المواقف المشرفة دفاعاً عن الكرامة والاصالة والايمان ، وقد جاء في خطبة القاها في طلاب الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة قوله :

« في هذا الدور من الزمن ، وفي هذا العالم المتلاطم الذي تتجاذب فيه المبادىء والعقائد من مختلف التيارات ، وتجتذب اليه مختلف الزعامات والجنسيات والاعتقادات ، تمثلون أنتم الطلاب وحدة الهدف الحقيقية ، ووحدة الغاية ، ووحدة المسعى ، ووحدة الجهاد ، ووحدة الكفاح ، وهي وحدة الروح الحقيقية التي عكفت على دين ربها المرسل اليها به محمد صلوات الله وسلامه عليه » .

والوحدة الاسلامية التي تضع العربية السعودية كل ثقلها لتحقيقها ، هي المناخ الصحي والجو السليم الذي يوقظ شعوب العالم الاسلامي ، ويشحن النزعات الخيرة في فطرتها الإنسانية ، وهي بالتالي الثورة الخلاقة والمضادة

لكل السلبيات الاجتماعية واتجاهات الهدم السياسية . وهكذا يتابع الملك فيصل في ذلك الخطاب الذي وعاه ولا ريب الطلاب الذين وفدوا من مختلف اصقاع المعمورة لينهلوا من ينابيع العلم :

« اذا كانت الشعوب والأمم والمجتمعات الاقليمية ، كل يسعى لوحدة على حسب اقليمه ، وعلى مقدار عنصريته وقوميته ، فانكم تسعون لوحدة أعظم وأعمق هي وحدة العالم أجمع ، تسعون اليها بنشر المبدأ الاسلامي الصحيح ، وهذا ما دعا اليه محمد ، وليست المبادىء الهدامة او الملحدة او التي تتوارى وراء الستر والشعارات والحجب ، وانما اهدافها هي ضد مصلحة بني الانسان ، وانما تسعى لأغراض حزبية او شخصية او أغراض استعمارية توسعية » .

وكان لا بد من الرد على أولئك الذين يتهجمون على كل مسعى خير لاعلاء كلمة العرب ورفع شأن المسلمين ، وقد زعموا ان وراء العمل من أجل التضامن الاسلامي ، دعوة لاقامة الأحلاف الموالية للغرب ، وما الى ذلك من تخرصات، فنبه في هذا الصدد الى ان أية حركة ايجابية لا بد من ان تصطدم بتمنت الحركات الرجعية والانهزامية ، وان الدعوة للاخاء الاسلامي ستنبحها ولا ريب ألسنة السوء ويرتفع ضدها نقيق الضفادع ، وقال :

« انني أعلم اننا سنتعرض في دعوتنا الاسلامية الى من يعارضنا ، والى من ينتقدنا ، وربما من يهاجمنا .. لكننا لن نلتفت .. فليعترض من يعترض ، وليهاجم من يهاجم ، فلن نلتفت لهم ، ولن نبادلهم بمثل ما يقولون ، ولكننا ندعو الله لهم بالهداية » .

وتناول هذا الموضوع في موقف آخر له ، من خطبة ألقاها في حجاج بيت الله الحرام ، رد بها على تخرص أولئك المتخرصين على الدعوة الاسلامية، وبالكلمة الطيبة دعا أولئك المضللين للاسهام بها ، فاذا ما ألفوها تخدم

مآرب الاستعمار حقاً فما عليهم الا الانسحاب منها ، فالدعوة أصلاً وفرعاً ، نية وعملاً ، انما تنبع من صادق النية لخير البشرية :

« لقد قيل اننا نسعى الى أحلاف ، وان هـذه الأحلاف موجهـة من جهات استعمارية ، وانني أمامكم أيها الاخوان ، أدعو من يقول ذلك بأن يتفضل ويشاركنا في هذه الدعوة ، ويقوم بها معنا ، وينظر فيما اذا كانت هذه الدعوة منبعثة من دوافع استعمارية أو خلافها ، أم انهـا منبعثة من قلوب مخلصة لربها تدعو المسلمين الى ما يصلح دينهم ودنياهم » .

مَن هم أعداء الدعوة الإسلامية ؟

وهو على علم اليقين ، بمن هم الأعداء الألداء للدعوة الاسلامية ، كما يعرف حق المعرفة ، منابع الأصوات النشاز التي ترفع عقائر الاحتجـاج على موقف الحق المبين ، ولا يفوته مصادر أقلام السوء التي تجندهـا القوى الاستعمارية والصهيونية والشيوعيـة ، لذا فحسبه بالدعوة الاسلامية فخراً ، وحسب هذه الدعوة انها تثير الرعب والحقد لدى تلك القوى السوداء التي لا تتحرك إلا في الظلماء من الليالي الدهماء . يقول جلالته :

« واذا كانت هذه الدعوة يا اخواني تسيء او لا ترضي بعض الجهات ، وبعض قوى الشر ، كالاستعمار والشيوعيـة والصهيونية ، فانني مطمئن كل الاطمئنان بأن المسلمين لن يلتفتوا ، ولن يندحروا ، ولن يتخاذلوا في سبيل نصرة دينهم ، وفي سبيل توحيد كلمتهم ، والتعاون على البر والتقوى » .

وهو يضع في مكان آخر ، النقاط على الحروف ، موضحاً الأخطار التي يمكن للدعوة الاسلامية أن تنزلهـا بقوى الشر ، فيقول في خطاب القاه بالخرطوم :

« اننا لا نجهل ولن نجهل القوى التي تعارض ما نقوم به اليوم ، إذ هي قوى استعمارية ، وقوى صهيونية ، وقوى شيوعية ...

« أما القوى الاستعمارية فهي التي تكافح الدعوة للاسلام لأنها تعلم ان الاسلام دين الاخاء ، دين المحبة ، دين المساواة ، وهي بمطامحها الاستعمارية تريد ان تتغلب على الشعوب ، وان تحكمها بشتى الطرق .

« أما القوى الصهيونية فهي تعلم ان تضامن المسلمين فيما بينهم يحول بين الصهيونية العالمية وبين مطامعها الشريرة في بلاد الاسلام ، بلاد العرب ، وأرض الأنبياء ، واولى القبلتين .. انها تريد أن تكافح لتحقق اطماعها وتوسعها فيما اغتصبته من بلاد اخوتكم وأمتكم ، لذلك فلا غرو ان تنهض لمكافحة الدعوة الخيرة للتضامن الاسلامي .

« وأما القوى الشيوعية فهي تناهض هذه الدعوة ، لأن هذه الدعوة تقوض أركان الالحاد ، وأركان المذهب الشيوعي من انكار لله سبحانه وتعالى وتحطيم لقيم البشرية وانسانية الانسان » .

وكان من البدهي ألا تؤثر تلك التهجمات والتخرصات في مسيرة الدعوة ، بل لعلها زادتها قوة واندفاعاً ، فغدت العربية السعودية المنبر الأسمى لرسالة التضامن الاسلامي ، وخاضت من أجلها وما زالت ، نضالاً عسيراً ، وهي ماضية قدماً في سبيل تحقيق الأهداف الخيرة من تلك الدعوة المباركة التي حققت حتى الآن الكثير من الايجابيات في العالم الاسلامي ، كما استطاعت تنبيه الشعوب الى ما يحدق بها من أخطار . وقد جاء في خطبة الملك فيصل في موسم الحج لعام ١٣٩٠ قوله :

« ونحمده سبحانه وتعالى أن وفق المسلمين في السنتين الأخيرتين ، الى ان وجدوا مركزاً وقاعدة لهذه اللقاءات وهذا التعاون ، في مؤتمراتهم التي مرت في هاتين السنتين ، وفي اتفاقهم على ايجاد سكرتارية عامة اسلامية

تكون قاعدة اللقـــاءات الاسلامية ولتبادل الأفكار والآراء ، وتمحيص ما يلزم تمحيصه » .

وهكذا يمكننا القول مطمئنين ، ان الرابطة الاسلامية قـــد توطدت وتعززت ، ولسوف تتعزز وتتوطد أكثر فأكثر ، لتصبح واحدة من القوى الكبرى في عالمنا المعاصر : قوة تحمل في طياتها الخير والعدل والسلام .

الفصل الثامن

العربية السعودية سند لكل عربي

نحيا على الدهر اخواناً وان فصلت
تلك الحدود رباكم عن روابينا
ما دام من هذه الفصحى لنا نسب
لا تطمعن الليالي في تنائينا

ايليا ابو ماضي



المملكة السعودية في المحيط العربي

بعد ان كانت لنا وقفة عجلى على دور الملك فيصل في دفاعه المجيد عن الاسلام ، وعمله المتفاني في سبيل التضامن الاسلامي ، لا بد لنا من ان ننتقل من حدود العلاقات الاسلامية ، لننظر الدور الذي يضطلع به في محيط العلاقات العربية ، ولا سيما في القضايا الخطيرة والمسائل المصيرية ، وبالتالي ما تنهض به المملكة العربية السعودية من رسالة بناءة ومشاركة فعالة ، بقيادة عاهلها الحكيم ، في مجمل القضايا المتشابكة والمتصارعة في العالم العربي .

ومثل هذه النظرة ، لا بد من ان تنقلنا من موقع الرؤية المجردة الى مواقع الدهشة والاكبار .

والواقع ان المملكة العربية السعودية هي تلك التجربة الفذة التي خاضت معركة الاستقلال والوحدة والبناء ، في نقلة عملاقة تخطت بها واقع التجزئة والتخلف الى ميدان الوحدة والتقدم ، وكانت بذلك اول دولة في مجموعة الدول العربية تنتزع استقلالها من براثن الاستعمار وما هو أخطر من الاستعمار: نزعات الغزو والثأر القبلية . وكانت نتيجة لكفاحها البطولي ، الرائد المقدام في حركة التحرر الوطني العربية . وقد اشار الملك فيصل الى ذلك بكلمة هي الترجمة الحية لذلك الواقع الناصع ، فقال :

« انه لفخر عظيم لهذه البلاد ان تكون أول من أسس الوحدة ، وذلك في عهد المغفور له جلالة الملك عبد العزيز العظيم ، حيث سعى بجهده لتوحيد أجزاء هذه المملكة بعد ان كانت نهباً للفتن والقتال والنهب » .

ولم ينحصر دور العربية السعودية الوطني في النطاق المحلي ، وانما اتخذ منذ البدء وجهاً عربياً وغدا عاملاً محركاً في محيط العلاقات العربية ، ورائداً في معارك الاستقلال ، ومثالاً حياً في تحقيق الوحدة ، ومسانداً فعالاً لصمود العالم العربي أمام الهجمات الاستعمارية الشرسة بكافة أشكالها ومختلف ألوانها .

وحين عملت المملكة العربية السعودية وتعمل ، على مؤازرة الأشقاء العرب ودعمهم ومساندتهم ، فانما تنطلق من الايمان بالمصير العربي المشترك . يقول الملك المجاهد :

« ان المملكة العربية السعودية تعتبر نفسها سنداً لكل عربي ، وفي خدمة كل عربي ، تهدف الى التعاون والتضامن ، والى الاخاء ، معتمدة في ذلك على حسن نيتها وايمانها بالله سبحانه وتعالى في حسن مقصدها ، وترجو من كل أمة ، وكل دولة ، ان تسلك الطريق القويم ، وان نكون اخوة في أهدافنا ، اخوة في آمالنا ، اخوة في كل ما نصبو اليه » .

سياسة أخوة ومحبة وتعاون

ان السياسة التي اختطتها المملكة العربية السعودية ، ونهجتها سبيلاً سوياً وخطاً قويماً في نطاق الجامعة العربية ، قد تركزت على مبدأ التعاون والتعاضد العربيين لمجابهة كل التحديات ، والصمود في وجه كافة الأخطار مع الاصرار المخلص على الرفض المطلق للانزلاق في حمأة المعارك الجانبية التي تضعف من كيان الدول العربية وتخضد من شوكة العرب وتذهب بريحهم ، ولا سيما بذلك التردي الى صعيد تبادل الاتهامات وتراشق الافتراءات ، بتلك «المعارك » الاذاعية. وقد قال جلالته في ظرف من أعتى وأحلك ظروف الهجمة الدونكيشوتية على العربية السعودية التي مارستها بعض « الأنظمة

الثورية الانقلابية » والتي لم يكن رد فعلها سوى الكلمة الطيبة والآية البينة ، الصادرة عن الحكمة الخالصة، يوم دارت بعض العقول وزاغت بعض البصائر:

« سياستنا العربية سياسة أخوة ومحبة وتعاون في نطاق الجامعة العربية ، واننا مع اخواننا العرب في كل ما يهمهم ، وفي أي قضية تعرض لهم ، وسنكون بحول الله وقوته في المقدمة ، وكل ما نرجوه من اخواننا العرب ان ينظروا الينا نظرة أخوة ومحبة ، وألا يكونوا مصدر أي أذى ومتاعب » .

ومن هذا المنطلق الشريف والهدف النبيل ، قولاً وعملاً ، نيةً وتجربة ، تركزت مساعي الملك فيصل في نطاق العالم العربي على تنقية الأجواء ، وكسر حدة المشاحنات التي كم أثقلت بوطأتها كاهل أمة العرب ، وفتت من ساعدهم ، وأدخلت على أصحاب النفوس الشريفة الألم الذي يعتصر منهم القلب ويدمي الفؤاد ويجرح الخاطر ، وهي ترى الاخوة في القومية منزلقين الى مواطن التنابذ ومواقف المهاترات ، لا لشيء الا لتسلل الأفكار الهدامة الى الصف العربي ، تعمل على تفكيك وحدته ، وفصم عرى تلاحمه وتماسكه بما زرعت في حناياه من ايديولوجيات دخيلة على العروبة ، غريبة عن روح الاسلام ، لدك صرح العروبة وتقويض دعائم الاسلام .

وكان يدمي قلبه كما يدمي قلب كل عربي شريف ، ان تلك المعارك الجانبية تستعر وتستفحل في وقت تهاجم فيه بلاد العرب ، وتنتهك مقدسات الاسلام ، وتستباح الكرامات التي ما عرفت غير العزة والمجد ، ونحن نجابه وحدة الباطل بتمزق الحق ، وبالتالي بالعجز المحتم عن استرجاع ذلك الحق السليب ، لا لشيء الا لعاصف « العقائدية » التي ثارت زعازعها وهبت زوابعها ، وقد أخذ بها بعض ضعاف النفوس ودخيلي الوجدان ، مما جعل جلالته يطلقها كلمة مجلجلة نفاذة :

« واننا أيها الأخوة لفي حيرة كيف نرى مقدساتنا تستباح وتستهان ،

ومع هذا نجد انفسنا عاجزين عن ان ندافع عنها ، او نستردها من أعدائنا ، وكل هذا بسبب تفرقنا وتنابذنا وتخالفنا فيما بيننا » .

كيف نهض العرب ولماذا تأخروا ؟

لقد وقف الملك فيصل حياته للدفاع عن حياض الاسلام ولتعزيز شأن العروبة ، ويرى فيها وجهي قطعة النقد اللذين لا يمكن الفصل بينهما في تجارة الحق الرابحة عند الله الناهضة بشأن الوطن ، وانه لا نهضة للعربي ولا عز للمسلم الا بالرجوع لاصالته الذاتية عروبة واسلاماً ، والا بالبعد عن دخيل الايديولوجيات التي لا تورثنا الا شقاقاً وخصاماً ، مما يترجمه جلالته نقداً ذاتياً مخلصاً واعياً لواقع أمة العرب .

« يجب علينا ان نعود الى أنفسنا وان نحاسبها ، لماذا تصيبنا هذه النكبات ؟ .. ولماذا نتعرض لهذا العدوان من أعداء الاسلام وأعداء البشرية وأعداء الانسانية ؟ . . علينا ان نحاسب أنفسنا ، فلا بدان هناك فينا وفي أنفسنا ما يستوجب ان نصاب بهذه النكبات ! » .

اذن لا بد من البحث عن العلة في تعليل الظاهرة ، وهذا ما كان المحور الأساسي الذي دارت عليه كثير من خطبه في تفسير ضعف العالم العربي ومن ورائه العالم الاسلامي ، والذي يرى مرده الى تنكبنا عن الايمان ، وعن التراث العربي ، وعن الشريعة الاسلامية ، وينوّه بالدور الأساسي الذي مثله الاسلام في نهضة العرب ورقيهم ، وسمو حضارتهم ، وسرّ قوتهم ومنعتهم ، دفعاً لكل النكبات ، وتغلباً على سائر الأعاصير :

« لقد شرف الله العرب ان بعث منهم محمد ﷺ ، ولقد كان لهذا الشرف أثره في نهضة العرب وتقدمهم حتى بلغوا مشارق الأرض ومغاربها ..

بلغوها لماذا ؟ .. لقد بلغوها لتقديم كتاب الله ، والايمان بالله ، والاخلاص له . ليس للعرب فضل الا بهذه الرسالة المباركة، وهذه الرسالة جعلت العرب في خدمة الدين ، ولذلك حينما تنكر العرب لهذه المبادىء وهذه الرسالة ، لقوا ما لقوا من اذلال واستعمار وظلم واغتصاب » .

والنقد الذاتي عملية بناءة ولا مراء، لكنه على جليل قيمته الجناح الواحد الذي لا ينهض الا بنظيره : حسن النية بتجاوز الخطأ ، وبالتالي القفز من شاطىء السلبية الى شاطىء الايجابية ، وربط نبيل الهدف بصالح العمل ، وهتك ستر ظلام التقوقع للانطلاق منه الى مواطن الضياء ومنابع النور ، وذلك يعني توحيد الارادة العربية في ظل المبادىء العربية والاسلامية القمينة بجمع الشمل الممزق : وحدة شعار ووحدة صف .

ويدرك الملك فيصل بما فطر عليه من ثاقب النظرة وبعد غور الفكرة، ذلك الواقع من أزمة الفكر العربي ، وتخبط الشعوب العربية نتيجة انقسام قياداته السياسية بين الولاء القومي والاعتناق المذهبي ، وما وراء هذين القطبين من محاولات مدسوسة تسعى لنثر بذور الفرقة واحلال الخلاف ، في الوطن الواحد والشعب الواحد ، وبالتالي الاحساس بالغربة ، وانشطار المشاعر ، ورفع لواء الازدواجية ، وما ينعكس عن كل ذلك من عوامل القلق ، وتعرض النفوس الى الشك بل الانفصام ، ولا سيما في صفوف حملة الأقلام من جيل الشباب .

وعلى الرغم من ان بعض قادة الأنظمة العربية لم يصدروا أصلاً الا عن نية صادقة في الاتجاه والأهداف ، الا انهم وبدون ارادة منهم، ولعدم أخذهم بالمعطيات الموضوعية للعالم العربي ، ألفوا أنفسهم منزلقين في حمأة الريب ، وذلك لأن القوى الخفية من ركائز الاستعمار والصهيونية والشيوعية قد عرفت كيف تتسرب الى قلب تلك الأنظمة لاحتوائها او حرفها عن القصد او نسفها من الداخل .

القومية العربية لا تحتاج إلى بطاقة استيراد

وفي مقدمة الموضوعات التي تتبادر الى الذهن في العلاقات العربية والمسائل القومية ، موضوع الوحدة العربية ، وما أثاره من أزمات فكرية معقدة ، وسياسة شائكة مريبة ، اذا ارتبطت بمعطيات غريبة عن الواقع القومي لتدخل سراديب التنظير المذهبي .

والوحدة العربية في الأصل المحج الذي تهفو اليه كل النفوس المخلصة والقلوب المؤمنة ، لتجاوز واقع التجزئة وتفتت الارادة ، والنهوض بالمجتمع العربي متكاملاً قوياً صامداً بوجه التحديات والأخطار من استعمار وصهيونية وشيوعية . لكن هذا الهدف النبيل ، لم يتمخض ، نتيجة أخطاء القيادة المفروض فيها الريادة ، لم يتمخض الا عن مضاعفة التجزئة ، والتشديد على الفرقة ، وبعثرة الصف ، وشرذمة القوى ، لنثر العرب عصفاً مأكولاً أمام الهجمة الاستعمارية الصهيونية والغزوة الشيوعية الهدامة ، وتتوجت المحنة بيوم النكسة ، وحسبنا به من تعريف ، ولم تلبث البنادق العربية ان سددت الى الصدور العربية ، ورفعت العقائر بشعارات الثورية والاتجاهات الانقلابية كأن النكسة لم تكف العرب فأخذ العقائديون والانقلابيون يمهدون لنكسة أخرى .

وقد قال الملك فيصل في هذا الموضوع :

« ان تبعة تفريق الصف العربي تقع على أصحاب المبادىء الهدامة التي هي كالصهيونية في خطرها ، هذه المبادىء والعقائد التي تعمل كالسرطان في الجسم العربي لانهاكه واضعافه ، فمنذ دخولها الى العالم العربي بدأت التفرقة ، وبدأ تبادل الاتهامات والتخوين » .

ومن النظرات السياسية النافذة لجلالته ان يتجه كل حاكم عربي الى خدمة بلده ، عاملاً على انعاشه ، ساعياً لازدهاره ، ناشطاً لعمرانه ، موفراً بذلك

ضرباً من الاستقرار في المنطقة ، مما يؤول بالنتيجة الى خدمة المصلحة العربية العامة ، وتوفير الكرامة للمواطن ، والنهوض بالوطن ، وقد جاء ذلك في كلمة ألقاها عام ١٩٦٣ ومنها :

« ان بلاد العرب اليوم في أشد الحاجة الى الاستقرار والهدوء ، وان ينصرف كل بلد وكل حكومة وكل مسؤول ، وكل فرد في أي بلد عربي ، الى خدمة بلده وأمته ، والنهوض بها للوصول الى المقام اللائق بين الأمم .

هذا ما يحتاجه العرب ، أما التناحر والتنابذ والتشاتم والمهاترات ، فان هذا يمنعه ديننا ، وتمنعه كرامة العرب والمصلحة العربية ، فليس في مصلحة أحد ان يضر نفسه ، ويضر الجميع ، ويؤخر البلاد العربية عن القيام بواجباتها كما يجب عليها » .

ومما يؤسف له حقاً ان بعض القيادات العربية ، حاولت استغلال موضوع الوحدة ، ليس لخدمة هذا الهدف ، وانما لفرض الزعامة لأنفسهم على أمة العرب ، وبالتالي التدخل في شؤون الآخرين ، وتشجيع الاتجاهات الانقلابية في البلدان الشقيقة ، محاولة ان تجعل من القومية العربية عقيدة جديدة ومذهباً جديداً ، وتعميم تلك العقيدة وهذا المذهب في ديار العرب كافة ، وهذا ما دفع العاهل الكبير الى التصدي لتجار المبادىء وكشف زائف محاولاتهم الخادعة .

فالقومية العربية قضية لا تحتاج الى بطاقة استيراد وتصدير ، وانما هي واقع حياتي يختلج بضمير كل عربي ، وما من مواطن عادي او قائد رائد يشك بانتمائه القومي او يحتاج الى فلسفة هذا الانتماء واقامته على اسس معينة حددها بعض المنظرين حسب أهوائهم واتجاهاتهم . وفي ذلك يقول جلالته :

« أما القومية العربية فهي ليست مذهباً ، وليست مبدأ ، وليست عقيدة ، انما هي حس ودم ولغة .

الوحدة العربية هي غاية كل عربي ، والهدف الأسمى لجميع الشعوب

العربية ، ولذلك يجب ان تبقى فوق أهـواء الأشخاص ، وفوق الشعارات والأحزاب » .

ان الوحدة العربية هي القضية الحيوية في محيط العلاقات العربية ، بـل الغاية التي تهدف اليها الشعوب العربية ، أما دخول الأهواء السياسية وما فيها من تقلب ، وتسلل الشعارات الحزبية وما فيها من تناحر ، تحت شعار القومية والوحدة ، فأمر يضر بحقيقة القومية وروح الوحدة، ولا يؤول الا الى الفرقة التي صار اليها واقعنا العربي . ولا مناص في هذا الصدد من استكناه هـذه الحقيقة البدهية : ان العمـل في سبيل الوحدة لا بد له من النظرة الشمولية الكبرى ، وصولاً الى الهدف الأسمى على جسر التفاني وانكار الذات ، وهبة الذات للقضية ، في طرح كلي للنزعات المصلحية ، وتجنب الانانية ، والبعـد الكلي عن الأمزجة الآنية المتقلبة ، والنزعات الحزبية الضيقة يقول جلالته :

« ان انكار الذات في سبيل المصلحة العربية ، هو العلاج لقضايا العروبة، ولو تمكن العرب من العمل في هذا الاتجاه لما حدث أي خلاف بينهم » .

وحدة التسلّط الحزبيّ ووحدة الوجدان العربي

وموضوع الوحدة ، وطرحها كشعار ، لا يمكن ان ينسي المرء مجموعـة القضايا المتعلقة بالأهداف المستترة خلف الشعـار البراق ، وبالتالي لا بد من استكناه الممارسة السياسية الخـاطئة لهذه القضية ، والسبيل المريب الذي سلكته بعض الدول العربية توصلاً لهذا الهدف ، حتى لقـد أدرك معظم المواطنين العاديين ان وراء الأكمة ما وراءها . وشر من ذلك كله الانتقال من العمـل سراً الى حفز النزعة الانقلابية جهراً ، للسيطرة على الساحة الثورية ورفع شعار قلب أنظمة الحكم توسلاً للوحدة الكبرى ، ممـا لا يقود الا الى

تكريس التجزئة ، وتعميق جذورها ، وما ينتج عن ذلك من فرز وتصنيف للأنظمة ، فهذه دولة « تقدمية » وتلك « رجعية » ، وهذا النظام « ثوري » وذاك « محافظ» ، وتلوين الأطلس العربي بألوان سياسية محركها الأساسي العوامل الشخصية والنزعات الأنانية والأيدي الأجنبية ، مما يطلق لسان الواقع بهذه الحقيقة المرة : تفرقوا أيها العرب ! ..

لكن اذا عنت الوحدة العربية لدى بعض ذوي الأمزجة المتقلبة شعارات انقلابية ، وسبيلاً الى التدخل في شؤون الآخرين ، فهل يجب ان يقود ذلك الى رفض الوحدة جملة وتفصيلاً ، أم ان لهذا الهدف وجهاً آخر عبر عنه جلالته فأحسن التعبير ، اذ قال « ان الوحدة العربية ستبقى فوق الشعارات والأحزاب » أي انها ستبقى الأمل الذي يراود الوجدان العربي لبناء غد أفضل ، واشادة مجتمع اكثر تماسكاً وأصلب قاعدة ، وأوعى استيعاباً للمنجزات الحضارية دون الخروج على المضامين القومية او الزيغ عن المبادىء الروحية والخلقية .

وعند هذه النقطة لا بد من الوصول الى هذه الحقيقة : ما دامت الوحدة العربية تمثل جمع كلمة العرب ، فالعربية السعودية رائدة هذا الخط ، وعنصر فعال في دعمه وتعميقه ، وحاشا لقادة المملكة ان يقفوا حائلاً دون هذا الهدف النبيل والغاية السامية ، ولكن لا بد من ربط الحركة بالهدف ، والوسيلة بالغاية ، لأن ليس كل شعار للوحدة يقود اليها عملياً . والتجربة الفيصلية الرائدة في محيط العلاقات العربية لا يمكن ان تنظر الى هذا الهدف السليم الا من خلال النهج القويم ، فالطريقة التي تجمع ولا تفرق ، توحد ولا تجزىء ، تؤول الى هدى الجميع ، وتحقق الخير العام . وقد وصف جلالته الوحدة التي يرحب بها فقال :

« وحدة تنبعث عن نفوس طيبة ، وعن ارادة خالصة ، وحدة تؤتي كل ذي حق حقه ، وتحفظ التكافؤ في الأمة العربية ، تأخذ سبيلها الى قلب

أبناء هذا البلد ومن يبنون الوحدة في تعاونهم في ما بينهم » .

اذن فالوحدة تكون عنصراً فعالاً بالارتباط بقضايا المواطنين، والاحساس بمشاعر الجماهير العربية ، وهيهات ان تتم حسب النزعات والتمنيات القيادية التي من بعض ترجمتها زرع بذور الشقاق ، وتعميق شقة الخلاف .. وكم هو جميل النظر الى هذا الهدف المتمثل من خلال التعريف الفيصلي ، واستلهامه بالتطبيق العملي :

« وحدة تكون متمشية مع مصلحة العرب عموماً ، وان تراعي الظروف والأحوال الخاصة لكل بلد عربي » .

اذن فالنهج السليم والطريق القويم لبلوغ القصد المنشود ، هو النظرة الواقعية للظروف الموضوعية لكل بلد عربي ، والا كانت الوحدة ضرباً من التسلط ، مما لا يتيح لها ان تتم ، واذا تمت لم تدم ، وتجربتها في الجمع الاعتباطي ما بين سورية ومصر التي انتهت بذلك الانفصال المأساوي ، لخير شاهد على ذلك ، ولذا نرانا مساقين لمتابعة التعريف الفيصلي للوحدة التي تستطيع ان تكون الاحتواء الشامل لدنيا العروبة :

« وحدة ثابتة الأركان قوية الدعائم ، وحدة يكون فيها العربي للعربي، وحدة أساسها التعاون بين العرب ، وان ينظر العربي الى أخيه العربي كما ينظر لنفسه ، وان يفكر لأخيه كما يفكر لنفسه ، وأن يبذل لأخيه العربي ما يبذل لنفسه ، لا وحدة تنبعث عن اعتداء او عن تسلط ، ولا عن حكم بوليسي لا يرعوي ، ولا يأخذ في العرب والمسلمين بقانون ولا بشريعة ولا بأخلاق سمحة » .

ان الفيصل العربي ، ابن التربة العربية الأصيلة، وسليل الصحراء الكبرى التي هي الخافق المنفتح والصدر الذي ليس أوسع منه صدر ، يقولها بصراحة الفطرة العربية ، وفي وضح النهار ، بعيداً عن العمل في كواليس الظلام الذي

ليس من ثماره سوى الدسيسة واثارة الفتنة : « اننا نرفض وحـــدة من هذا النوع » ونكررها : « لا .. لا .. » .

« لا وحدة يكون فيها العربي على العربي يقتله ويعتـــدي عليه .. ولا وحدة تترك المجال للشكوى والريب .. ولا وحدة تفرض بالقوة والتحكم .. ولا وحدة تكون لمصلحة شخص او حزب .. » .

الوحدة العربية والوحدة الإسلامية

واذا ما أردنا استلهام الواقع الذي تنطلق منه العربية السعودية في نشدان الوحدة العربية ، لا بد لنا من مراجعة بعض المواقف التي طرحناها سابقاً ، وبالتخصيص العمل في سبيل الوحدة الاسلامية . فكيف يكون ذلك ؟ .. كيف المنطلق والى أين المصير ؟ ..

الواقع ان منطلق العربية السعودية هو من المنطق في اللباب، ومن التفكير السليم في الصميم . فالجزيرة العربية هي مهد العروبة ومنبت الاسلام بآن واحد، والعروبة والاسلام هما دم العربي الحق بكرياته البيضاء والحمراء معاً، وهما الواقع وظله تحت شمس الحقيقـة ، والشكل والمحتوى للآية الكريمة : « وجعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على النـــاس ويكون الرسول عليكم شهيداً ». فليس هناك اذن من حاجز ، ولا يمكن ان يكون هناك من حائل ، ما بين هاتين الحقيقتين ، ولا سيا اذا ما تمثلها عقل راجح ونفسية واعية كعقل الفيصل ونفسه ، وهو القائل :

« اذا دعونا نحن العرب للوحدة العربية ، فان ذلك لا يتنافى مطلقاً مع الدعوة للوحدة الاسلامية ، انما في اعتقادنا ان الدعوة للوحدة العربية والاتحاد العربي كنواة لوحدة اسلامية كبرى تكون كل الشعوب الاسلامية مرتبطـة

بها ، انما تقام على أسس ثابتة مدروسة تُرعى فيها مصلحة كل شعب، ويراعى فيها حق كل شعب » .

فالدعوة للوحدة الاسلامية لن تقضي على الطابع القومي للوحدة العربية ، وانما تنفي عنه قشرة التعصب العنصري ، وتفتحه على الآفاق الانسانية ، ارساءً للسلام العالمي على أسس الواقع الحي ، ومن خلال التجربة المخلصة لكل الارادات الخيرة .

ومن شأن هذه الدعوة بكل ما تحمل في طياتها من طموح لا يحد وجرأة غلاّبة ، ان تتوّج بغار الظفر والنصر من خلال الوحدة التي وصفها الفيصل بقوله :

« وحدة النفوس المخلصة والأهداف السامية ، وحدة تصدر عن قناعة ومصلحة مشتركة معاً ، وحدة تلقائية لا قسر فيها ولا ارغام ، وحدة مدروسة تحافظ على خصائص الشعوب والاقطار وظروفها الخاصة ، تنميها وتعنى بها ، وحدة متفتحة على الشعوب الاخرى ، وعلى الانسانية بكاملها ».

كلّ بلدٍ عربيّ حرٌّ في تقرير مصيره

بعد هذه الجولة القصيرة في الرحاب الفكرية لجلالة الملك فيصل ، لا بد لنا من مراجعة خاطفة للتاريخ العربي المعاصر ، وسبر اغوار سياسة المملكة السعودية التي لم تكن في أي يوم او أي ظرف ، منطلقاً لمضاربات فكرية وانفعالات آنية ، وانما كانت أبداً الرائد الأمين في السعي الحميد لكل ما من شأنه العمل لخير العرب ، ولرأب الصدع في دنيا العروبة، انطلاقاً من القضية الفلسطينية ودعم الجبهة العربية ضد اسرائيل ، الى النكبات الأخرى التي حلت بديار العروبة وبلغت حداً سفك العربي فيه دم أخيه العربي ، مما

شهدناه في اليمن التي مرت بمحنة من أشد المحن ، نتيجة شطط بعض الأنظمة العربية ، وخروجها عن حدودها الاقليمية قوة ضاربة عاملة بلحم العروبة ، والغة بدمـــاء الاسلام وابى الملك فيصل الا ان يقول الكلمة الفصل في هذا الصدد :

« ان سياستنا نابعة من شعور شعبنا الفياض بأن تترك لكل بـلد عربي حرية مصيره ، كما يراه صالحاً لنفسه ولأمتـه ، وانني اؤكد مرة أخرى بأن هذه السياسة التي نتبعها سنتمسك بها ولن نقبل عنها محيداً » .

وفي حـين نهجت الغوغائية أوعر السبل بالتردي في مستنقع الطفـولة السياسية ، بما أثارته من حملات صحفية هوجاء وهجمات اذاعيـة طائشة ، بغية اثارة الخواطر وبلبلة الأفكار ، ظلت المملكة السعودية على مواقفها التي ارتضت ، في الحصن الحصين ، في البلد الأمين ، في الدعوة الى الكلمة السواء ورفع الحق لواءً ايّ لواء ، قال جلالته :

« اننا لا نعتدي على أحد ، ولا نتهجم على أحد ، وليست لنا أطماع في أحد ، وسنظل — كما كنا أبداً — في طليعة الركب العربي بالنسبة للدفـاع عن قضايا العروبة » .

وهكذا ، وبرغم ما كابدت العربية السعودية من ظلم الأشقاء ، وهـو أفدح ظلم في العرف العربي اللاهج أبداً بقول طرفة :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة   على النفس من وقع الحسام المهند

نعم ، برغم كل ذلك ، ابت السياسة السعودية الحكيمة ، إلا ان تتفجر طاقات خير ، وعواطف مودة ، ومُثُل سلام ، مما يذكرنا بموقف الشاعر العربي الحكيم المقنع الكندي القائل :

وان الذي بيني وبين بني أبي   وبين بني عمي لمختلف جـدا

فان أكلوا لحمي وفرت لحومهم وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم وان هـووا غيي هويت لهم رشدا

بل ان الموقف النبيل الذي وقفته العربية السعودية قد تخطى بكثير مَثَل الشاعر المقنع ، بما قدمت من دعم لعالم العروبة ، ومـــا قامت به من دور فعال في عالم الاسلام ، وكانت أبداً رسول سلام ما بين الأشقاء في ساعـات الشقاء ، وحسبنا من نشاط البلد الأمين ما قامت به من علاقات ثنائية مع الاقطار العربية الشقيقة ، وزيارات ودية قام بهـا الملك فيصل لهذه الاقطار وآخرها لبنان الذي قال فيه :

« لبنان هو رئة العالم العربي وفكره ، وهو قيمة انسانية عالمية . انه بلد محبة ، وملجأ لكل مضطهد ، وفيه يتعايش المسيحي والمسلم بروح الأخـوة والتعاون ، وهذا الطابع يهمنا ان يحافظ لبنان عليه ، لكن هنـــاك مخربين حاولوا ان يسيئوا الى طابعه هذا ، والحمد لله ان هذه المحـاولة لم تستمر ولم تنجح ، فاستعاد لبنان طابعه الذي يميزه عن غيره . انـّا نريد ان يظل لبنان بلد محبة ، وملجأ للمضطهد » .

وكم هي واقعية ورائعة تلك النظرة النفاذة لبلد الأرز الخالد الذي يتعايش فيه الاسلام والمسيحية تعايش الاخ مع أخيه، في تلك الحركة البناءة الزاخرة بالطاقات الروحية والقدرات المادية ، في نهر خالد يصب صافي الميـــاه في المحيط العربي الكبير ، مما يترجمه العاهل الكبير خـير ترجمة ، بابرازه وجهاً عربياً مشرقاً ، على كل عربي واع ومخلص ان يحافظ على كيانه :

« ان لبنان ضرورة عربية ، لبنان السيد المستقل المحايد . وحياد لبنان ليس في ان ينفصل عن أشقائه العرب ، بل لبنان الذي يوحد صفوفه و كلمته بوجه التهديم الشيوعي — الصهيوني ، والذي بذات الوقت يتعامل مع أشقائه العرب على قدم المساواة ، فيفيد هو عندئذ من الجميع ، ويفيد الجميع منه » .

تلك هي المملكة العربية السعودية : مسعى وهدفاً ، عملت وما زالت تعمل في سبيل التضامن الاسلامي ، وتحقيق آمال العروبة في الوحدة السليمة الخالية من كل شائبة ، في تطلع واع لبناء مستقبل زاهر من العلاقات الأخوية بين الدول العربية ، وشعارها أبداً غصن الزيتون في هذا العالم الذي يعيش في خضم التيارات المتنازعة والاتجاهات المعادية ، بل حمام السلام الذي يعيش بكنف البيت الحرام ، في سعي دائب لرأب الصدع ما بين ديار العروبة على اختلاف انظمتها ، والعمل الجاهد لتجديد مجد الاسلام ، مع النظرة المتسامحة لابناء الأرض كلهم دون تفريق او تمييز ، قال جلالته :

« نحن هنا في هذه البلاد ماضون كما هو دأبنا في سياستنا لخير امتنا ، ولخير جميع البلاد العربية ، ولن تثنينا الأحداث عن بذل جميع جهودنا الصادقة الدائبة لما فيه عز الأمة العربية ، ولتذليل كل عقبة تقف في سبيل وحدة كلمتها ، ولم شملها ، وجمع صفها ، على كلمة سواء ، حتى تستطيع اداء دورها التاريخي لخيرها وخير البشرية جمعاء » .

وطوبى لمن كان مجد الاسلام رايته ، وعز العروبة ريادته !



الفصل التاسع

فيصل والقضيّة الفلسْطينية

ان الملك فيصل هو الزعيم العربي الوحيد الذي كشف لي بصراحة عن رأيه في القضية الفلسطينية ، كما انه الوحيد الذي استطاع بصراحته هذه ان يغيّر موقفي منها تغييراً أساسياً .

الجنرال ديغول



الاستعمار الصهيوني الاستيطاني

ان أبرز ظاهرة شهدها العالم ، ومنه شرقنا العربي ، في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ذلك المد التحرري من قيود الاستعمار ، حتى ليمكن القول اننا نعيش عصر استقلال الشعوب الصغيرة وظفرها بحريتها ، الا انـه رغم هذه الموجة المباركة التي شملت أقطار العروبة، واستقلالها دولة بعد أخرى، وتحطم سلاسل العبودية المرهقة ، فقـد دهم دنيا العروبة شر من أقسى الشرور ومأساة من أفدح المآسي ، بل كارثة أين منهـا كوارث الاستعمار ، الذي مهما رزح على أرض هو دخيل عليها ، فلا بد من أن يشد الرحـال ، والى غير رجعة .

لقد ابتلي العالم العربي ، في مركز القلب منه بالسرطان الصهيوني الذي من ابرز صفاته انه استعمار استيطاني ، على نحو ما حاول الفرنسيون صنعه بالجزائر. بيد ان الصهاينة لم يكتفوا بالاستعمار الاستيطاني ، وانمـا استطاعوا بقوى الاستعمار على شتى أشـكاله ، شرقية وغربية معاً ، ان يحولوا الفلسطينيين من شعب مناضل ، الى مزق من شعب شرد تحت كل نجم ، تتخطفه المصائب ، ويحل بساحته البلاء ، يعيش تحت الخيام فريسة عوامل الطبيعة ونهب النظم المنحرفة .

وبذا لم تعد القضية الفلسطينية مشكلة الفلسطينيين وحدهم ، وانمـا غدت مأساة العالم العربي بمجموعه ، من محيطه الى خليجه. ولم تلبث دائرة الشر ان دهمت من خلال هذه المأساة أقطاراً عربية أخرى ، ممتداً اليهـا السرطان

الصهيوني ، خارجة عن اطار العروبة وحدها لتدخل حمى الاسلام بكل قيمه ومقدساته ، حتى أطلقها المسجد الأقصى أنة متهدجة بجرح قاتل : وآاسلاماه . .

ومن خلال هذا المنظار ، ستكون لنا وقفة ليست بالعجلى ولا هي بالمتمهلة ، على ما بذلته وتبذله المملكة العربية السعودية بشخص مليكها الفيصل ، في سبيل القضية الفلسطينية ، وما قامت به وتقوم من دور فعال ، في دنيا العروبة والاسلام ، دعماً للحق العربي في أرضه ومقدساته ، واضطلاعه بعبء مقارعة الصهيونية العالمية ، والقوى التي وراءها ، عربياً واسلامياً ودولياً .

ولعل من المجدي بادىء ذي بدء ، ربط القضية الفلسطينية بمحور العلاقات العربية ، وانعكاسها على سياسة المملكة ، بعد ان استشرفنا في الفصلين السابقين ، هذه السياسة من آفاق الاسلام واجواء العروبة لان المسألة الفلسطينية تشكل الجانب الأهم من تلك الآفاق وهذه الأجواء ، لما لها من تأثير بالغ في المقدسات الاسلامية ، وفي مساق الحركة العربية ، بكل ما يمكن ان تحمل من معطيات ايجابية وسلبية .

لا اعتراف بالكيان الصهيوني ولا تفريط بحقوق الفلسطينيين

ومما يسترعي الانتباه ، ولا يجوز ان يغفل عنه المحقق والمؤرخ ، انه كان للعربية السعودية شأنها الكبير والخطير في دعم القضية الفلسطينية حتى قبل ان تتخذ طابعها المأساوي الخطير ، منذ أيام المغفور له الملك عبد العزيز ، الذي كانت له مواقفه الرائعة والمشرفة في الدفاع عن عروبة فلسطين ، وتحذيره العالم الغربي من خطر الانزلاق في دعم اليهود ضد العرب ، مما

سيؤول الى تأليب العالم العربي ضده ، ويمهد الطريق للتسلل الشيوعي .

وقد اثبتت الأيام نظرة الراحل العظيم ، في الوقت الذي نافحت فيه العربية السعودية جهد طاقتها الى جانب الأشقاء العرب ، إذ أنفذت جيوشها لتقف كتفاً الى كتف مع الجيوش العربية بمعركة الانقاذ ، لكن قَدَر تلك الأيام كان اكبر من طاقة العرب آنذاك، ودهمت العروبة بأكبر نكبة طرأت عليها في تاريخها القديم والمعاصر .

الا ان السرطان الصهيوني لم يتوقف عند حدود نكبة ١٩٤٨ ، عام المؤامرة الدولية ، اذ كان نشوء الدولة الاسرائيلية ككيان مصطنع ، وانما استفحل الشر واستعر ، برسوخ ذلك الكيان الذي عرف كيف يجر العرب بساعة غفلة منهم ، ونشوة غرور أجوف ، الى عام النكسة . . حتى غدا خطراً داهماً فيه كل طابع التحدي لأمة العروبة جمعاء ، ومن ورائها الشعوب الاسلامية قاطبة .

ووجد الملك فيصل نفسه ، وهو حامي الحرمين الشريفين ، في قلب المعركة ، يذود عن الحق العربي ويقارع الباطل الاسرائيلي ، بل كان أبداً تلك الطاقة التي من دأبها التحرك ، في سعي متواصل لا انفكاك لمراحله ، لخلق جبهة عربية اسلامية كبرى لرد العدوان الصهيوني ، ناشطاً أبداً على اكثر من جبهة واحدة ، لا يهدأ عربياً واسلامياً ودولياً ، مما يعتبر استمراراً منطقياً لاداء رسالة العروبة والاسلام على الصعيد العالمي .

وموقف العربية السعودية من اسرائيل واضح لا لبس فيه ولا غموض : لا اعتراف بوجودها ، ولا مفاوضة معها ، والعمل لازالة كافة آثار عدوانها المتمثل بكيانها السياسي .

أما موقف العاهل السعودي نفسه من هذا الموضوع ، فلا أصلب منه ولا أشد ، وهو يعلن في كل مناسبة :

« ان المملكة العربيـــة السعودية لم تكن في يوم من الأيام لتقر وجود اسرائيل من حيث المبدأ » .

وكان الفيصل ، بصفته قائد دولة عربية كبرى ، لها وزنهـــا الراجح في جامعة الدول العربية ، يعلن بصراحة بأنه يرفض بأي شكل من الأشكال ، وتحت أي ظرف من الظروف ، التفريط بحق الشعب الفلسطيني ، أو قبول مفاوضة دولة العدوان ، وانه على موقفه هذا لا يتزحزح عنـــه أو يحيد ، ولو أدى به الأمر الى الخروج على اجماع قد يحدث حول هذا الموضوع ، قال جلالته :

« انني كعربي سعودي، لي الحق ان اتكلم باسم العرب السعوديين أنفسهم، وليس لي الحق ان اعتدي على حقوق الآخرين ، فاؤكد لكم ان موقف المملكة هو:«لا صلح ولا مفاوضة مع اسرائيل طال الزمن أم قصر» ويضيف جلالته الى ذلك : « لو أجمع العرب جميعاً على أن يتفاوضوا أو يتصالحوا مع اسرائيل لخرجنا على هذا الاجماع » .

إسرائيل كيانٌ سياسيٌّ شرعته الاغتصابُ

ولم يكن جلالته ليدع أية فرصة او مناسبة الا واستغلهـا ، على أشرف وجه وانقى صورة ، لتوضيح واقع الصراع العربي الاسرائيلي من اعلى منابر الرأي العالمي،وذلك بلقاءاته مع زعماء الدول الكبرى،في نيويورك أو لندن أو باريس ، وقد أجاب على سؤال صحفي في اواسط عام ١٩٦٦ ، وفي نيويورك بالذات، عما اذا كان قادة المملكة العربية السعودية يؤيدون فكرة القضاء على اسرائيل وقذفها في البحر :

« الحقيقة انني احب ان اقف عند هذه النقطة بعض الوقت ، فان المفهوم

في هذه البلاد وفي غيرها من بلاد العالم ، من مخطط الدعاية الاسرائيلية ، اننا نريد شراً باليهود ، أو اننا نريد ان نقذف بكل يهودي في البحر . ونحن لم نقل هذا ، ولم نسع اليه ، ولكن في كل الأوقات كنا نعترف باليهود الذين هم من أصل فلسطيني ، والذين لم يأتوا من الخارج ، لأنهم مواطنون فلسطينيون ، ويعيشون مع اخوانهم المواطنين العرب » .

وهذه القضية التي هي من أخطر وأدق القضايا ، قد عرف الفيصل بكل ما اتصف به من حكمة ورزانة ، ورجاحة تفكير ، كيف يبرزها جلية واضحة أمام الرأي العام الغربي ، في خضم ضجيج الكلمات الجوفاء والمزايدات الرخيصة . فالعرب لم يكونوا في يوم من الأيام اعداء لليهود كأصحاب دين وكتاب ، وانما كانوا لهم ابداً اخواناً ، وليس بينهم البتة ما يمكن ان يسمى بالعداء العنصري . وانما هناك واقع يتمثل بالاعتداء الظالم على حق الشعب الفلسطيني ، في وطنه الذي شرد منه ، ودياره التي اجلي عنها . فالواقع واقع اغتصاب وطني ، وتشريد شعب ، واسرائيل كيان سياسي شرعته الاغتصاب والاغتصاب وحده ، تدعمه الصهيونية العالمية المستشرية ، ولذا لم يقبل العالم العربي ولن يقبل بوجود غير شرعي على أرضه . وهكذا يتابع جلالته حديثه مع المحقق الصحفي الأميركي قائلاً :

« ولكن اسرائيل ومن ورائها الصهيونية العالمية هي التي خلقت هذا الشعور باننا اعداء ، وهذا مغاير للحقيقة ، فنحن اعداء لكل اعتداء ، ولأن اسرائيل اعتدت على العرب في وطنهم وأخرجتهم وشردتهم من بيوتهم واراضيهم ، وألجأتهم الى المخيمات والملاجىء ، واحتلت بلادهم بيهود لا يرجع أصلهم الى يهود فلسطين ، ولا يرجع أصلهم الى البلاد التي يحتلونها الآن ، ولكن أتوا من بلاد شتى ، فنحن لا نعترف بأن هؤلاء فلسطينيون ، ولكننا نعتبرهم غرباء على البلاد التي احتلوها بالقوة ، وطردوا أهلها ، وهذا في رأينا اعتداء صريح على حق الانسان ، وحق البشرية ، وحق كل شعب في

بلاده » .

الملك فيصل والجنرال ديغول

وفي صيف عام ١٩٦٧ جرى لقاء ما بين العاهل السعودي والجنرال ديغول رئيس الجمهورية الفرنسية ، تخلله نقاش وتبادل بالرأي حول الصراع العربي الاسرائيلي ، وكيان اسرائيل ، وعوامل الرفض العربي للاعتراف بالأمر الواقع ، وقد اعلن الجنرال ديغول نفسه عن موقف الملك فيصل من هذه القضية ، بحديث أفضى به الى عدد من السفراء العرب في باريس قال فيه :

« ان الملك فيصل هو الزعيم العربي الوحيد الذي كشف لي بصراحة عن رأيه في القضية الفلسطينية ، كما انه الوحيد الذي استطاع بصراحته هذه أن يغير موقفي تغييراً أساسياً » .

وأضاف ديغول قائلا :

قلت للملك : لا بد للعرب من أن يعترفوا بالأمر الواقع في فلسطين .

فرد عليّ بهذا الجواب المصوغ بعبارة سؤال استفهامي :

– ألم يكن احتلال المانيا الهتلرية لفرنسة في الحرب العالمية الثانية أمراً واقعاً فلماذا رفضتموه ؟

فأجبت : ولكن فلسطين كانت في أحد عصور التاريخ وطناً لاسرائيل .

فجاءني الرد المحرج : اذن فلماذا لا نعيد توزيع العالم على أساس ما كان عليه في العصور الماضية ، فتعود فرنسة الى أملاك روما ، وتعود

اسبانيا الى العرب ، وهكذا دواليك .. فلماذا يفرض على العرب وحدهم من دون شعوب الأرض جميعاً ان يعيدوا توزيع أوطانهم على أساس ما كانت عليه قبل ألف أو الفين من السنين ؟ . .

هل تعالج القضية الفلسطينية بالعواطف المرتجلة أم بالسياسة الحكيمة ؟

على ان الأهم من ابداء الرأي، وشرح الموضوع وتبسيطه سياسياً وتاريخياً ، ذلك الموقف الثابت والمرتبط عضوياً ، بوحـــدة الرأي والعمل ، وبالنضال المباشر ضد الكيان الاغتصابي . ولنأخذ علي سبيل المثال هذه الحقيقة التي يؤكدها واقع الصراع العربي الاسرائيلي ، في تاريخنا المعاصر ، والتي يعـــبر عنها الملك فيصل ابلغ تعبير بقوله :

« ان موقف المملكة العربية السعودية على الدوام ، كان في طليعة أخواتها العربيات في مكافحة الخطر الاسرائيلي . ونحن نعتقد ان أي عربي يتخلف عن تأييد اخوانه العرب في معركتهم المصيرية مع اسرائيـــل ، لا يستحق ان يطلق عليه اسم عربي » .

والأهم من هذا هو ادراك العاهل السعودي بسليقته العربية الخالصة ، ان بعض الشقيقات العربيات لا يهمها من القضية الفلسطينية برمتها سوى جانبها الدعائي ، من تصريحات حماسية وتهديدات طفولية ، ترجمة للمثـــل العربي القائل : « نسمع جعجعة ولا نرى طحيناً » ولذا كان الفيصل يضع القـــادة والمسؤولين العرب على صعيد الواقع ، يبصرهم بمـــا هم عليه ، وسبل انقاذ فلسطين من براثن الصهاينة ، وتوسل أفضل المناهج لايصال العرب الى نبيـــل الهدف وشريف الغاية . وقال جلالته :

« في اعتقادي انه قبل أن نفكر في الحلول يجب ان نفكر في انفسنا ، فهل نحن حقيقة عازمون وجادون في ان نخلص فلسطين ؟ فاذا كان هـــذا صحيحاً ، واننا عازمون ، فاعتقد ان الوسائـــل يكون بحثها في الدرجة الثانية .. » ويضيف قائلاً : « أما الكلام والتصريح ، والوعد والوعيد، فلا يتيح لقضية أو حق أن يستعاد أو يسترجع » .

فطريق تحرير فلسطين لا يمكن ان يكون منطلقه الا من خـــلال الوعي الكامل لواقع هذه المعضلة واخطارها ، والأسس الواضحة التي تميز القول من العمل ، والرغبة من القدرة ، ومعرفة القوة العربية وقوة العدو ، وسبل انماء الطاقات العربية ، وكيفية حشدها بالشكل الصحيح ، بعيداً عن الارتجالية والغوغائية . وقد عرف جلالته كيف يفرق في هذا الصدد ، ما بين عاطفتين وسياستين يتسم بهما العمل العربي :

« هناك فرق بين العواطف التي لا ترتكز الى مبادىء أو الى اسس ، او الى سياسة مرسومة ، فهذه عواطف ارتجـــالية ، أو بقصد الظهور ، او الكسب الوقتي والعاجل ، واعتقد ان هذه السياسة ليست سياسة حكيمة، وبين العواطف التي منشأها لميان بمبدأ او بأساس » .

النضال في سبيل وحدة الكلمة والصّف

ومن هذه الزاوية عرف الملك فيصل كيف يسلط نظرته الناقدة الفاحصة المدققة ، للتصرفات الخرقـــاء لبعض القادة العرب الذين يلقون الكلام على عواهنه ، مكتفين بمحاربة العدو من خلف المذياع ، دون أن يزنوا كلامهم ، أو يربطوا أقوالهم بأفعالهم ، وحسبهم ان يعلنوها حروباً دونكيشوتية على

طواحين هوائية قامت في مخيلاتهم ، مما هو بعيد كل البعد عن صعيد الواقع ، وما كان المهد الطبيعي لهزيمة حزيران – يونيه التي برعنا بتلطيفها فنعتناها بالنكسة ، وهي في حقيقتهـــا النكبة الكبرى والكارثة العظمى . قال جلالته :

« ان التلويح بالتهديد لا يجدي نفعاً اذا لم يقترن بالعمل الجدي الرادع . ان التهديدات الكلامية العديدة التي أطلقها العرب منذ كارثة فلسطين ولمـدة ستة عشر عاماً متوالية ، قـــد ذهبت كلها أدراج الرياح ، ولم تترك أثراً واحداً ، والتصميم الواعي والعمل المنظم هما الكفيلان باعــــادة الحق الى نصابه » .

لقد كان يدرك بأبعاد وجدانه المزالق الخطرة التي تندفع نحوهـــا بعض الأنظمة العربية، نتيجة انتهاجها السلوك الطفولي في نطاق المجابهة مع اسرائيل وباسلوبها السياسي الغوغائي الذي مزق الصف العربي شر ممزق ، بينما العدو يعرف كيف يرص صفوفه ، ويتقن اعـــداد شعبه ، ويحسن اهتبال الفرصة ليضرب العرب الضربة تلو الضربة ، مستغلاً ما هم فيه من تمزق بالرأي ، ومن هنا كان الجهد الدائب والعمل الواعي ، والنزوع المخلص للعربية السعودية كي تطوق الانقسامات ، وتعالج الأزمات ما بين الأخوة الأشقاء ، لأنـه هيهات أن تفرخ الغوغائية السياسية والطفولية اليسارية سوى النكبات والنكسات ، ولن يكون منطلق التحرير الا بالاخلاص للقضية ، وتوحيد الكلمة والصف ، لخوضها حرباً مقدسة ، كما أوضح جلالته :

« ان السبيل لمعالجة القضية الفلسطينية ووضعها في طريقها الصحيح يكمن في توحيد الجهد العربي ، وتوفير الطاقات العربية ، وبذل المزيد من الاخلاص في العمل لقضية العرب الأولى .

لقد مضى وقت الكلام وجاء دور العمل ، وعلينا جميعاً أن ندرك هـذه

الحقيقة ، كما علينا ان ندرك ان التضامن وتوحيد الصف العربي بكل طاقاته وامكاناته ، هو السبيل الى تحقيق أهداف الأمة العربية في استرداد فردوسها السليب » .

طريق التحرير الفعلي لفلسطين

وهل من شك في ان الحصاد الوحيد الفريد للنكسة – النكبة ، قد صغر من شأن العالم العربي في عيون الدول الأخرى ، ولاسيما سقوط تلك الهالة المصطنعة عن بعض الأنظمة العربية ، نتيجة سياسة الطفولية اليسارية ، وتلهيها باجترار الشعارات، على حين ظلت القوى المخلصة للقضية تعمل بصمت بعيداً عن الضجيج والأضواء ، ادراكاً منها بأن افدح ما يصيب تلك القضية المقدسة ، هو استغلالها دعائياً لخدمة النظام الذي لا يكاد يتبرقع « بالثورية » حتى يهتك ذلك البرقع انقلاب عسكري أشد « ثورية » ، وأصخب ضجيجاً، وأقوى طاقة على الجعجعة . ونحن نمنى بفضل هذا النزف السياسي بحرمات تنتهك ، وحقوق تغتصب ، وقوعاً بين فكي ملزمة طرفها الواحد عدو شرس مخادع ماكر ، وطرفها الآخر تصارع الدول الكبرى على هذه المنطقة الاستراتيجية الحيوية اقتصادياً وعسكرياً .

وكم نبه جلالته الى ان الدول الكبرى لا يمكن ان تكون مخلصة لحل ازمة الشرق الأوسط ما لم يكن العرب أنفسهم بمستوى المعركة المصيرية ، وقادرين على فرض احترامهم على العالم ، ومن اقواله في هذا الصدد :

« لقد عملت المملكة العربية السعودية ولا تزال تعمل باخلاص من أجل قضية فلسطين ، واني لن اتوانى عن بذل كل ما من شأنه ان يوصلنا الى حقوقنا ، لكن المسألة هي ان الدول الكبرى لا يمكن ان تساعدنا اذا لم



الفيصل في معقل مصنع البطولات .. الكلية الحربية ، في إحدى حفلات التخريج وقد بدا إلى جانبه سمو الأمير سلطان .

نساعد أنفسنا ، ونوحد صفوفنا ، ونزيل الأحقاد والضغائن . علينا أن نساعد أنفسنا كي يساعدنا الغير . نحن العرب نخوّن بعضنا بعضاً . ولو أن الدول العربية وحدت موقفها ، وأخلصت في التعامل بعضها مع بعض ، ولا سيما الدول المحيطة بفلسطين ، لكانت في طريقها الى نيل حقها » .

ولا بدع ، فان ما يميز سياسة المملكة العربية السعودية في هذا الصدد ، ايمانها الثابت بالقضية وعملها الواعي لتوجيه العرب سيراً في طريق التحرير الفعلي لفلسطين من ميدان الصراع العربي الاسرائيلي .

والمملكة العربية السعودية ، منذ نشأتها على يدي جلالة المغفور له الملك عبد العزيز ، تربط النظرية بالطاقة العملية ، وكلمتها هي رجع صدى فعاليتها ، لكن عيبها الوحيد انها تؤثر العمل الصامت ، وتنأى بجانبها عن الضجيج والعجيج . وقد تجلت الترجمة العملية لتلك الفعالية وذلك النشاط ، بمظهرين اثنين هما :

١ — اعداد العدة للمعركة ، وذلك ببناء جيش عربي سعودي قادر على خوض أقسى المعارك ، واحراز قصب النصر ، بمده بحشد من القوى البشرية ، وتزويده بالطاقات الفاعلة للقوى العسكرية .

٢ — دعم الجبهة العربية ضد اسرائيل .

الجيش السّعوديّ في خِدمَةِ القضيّة الكُبْرَى

ان المملكة السعودية التي كسبت معركة البناء الحضاري ، قد أدركت أول ما أدركت ضرورة انشاء جيش عربي سعودي يعرف كيف يذود عن حياض الوطن ، ويدرأ عنه الأخطار الخارجية ، ويكون عنصراً فعالاً

بطاقاته القتالية ، ويقف في مقدمة الجيوش العربية حين تأزف ساعة التحرير.
وقد حدد جلالته سياسة المملكة وأهدافها ببناء جيش حديث يجيد استخدام أحدث المعدات ، ولا تنقصه أيّ من الكفايات ، بقوله :

« ان غايتنا ايجاد القوة الرادعة في المملكة ، وجعلها في الطليعة بين دول العالم قوة واستعداداً للمساهمة في حفظ السلام ، وتثبيت دعائم الحق ، والاعداد لنسف الكيان الاسرائيلي الغاصب في أرض العروبة ، والقضاء على الاستعمار في كل جزء من أجزاء الوطن العربي والاسلامي » .

فتقوية الجيش العربي السعودي اذن وتعزيزه ، واجب قومي ، لأنه مدعو للذود عن حياض الوطن السعودي ، وشرف الأمة العربية ، واعادة الحق لأصحابه ، وقد قال جلالته من خطاب القاه بجنده في السادس والعشرين من شهر تشرين الأول – اكتوبر سنة ١٩٦٦ :

« اننا حينما نقوي الجيش ونرفع مستواه ، انما نؤدي واجبنا حيال ديننا وأمتنا ووطننا . وليقل عنكم من يقول .. فلا تلتفتوا الى ما قيل ويقال ، لأن التحلي بالأخلاق الكريمة من صفاتكم المميزة ، ومن خلال عقيدتكم قد نذرتم انفسكم للدفاع عن الوطن والأمة ، والاشتراك – عندما يحين الوقت – في الجهاد لتدعيم القضايا العربية ، وفي مقدمتها قضيتنا الكبرى : قضية اخواننا شعب فلسطين المشرد الذي يعيش اليوم في المخيمات ، بينما يعيش الصهاينة في مساكنه وبيوته بعد ان استولوا على امواله ومقدراته » .

ويضيف جلالته وهو يضع النقاط على الحروف ، ويحدد للجيش السعودي موقعه الصحيح في الصراع العربي الاسرائيلي ، وسيره في مقدمة الجيوش العربية :

« وستكونون في المقدمة ، ولن تكونوا في المؤخرة . . وان سابق مواقفكم في الدفاع عن هذا الوطن ليثبت ان ما فعلتموه بالأمس ستفعلونه

اليوم » .

دعم الجبهة العربية ضد اسرائيل

ولا يخفى على أي باحث مدقق ، ان المملكة العربية السعودية قد عملت في كل تاريخها وما تزال تعمل ، على دعم البلدان العربية في نضالها ضد الاستعمار ، وبخاصة ضد العدوان الصهيوني ، معززة الصمود العربي في كافة مراحله .

وحسبنا في هذا الصدد عودة الى التاريخ القريب للتدليل على الوقفة المشرفة للعربية السعودية ابان العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، ودعمها اياها اقتصادياً وعسكرياً ومعنوياً . فمن الناحية الاقتصادية قدمت المملكة مبلغ ثلاثمائة مليون ريال ، ومن الناحية العسكرية وضعت الأراضي السعودية بتصرف القوات المصرية ، ومن الناحية المعنوية فتحت باب التطوع للدفاع عن الشقيقة مصر وكان الأمراء السعوديون في مقدمة المتطوعين . ولم يتوقف الدعم السعودي عند هذا الحد ، وانما تجاوزه الى مجال الضغط الديبلوماسي على قوى العدوان ، فقطعت المملكة علاقاتها مع كل من بريطانية وفرنسة ، واتبعت ذلك بقطع البترول عنهما ، مما أضعف القوى الاستعمارية وفتّ بعضدها ومدّ مصر بدعم معنوي كبير في معركة صمودها ضد قوى العدوان .

بهذا قابلت المملكة العربية السعودية ذات القلب الذهبي الذي لا يحمل نحو ابناء العروبة الا كل هاجس خير ، اولئك الذين أصلوها نافذ السهام ! .

وزادت السعودية على مواقفها المشرفة موقفاً آخر هو انه قبيل حرب

حزيران – يونيه ، اصدرت وزارة الدفاع والطيران السعودية بياناً عن الاستعدادات التي يقوم بها الجيش العربي السعودي لخوض المعركة ضد اسرائيل الى جانب الشقيقات ، وقد جاء فيه :

« بناء على التوجيهات الملكية السامية التي صدرت من القائد الأعلى للقوات المسلحة السعودية قبل أيام ، لوضع كافة قواتنا المسلحة تحت الانذار .

وايماناً من سياسة هذه المملكة الصريحة التي أعلن عنها مراراً بوقوفها مع اشقائها العرب ضد أي خطر خارجي يهدد سلامتهم وأمنهم وأرضهم .

وايماناً من هذه المملكة بأن مصير العرب المشترك ، يحتم علينا الوقوف صفاً واحداً وقلباً واحداً من كل العرب ، وان اختلفت بعض وجهات النظر السياسية مع البعض في هذه الأيام .

فان هذه المملكة وعلى رأسها القائد الأعلى للقوات المسلحة – حفظه الله – ترى من واجبها ان الظروف العربية الراهنة تحتاج الى جهود وتنسيق مشتركين ، وتحتاج أيضاً الى عمل مشترك في كافة المجالات مع اشقائنا العرب ، أمام العدو المشترك ومن يسانده من الدول الاستعمارية ، وعلى هذا الاساس فان المملكة تضع خلافاتها جانباً ، وترتفع الى مستوى الأحداث القومية والسياسية والعسكرية العربية ، لتكون يداً واحدة وسلاحاً واحداً ، ضد العدو الغادر المتجني على حقوق امتنا ووطننا العربي الكبير في كل دنيا العرب » .

وبوحي هذه السياسة الفيصلية التي تضع الخلافات العربية في آخر القائمة ، ولا تتردد في ان تمد يدها الى ايدي من أساءوا اليها في الماضي القريب ، دعماً لصمود العالم العربي امام الأخطار المحيقة به ، وضعت المملكة السعودية كافة قواها العسكرية على أهبة الاستعداد ، محركة قواتها البرية الضاربة في

جميع الميادين ، موجهة الأوامر الى سلاح الطيران السعودي لمسانـــدة قوى الطيران العربي .

لكن الأمر كان على خلاف ما توقع الجميع ، فقد خاضت اسرائيل ضد العرب حرباً خاطفة لم يصمدوا تجاهها ، فانهارت قواهم سريعاً ، وبادروا الى وقف القتال ، فاتجهت المملكة حينئذ الى العمل على تمكين القوى العربية من الصمود في وجه التحدي ، وقدمت لمصر والأردن والعمل الفدائي مساعدات مالية ضخمة ، ورابطت القوى السعودية في الأردن تحسباً لأي هجوم غادر. ولما تعالت في بعض انحاء العالم العربي اصوات الانهزامية مطالبة بقبول واقع اسرائيل ، كان رد الملك فيصل على هذا الصوت النشاز :

« لا صلح مع اسرائيل ، ولا مفاوضات ، ولا قبول بالأمر الواقع . . »

ومن هنا فقط ، بدأ موقف الصمود العربي يشق طريقه من خلال أطلال النكسات والهزائم ، في نهضة جديدة قوامها الدعم العربي السعودي للدول المتضررة بعدوان حزيران — يونيه مـــادياً وعسكرياً ومعنوياً ، وكل ذلك بصمت ووعي صادرين عن وضوح الرؤية في سبيل جمع كلمة العرب ، وحشد طاقاتهم المادية والمعنوية لخوض معركة المصير .

الفصل العاشر

التضامن الإسلامي في خدمة القضية الفلسطينية

اذا ذلت العرب ذل الإسلام .

حديث شريف



دفاعاً عن الحرمات العربية والمقدسات الإسلامية

لم يتوقف دعم المملكة العربية السعودية بقيادة مليكها للقضية الفلسطينية، عند حدود فعالية المملكة في المجال العربي ، وانما كان دورها يطل دائماً على الآفاق الكبرى ليشمل محيط العالم الاسلامي قاطبة ، ولاسيما بعد أن دخلت في سرداب الكارثة ـ المأساة ثلاث دول عربية هي الأردن وسورية ومصر، حصيلة لحرب حزيران ـ يونيه ، وتعاظم تناوح الرياح في الخيام المتزايـــدة عدداً ، وطعنت العروبة والاسلام بأقدس المقدسات حـــين وضع الصهاينة ايديهم على اولى القبلتين : المسجد الأقصى ، وانتهكت حرمة القدس بجحافل الصهيونية العالمية ، الأمر الذي حفز المملكة العربية السعودية لأن تمثل دورين متـكاملين : دعم جبهة الصمود العربي ، وجمـــع كلمة الاسلام حول القضية الفلسطينية .

وحين انطلق العاهل العربي بدعوة التضامن الاسلامي، لم يشأها استهلاكاً دعائياً ، أو سعياً وراء وهم ، لأضفاء هالة العظمة على ذاتـــه ؛ ذلك لأن عظماء التاريخ انما يعملون منطلقين من قناعاتهم الذاتية ، غـــير ملتفتين الى الوراء لمشاهدة ما يثار حولهم من غبار ، بل يوغلون دائماً في صميم المستقبل ، ينفحون الحياة القومية ، ويمدون المجتمعات الانسانية ، من ذاتهم المعطـــاء أبداً ، وكأن ابا تمام قد ترصد هـــذه الذاتية نفسها عندما أطلق كلمته الشهيرة بممدوحه :

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجّته المعروف والجود ساحله

والفيصل القائد المنتصب في حمى العروبة يعلي رايات مجـدها ، وعرين الاسلام ينشر صحائف مفاخره ، انما يعمل من خلال التلاحم والترابط ما بين هذين العنصرين اللذين هيهات ان يُفصم بينهما ، تجنيداً للرأي العام في العالم الاسلامي ، نصرة للقضية الفلسطينية وانقاذاً للقدس الشريف ، في طاقة فعالة تعرف كيف توحد الجهد لمعركة المصير في معترك تحرير المقدسات الاسلامية والحرمات العربية .

والنضال في هذا المجال لا بد من ان يتم ضمن مرحلتين مترابطتين هما :

١ ــ العمل على صعيد الديبلوماسية الاسلامية ، وذلك بتحرير المسلمين في كافة أنحاء المعمورة من دعاوى الاستعمار والصهيونية والشيوعية .

٢ ــ الاعداد لمعركة التحرير والجهاد المقدس .

القضية الفلسطينية قطب التضامن الإسلامي

والواقع اننا اذا تحرينا الحقائق رأينا ان العديد من الدول العربية والاسلامية ، تخضع بهذا الشكل أو بغيره للدعاية الاستعمارية التي أخذت سبيلها تغلغلاً الى سويداء القلب منها ، تفرض عليها ايديولوجيتها ، ونهجها في دروب السياسة .

وقد عرف جلالة الفيصل ان يجعل من فريضة الحج منبر انارة وهداية ، يبصّر منه وفود المسلمين بالقضية الفلسطينية باعتبارها مأساة شعب عربي ، ونكبة الامة الاسلامية بانتهاك مقدساتها ومحرماتها :

« فهناك أرض المعراج ، وهناك أولى القبلتين ، وهناك ثالث الحرمين الشريفين ، فهو لنا جميعاً ، وليس لأحد دون أحد ، انه ليس للعرب دونكم أيها الأخوان ، ولكنه للمسلمين أجمعين » .

ومن هذه الزاوية الحساسة يمكن فهم منطلق التضامن الاسلامي ، الذي من أول مضامينه نصرة الشعوب الاسلامية المضطهدة ، والشعب الفلسطيني في هذا المضمار المثل الأوضح ، ولذا جعل جلالته من القضية الفلسطينية قطب التعاون الاسلامي ، لأنها أخطر المسائل التي تعرضت لها الشعوب العربية — الاسلامية في هذا العصر على الإطلاق .

ولا ريب في ان كل ذي تفكير سليم ، وضمير حي ، ونفس تختلج فيها المشاعر العربية الاسلامية ، بل الانسانية عامة ، يرى ان ما نهد اليه الفيصل في هذا السبيل ، انما هو ريادة حق ، وقيام بواجب ، ونهوض بدعوة لا أسمى منها ولا أصفى ، ويرى فيه القائد الهادي في ما هو منطلق فيه ، عامل له .

واذا ما توخينا الحقيقة ، وطلبنا سبل الحق ، ونأينا بانفسنا عن عالم الشعارات الفارغة ، ونشدنا تصوير الواقع ببساطة ، هل نرى أوضح وأبين من كلمات الفيصل من على منبر المؤتمر الاسلامي ، التي هي قلب الحقيقة وجوهر اليقين :

« لا يمكن أن نتجاهل قضية هى قضيتكم ، وانني لا أبحثها من الناحية السياسية أو الخاصة ، ولكنني أعرضها قضية اسلامية تهم كل مسلم في انحاء الأرض ، هذه القضية هي قضية فلسطين السليبة .

ان هذه القضية ليست قضية سياسية ، ولا قضية اقتصادية ، لكنها قضية انسانية اسلامية » .

ويمضي جلالته في هذا النهج ، باسطاً مأساة هذا الشعب ، ومـا تعنيه من تشريد وظلم واضطهاد ، متوسلاً بذلك اسقاط الأغشية عن العيون المأخوذة بالدعاية الاستعمارية ، وليكشف حقائق ما يجري في العالم العربي من فداحة الواقع ، شحذاً للنفوس ، ونهوضاً بالهمم ، لتقف الموقف الذي يجب أن

يكون ، وهو الرفض القاطع للظلم ، ومقاومة البغي ، ومناهضة المؤامرات الدولية التي لا يمكن ان تتوقف عند حدود ما أصابت فلسطين بالصميم ، بل ستحاول ان تطل بوجهها البشع في كل دولة مستضعفة عربية كانت أم اسلامية .

هذه قضيّتكم وبين أيديكم ننقلها إلى ضمائركم

ان القضية الفلسطينية كما يقول الملك فيصل هي مأساة « شعب اعتدي عليه في وطنه ، وشرد من بيوته ، لا لشيء الا لأن هناك زمرة من شذاذ الأرض أرادوا أن يكون لهم مركز فاختاروا وساعدهم على هذا الاختيار والتأييد دول العالم الكبرى أجمع ، ولسوء الحظ انصب هذا الاختيار وهذه المصيبة على رؤوس اخوان لكم من العرب فشردوا من ديارهم ، ولجأوا الى أقطار العالم يحاولون أن يؤمنوا عيشهم وقوتهم » .

وقد عرف جلالته كيف يصور الواقع المأساوي بدقة بالغة أمام الوفود الاسلامية الساعية الى الحج ، فيخطب فيهم قائلاً :

« ان الكبود لتتفطر ، وان الجوارح لتتمزق ، حينما نسمع أو نرى اخوة لنا في الدين ، وفي الوطن ، تنتهك حرماتهم ، وينكل بهم يومياً ، لا لذنب ارتكبوه ، ولا لاعتداء اعتدوه ، وانما لحب السيطرة ، ولحب العدوان فقط ، ولارتكاب المظالم » .

ويتوقف جلالته عند نكسة حزيران ـ يونيه ، ليوضح للملأ بان الاعتداء الاسرائيلي على البلدان العربية ، لم يكن العدوان الأول ، وهو عدوان تمثل بقيام دولة اسرائيل على اللاشرعية ، مما يبسطه بهذا القول :

« انما هو توسع في العدوان ، أما من ناحية العدوان كعدوان ، فان المنطقة تعيش في عدوان منذ اكثر من عشرين سنة .. »

ويتابع القول في هذا الموضوع بما مؤداه : ان الصراع الدائر بين البلدان العربية ودولة اسرائيل لا يمكن له البتة ان يتوقف اذ « هناك طرف معتد، غاشم ، ظالم ، متجبر ، وهناك طرف مظلوم ، ومعتدى عليه ، مشرد عن بلاده ووطنه » .

ونظراً لما للاعلام من دور بالغ في هذا العصر ، فقد حمّل جلالته وفود المؤتمر الاسلامي القضية الفلسطينية للعمل على تبصير المسلمين بها ، وبالتالي توحيد الجهد في السعي المشترك لايجاد الحلول النهائية لها :

« فهذه قضيتكم وبين أيديكم ننقلها الى ضمائركم بأن تفعلوا ما يحقق آمال المسلمين والعرب في قضية تعتبر الأولى أو النادرة في جنسها في العالم » .

القضيّة الفلسطينيّة هي القضيّة الأولى في العالم الإسلاميّ

ولا خلاف في ان نضال الفيصل قد بدأ يؤتي ثماره ، على صعيد التضامن الاسلامي الهادف الى تجنيد العالم الاسلامي في خدمة القضية الفلسطينية ، وذلك من خلال اللقاءات التي عقدها مع عدد كبير من قادة الدول الاسلامية، التي لم تلبث ان وقفت الى جانب شقيقاتها الدول العربية في محنتها داعمة اياها في معركتها المصيرية ضد دولة الاغتصاب والعدوان .

وبفضل جهود الفيصل كانت الدول الاسلامية منسجمة بمواقفها مع منطلقاتها الروحية، لاسيا وان المؤتمرات الاسلامية تولي أبداً القضية الفلسطينية الأهمية التي يجب أن تولى ، وعلى ذلك كان من مقررات هذه المؤتمرات ما

نتقله بالحرف الواحد :

« يعلن المؤتمر ان قضية فلسطين هي قضية اسلامية ، بل هي القضية الأولى في العالم الاسلامي ، ويقرر ان الحركة الصهيونية هي حركة عدوانية استعمارية ، وانها باغتصابها جزءاً عزيزاً من أرض فلسطين المقدسة قد أعلنت حرباً عدوانية على المسلمين ، وعلى المبادىء الانسانية ، وعلى حرية الشعوب ولاسيما الشعوب الاسلامية ، ويدعو العالم الاسلامي والشعوب الحرة عامة الى مؤازرة الشعب الفلسطيني مؤازرة جدية فعالة في تحرير وطنه المغتصب » .

وجدير بالذكر وحري بالتقدير ، ان العاهل السعودي لم يكن ليكتفي بالنوم قرير العين على مقررات وتوصيات للمؤتمرات الاسلامية ، وانما كان يجهد جهداً ذاتياً لتحقيق التقارب والتضامن الاسلاميين لمصلحة القضية الفلسطينية ، ولتحقيق هذه الغاية كانت زياراته المتعددة الى كل من باكستان وايران وتركيا وغينيا ومالي .

وفي أحد لقاءات الفيصل بالرئيس الباكستاني السابق ، اكد بيانهما المشترك على ما يلي :

« ان قضية فلسطين هي قضية انسانية اسلامية ، وان الباكستان حكومة وشعباً تؤيد حق الشعب الفلسطيني في استرجاع وطنه السليب وتحريره ، وانهما ليقفان بجانب الدول العربية الشقيقة للوصول الى تحقيق ذلك . وانطلاقاً من التراث التقليدي والروحي للشعب الباكستاني ، فانه يقف الى جانب الشعب العربي في قضاياه المصيرية .

وكان السيد علي بوتو وزير الخارجية الباكستانية السابق (الرئيس الباكستاني حالياً) قد أعلن في كراتشي بياناً عرض فيه رأي الدولة الباكستانية في مساندة الدول العربية تجاه الاعتداءات الاسرائيلية ، وذلك كهدف من اهداف « التضامن مع العالم الاسلامي أجمع ، بتقديم كل مساندة

ممكنة للبلدان العربية في مساعيها لمقاومة العدوان الاسرائيلي » .

ومن جوه نشاط الفيصل في هـذا الميدان ، لقاؤه مع الشاه الايراني محمد رضا بهلوي ، ذلك اللقاء الذي تمخض عن اعلان القائدين الاسلاميين اتفاقهما على دعم القضية الفلسطينية ، وقد جاء في البيان المشترك الذي أصدراه آنذاك :

« وقد أيد العاهلان الجهود التي تبـذل لإحقاق جميع الحقوق والمطالب المشروعة للشعب العربي الفلسطيني ، وكفاحه من اجـل استرداد حقوقه المغتصبة ، وتنفيذ قرارات الأمم المتحدة التي تعيد لهذا الشعب حقوقه » .

المسلمون كلّهم مشتركون في المسؤوليّة

وفي مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الثالث الذي انعقد في جـدة في التاسع والعشرين من شهر شباط ـ فـبراير سنة ١٩٧٢ ، وقف الفيصل الوقفة المنتظرة منه أبداً ، وتصدى للعدوان الاسرائيلي على لبنان ، بسبب نشاط المقاومة الفلسطينية ، وقال في ذلك تلك الكلمة التي لا يقال غيرها في هذا الحقل :

« قبل يومين او ثلاثة وقع العدوان الصهيوني على لبنان الشقيق . ما هي حجة الصهيونيين في هذا ؟ يقولون: لماذا يكافح الأخوة الفلسطينيون ويقاتلون في سبيل حقهم وفي سبيل وطنهم وفي سبيل كرامتهم ؟ فهل يريدون من أي فرد في العالم ان يتخلى عن مسؤوليته ؟ ان اخواننـا الفلسطينيين سواء في لبنان او غيره ، ما قاموا بأي عمل الا دفاعاً عن حقهم المشروع ، ودفاعاً عن وطنهم ، ودفاعاً عن كرامتهم . ولذلك وجب علينا جميعاً أيها الأخوة ان نقف بجانب اخواننا في لبنان وجانب اخوتنا في المقاومـة الفلسطينية ،

حتى تمكنهم من ان يصمدوا لأعدائهم وان يكافحوا من أجـل حقوقهم وكرامتهم » .

ويضع العاهل السعودي القضية الفلسطينية امام المؤتمرين في اطارهـا الصحيح على انها قضية عربية اسلامية :

« والمسألة أيها الأخوة لا تقتصر فقط على اخواننـا الفلسطينيين او اللبنانيين ، ولكنها تهم كل المسلمين ، من عرب وغيرهم ، لأن الكل مشتركون في المسؤولية » .

وكانت من الفيصل لفتة ذكية تبصّر المسلم أياً كانت جنسيته ووطنـه ، بالموقف الذي يجب ان يقفه حيال أخيه في الدين ، مع الاشارة الى مـا هو عليه الاسلام من قوة روحية تجعل المجتمع الاسلامي كياناً واحـداً ، يقف كالطود الراسخ ذوداً عن الحق ، ورفعاً لشعار العـدل ، لا يسعى الا في الخير ، ولا يقاوم الا البغي ، فهو منار هداية تفيض سلاماً وحناناً في مواقف الكرامة والانصاف ، وتتأجج نيراناً وحمماً ضد حصون الظلم والعدوان ، قال فيصل بن عبد العزيز :

« ولا شك في ان العرب هم في المقدمة بالنسبة لقضية فلسطـين ، ولكن اخواننا المسلمين عليهم من غير شك مسؤوليتهم ، لأن العرب هم اخوانهم ، ووطن العرب هو وطنهم ، وقضيتهم قضية حق وعدل ، وهم مظلومون ومعتدى عليهم ، فشريعتنا وعقيدتنا دائماً تحث من يؤمن بالله ان يكافح ويناضل ويرد عدوان كل معتد ، وربنا سبحانه وتعالى قال : « من اعتـدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ولذا وجب علينا ان نقف صفاً واحداً كالبنيان المرصوص ، أمام أعداء الدين ، وأمام أعداء المسلمين ، وأمام أعداء الحق والعدالة ، ولا شك انني لست اكثر منكم شعوراً بالمسؤولية أو الواجب المحتم علينا جميعاً ، ولكنني أردت ان يفهم العالم ان المسلمين ولله الحمد يـد

واحدة وأمة واحدة » .

حشد الطاقات الهائلة في العالم الإسلامي

وما دام من المسلمات الأولية بدهياً ان القضية الفلسطينية شغـل العرب والمسلمين الشاغل ، وقضيتهم التي لا تقدم عليها قضية ، فقد كان من الطبيعي ان يهدف التضامن الاسلامي اول ما يهدف الى العمـــل على تحرير المقدسات ورفع الحيف عن المحرمات .

لقد أضحى التضامن الاسلامي بفضل الملك فيصل ، الأمـــل الذي تهوي اليه أفئدة ستمائة مليون مسلم ، ولم تنهض شخصية مسؤولة عربية او اسلامية لتبصير المسلم بما له من حق وما عليه من واجب ، سوى شخصية الفيصل بن عبد العزيز الذي نهد الى هذا الهدف الكبير ، وعمل لتحقيق هـــذه الأمنية العظمى ، حشداً للطاقات الهائلة في العالم الاسلامي ، وتوجيهها لمقارعـــة الاستعمار بشتى الوانه ومختلف أنظمته ، من غربيـــة وشرقية ، ولمنازلة الصهيونية العالمية التي تمد اسرائيل بكل أسباب القوة والتحدي ، والقوة لا تفلُّها الا القوة ، والتحدي لا يجابه الا بالتحدي ، والمعركة طويلة النَّفس ، لا خلاف على ما تنطوي عليه من مشقة ومعاناة .

وبالرجوع الى الجذور ، يدرك كل مسلم ان عقيدته قد أوجبت عليه الجهاد المقدس في سبيل حرية الوطن وكرامة الانسان ، وحماية المقدسات . وحربنا مع اسرائيل تفرض علينا بداهة ان نعد لها كل الطاقات ، ونحشد وراءهـــا سائر الجهود ، كرجع صدى للآية الكريمة : « وأعدوا لهم مـــا استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم » .

ومن هذا المنطلق بالذات كانت مواقف الفيصل ، بكلمـــة القاها في الوفود

الاسلامية الساعية الى بيت الله الحرام لتأدية فريضة الحج :

« أيها الأخوة المسلمون ، نريدها غضبة ونهضة اسلامية لا تدخلها قومية ولا عنصرية ولا حزبية ، انها دعوة اسلامية ، دعوة الى الجهاد في سبيل الله ، في سبيل ديننا وعقيدتنا ، دفاعاً عن مقدساتنا وحرماتنا ، وأرجو سبحانه وتعالى ، انه اذا كتب لي الموت ان يكتب لي الموت شهيداً في سبيل الله » .

وما دامت القضية الفلسطينية قضية العرب جميعاً والمسلمين كافة ، فجدير بالعرب والمسلمين الا ينساقوا الى تيارات الصراع الثانوية ، وأن يضعوا خلافاتهم – فيما اذا نجمت بينهم خلافات – على الرف ، ليتجه الجميع قلباً واحداً الى صلب المشكلة ، مما بينه الفيصل فأحسن بيانه :

« لا أريد ان أتكلم في أي شيء آخر، لأننا أمام الأمر الواقع الذي نجابه اليوم ، فكل الأمور الأخرى ثانوية اذا قورنت بالدفاع عن عقيدتنا ، وعن مقدساتنا ، وعن حرماتنا ، وعن كرامتنا ، فعلى كل شخص ، وكل دولة ، ان تترك خلافاتها على الرف ، ويسعون الى توحيد صفوفهم » .

الأعداء يكيدون ويتآمرون

ومع نبل هذا الهدف ، وشرف هذا المسعى ، كان من المؤسف والمخجل ، ان تلاقي فكرة التضامن الاسلامي ، معارضة عنيفة ، ليس من الصهيونية او الشيوعية او الاستعمار فحسب ، لأن ذلك من المسلمات البدهية ، وانما من بعض زعماء أو متزعمي العالم العربي ، وتنسم فيه بعضهم رياح العداوة لهم شخصياً ، على حين ان هذا التوجس والتوقع ليس وراءه سوى اسرائيل ، وقد عرف الملك فيصل كيف يجلو هذا الموقف بقوله :

« ان بعض العرب المسلمين — مــع الأسف ـ انطلت عليهم المناورة الصهيونية ، فراحوا يقاومون فكرة التضامن الاسلامي . وأنا أعتبر معارضة الدول العربية للمؤتمر الاسلامي لا يتعدى كونها اختلافاً في وجهــة النظر . ونحن نأمل أن تنجلي عن عيونهم الشكوك والمــلابسات حتى يمشوا في الركب » .

وهل من عاقل يشك في ان فلسطين قد سقطت بيد الأعــداء نتيجة التمزق العربي الاسلامي ، وان النكسة كانت التكريس الفعلي لهذا التمزق . وهل من شك في ان باكستان المسلمة قد تمزقت كذلك من خــلال غياب الوعي الاسلامي عما كان يحاك ضد هذه الدولة الاسلامية من ذلك التدخـل الشيوعي المجرم لتفتيت وحدة اكبر دولة اسلامية .

وهذا ما ينبهنا الى ان المخاطر ضد العروبة والاسلام لن تقف عند حد ، وان الأعداء ما زالوا يكيدون لنا وسيكيدون،ويتآمرون علينا وسيتآمرون، ولن يصد هذا التيار من الطغيــان الاستعماري الصهيوني الشيوعي ، سوى وحدة الكلمة ووحدة الهدف حول العروبة الحقة ، وحول الشريعة السمحاء التي أبرزت صورة العروبة بأشرف سماتها وأسمى غاياتها ، لننتقل بعد ذلك من ضفة الصمود الى شاطىء الهجوم المظفر لتحرير الأرض العربية مــن رجس اسرائيل .



الفصل الحادي عشر

التناسق العربي

الفضيلة لا تجنح عن منهاجها السويّ مهما
اشتدت العواصف من حولها .

مونتيني



في سبيل عزّة العرب وكرامتهم

عندما تتعرض احدى الدول للعدوان ، وتخوض غمار الحرب ، وتعاني أراضيها لعنة الاحتلال ، ويصبح وجودها كله في خطر — عندما توجه اهانة بهذا الحجم الى كرامة كل مواطن في هذه الدولة او الدول ، يغدو من الجريمة والخيانة والتخريب والانصراف الى معركة أهلية ، وتغذية أحقاد داخلية ، والعمل بأية ذريعة او حجة على تصنيف السياسيين ، واتهام المخلصين ، وعزل القسم الأكبر من المواطنين عن العمل السياسي والنضال في سبيل وطنهم وشعبهم .

وقد تجلت الأبعاد القومية للمعركة بوضوح صارخ ، بعد الكارثة التي تعرض لها العرب نتيجة تفرقهم وتشتتهم ، والثمن الكبير الذي دفعوه من شرفهم وكرامتهم وكان لا بد من ان يطرح شعار « قومية المعركة » من جديد ليغطي على جميع الشعارات المخربة المضللة ، وعاد المخلصون من الزعماء الى الاصالة ، الى الجوهر ، بل الى البدهيات التي طالما رددناها ودعونا اليها قبل المعركة وبعدها .

وكانت زيارة الملك فيصل للقاهرة في حزيران — يونيه ١٩٧١ ، والنتائج الايجابية التي أسفرت عنها ، المنعطف التاريخي الفاصل بين عهدين ، ونقطة الانطلاق نحو التحام القوى العربية ، في سبيل استعادة الحقوق المغتصبة ، وتحرير الأرض المقدسة ، والعمل على ايقاف نزيف الدم المهدور ، نتيجة تقاتل الأخوة فيما بينهم ، والانتقال من طور الارتجال والانفعال والتفرد في

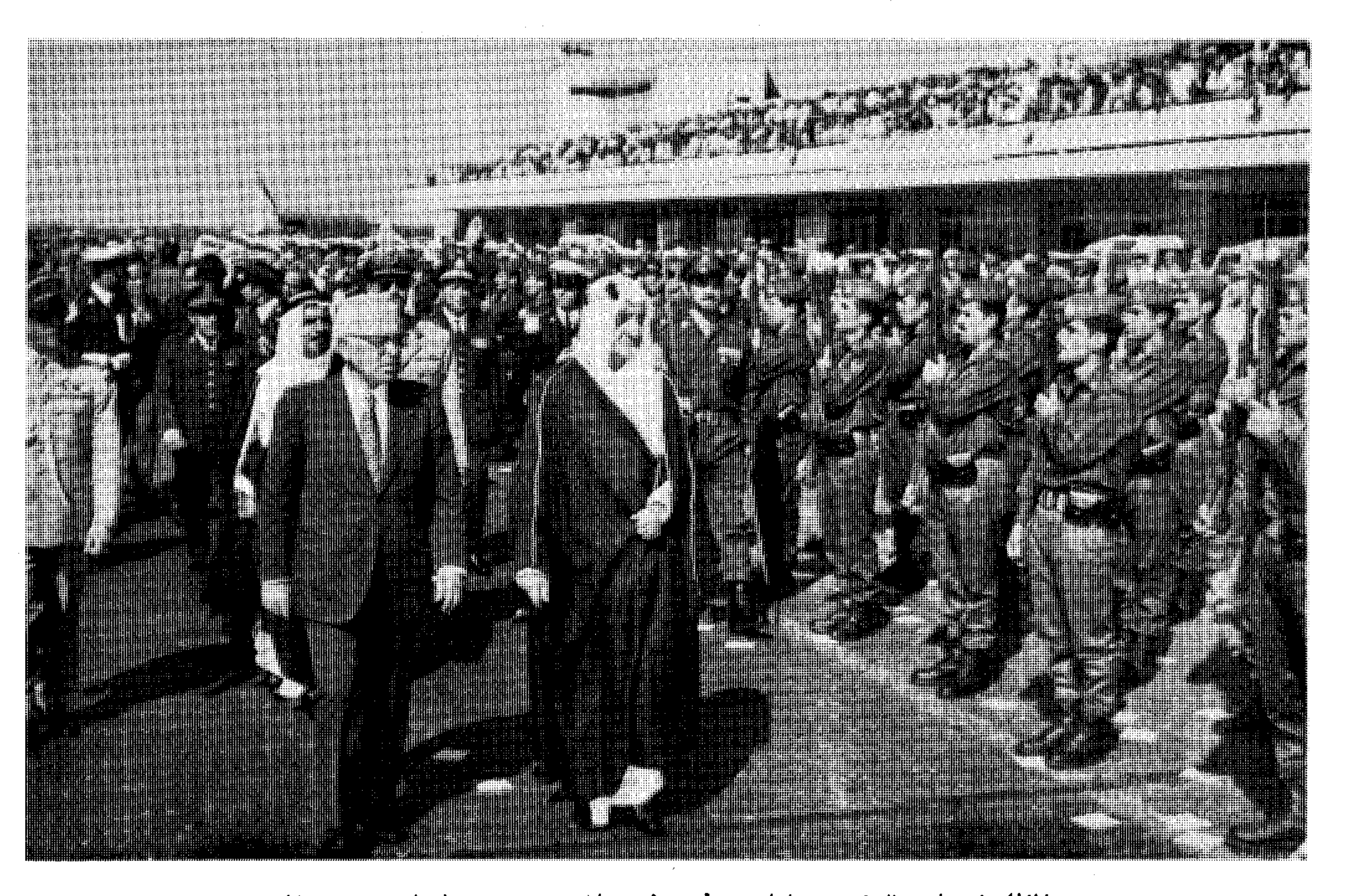
الرأي ، الى طور الدراسة الموضوعية لمجموعة الأوضاع القـــائمة ، وكافة الطاقات العربية، وتجارب الماضي واحتمالات المستقبل ، لتحديد ابعاد المعركة المقبلة مع الصهيونية والاستعمار في ضوء ذلك جميعاً .

وكانت فرحة الشعوب العربية بلقاء الملك فيصل والرئيس السادات ، وفي طليعتهـا الشعب المصري الذي أحـــاط ضيفه الكبير بأروع مظاهر الحب والتكريم ، اذ تحركت حشوده بمطلق عفويتها وصفائهـا ووعيها الفطري ، لتعبر عن بهجتها وغبطتها ، وتهتف من أعماقها حتى لكأنهـا حنجرة واحدة وقلب واحد .. لقد كان ذلك كله الصورة الصادقة المعـــبرة عن مشاعر الجماهير العربية الأصيلة ، وعن تعلقهـا بالقيم العربية والتعاليم الاسلامية التي يمثلها الملك فيصل أكرم تمثيل .

وقد أدرك الشعب بسليم فطرته ، ان هذا اللقـــاء العربي هو المدخل الطبيعي لقوميـــة المعركة ، وخطوة كبيرة في طريق توحيد القوى العربية المشتتة ، أمام عدو غادر يشكل وجوده رأس جسر استعماري في منطقـة الشرق الاوسط ، لتهديد استقلال البلدان العربية ، واسترقاق شعوبهـــا ، واستنزاف طاقاتها ، والعودة بهـــا الى عهود العبودية من القرون الوسطى . والشعب أدرك كذلك ، ان ازالة الخلافات المصطنعة ما بين الدول العربية ، سيـدفع بحركة التحرر الوطني قدماً في سبيل تحقيق الأهـــداف السامية والشرعية في تصفية النفوذ الاستعماري بكل أشكاله الاستيطانية والاقتصادية في قلب الأمة العربية .

وهل تنسى الشعوب العربية وفي مقدمتها الشعب المصري ، تلك السحابة السوداء التي مرت بسماء البلدان العربية الى سنـوات خلت ، وأدت الى توتر العلاقات بين الدول العربية ذات الأنظمة المتقـاربة ، بل الأنظمة الواحدة .

وتعود أسباب ذلك التوتر بمعظمها ، الى تلك العقليات الفردية المتسلطة



الملك فيصل والرئيس سليمان فرنجيه في مطار بيروت : لبنان يفتح قلبه لفيصل العرب .

البعيدة عن عقلية الشعوب وأحاسيسها وأمانيها ، التي أقـــامت السدود بين البلدان العربية ، وحاولت استعداء شعوبها بعضهـا على البعض الآخر ، وهي تنفخ بالأبواق الدعائية الفـــارغة لاثارة الاحقاد والضغائن ، وتأجيج روح الايديولوجيات المستوردة البعيـــدة عن روح العـــالم العربي وتراثـه الفكري والروحي .

لقد كرست الدكتاتورية الفردية روح العداء بين ايديولوجيتها الانتهازية الحاقدة ، وبين روح التراث العربي والاسلامي ، عاملةً بذلك على شق الصف العربي وتمزيق المجتمعات العربية .

لا غوغائية ولا طفولية في سياسة المملكة السعودية

ولكن سياسة المملكة العربيـــة السعودية ظلت أبداً كالصراط المستقيم ، لا تتخلى عن الاصالة والحكمة والانفتاح على العـالمين العربي والاسلامي ، ولا يداخلها أي اضطراب او انحراف او انجراف في تيار الغوغائية والطفولية ، سائرة في وضح النهار على السبيل العريض المشرع الآفاق ، في علاقاتهـــا السليمة المتحلية برحابة الصدر حتى مع من حاولوا تشويه سياستها والاساءة الى سمعتها ، وما برحت راسخة في مواقفهـــا الحكيمة ، لا تنالها الزوابع والأعاصير التي لا تلبث حتى تتفجر من ذاتها كفقاقيع الصـــابون ولم تكن نهاية المتهجمين عليها الا :

كناطح صخرة يوماً ليوهنهـــا فلم يضرها ، وأوهى قرنه الوعل

وفي كثير من الحالات ، وبعديد من الوقائع ، كان العاهل السعودي الحاكم العربي الوحيد الذي يعمل لرأب الصدع وجمع الشمل وتأليف القلوب .

وكان لا بد ان تعطي هذه السياسة الحكيمة ثمارها ، بوحي الدروس والعبر التي أسفرت عنها ، كارثة الخامس من حزيران – يونيه ، وتجارب السنوات الحافلة التي أعقبتها .

ونرى بهذا الصدد ان « الأهرام » قد أصابت كبد الحقيقة ، اذ شددت في تعليقها على زيارة الملك فيصل للقاهرة ومحادثاته مع الرئيس السادات ، بأن تصور الزعيمين العربيين لابعاد المعركة ، يشكل تحولاً مهماً وخطيراً في جميع المعادلات القائمة في المنطقة ، فقالت : « ان كل اتجاه حقيقي نحو التنسيق والتعاون واتخاذ الخطوات الصادقة نحو وحدة الجهد ووحدة التصور ، هو تمكين للأمة العربية من التمسك بناصية التحرك الايجابي المثمر لتأمين حقوقها القومية المشروعة » .

لقد استطاعت مصر رغم ما لاقت مسيرتها من كوارث وأخطاء ، بفضل كونها الدولة العربية الكبرى والمتفوقة ذات الموقع الستراتيجي الخطير ، وبحكم احتكاكها المباشر والدائم مع الاستعمار والصهيونية ، ان تخرج من التجارب والمحن وهي أقوى عوداً وأكثر تصلباً ، وأشد عزماً ومقدرة على النضال لمقارعة العدو ، ومواجهة النار بالنار ، والنابالم بالنابالم ، والعمق بالعمق ، ورد الصاع صاعين .

وهلا يثير الاعجاب وينتزع التقدير انه رغم حجم الكارثة ، لم يخالج الشك أياً من أبناء العروبة والاسلام ، بدور مصر الطليعي ، في معركة العرب الاولى ، وانها ستظل بعد تصحيح الأخطاء ومعالجة الانحرافات ، قلعة الصمود العربي ، قد تهزم بمعركة ، ولكنها لن تخسر الحرب اذا ما اجتمعت كلمة العرب وتَوَحَّد صفهم وزالت عوامل الخلاف المصطنع من بينهم .

وقد قال البيان المشترك الذي صدر في نهاية ذلك اللقاء التاريخي : « وقد

أعلن جلالة الملك بأن الجمهورية العربية المتحدة تتحمل اكبر عبء في معركة المصير العربي ، فهي الصخرة الصلبة التي تتكسر على جنباتها أطماع ونوايا الصهيونية العالمية وسياستها التوسعية ، وان على العالم العربي والعالم الاسلامي دعم هذه القلعة الصامدة وتقويتها ، لتتمكن من حمل الأمانة التي ألقيت على عاتقها » .

دعم الصمود المصري واجب على كل عربي

واذا كان مركز مصر قد أعطاها الدور الطليعي والأساسي في المعركة ، فمن البديهي ان اول ما يتوجب على العرب هو الدعم الحقيقي لقلعة صمودهم، والعمل وسع الجهد على الافادة من معاضدة الدول الاسلامية ومؤازرتها ، وهذا ما ينتظر ان يؤدي اليه التقارب بل التلاحم المصري السعودي ، لما للعربية السعودية من تأثير روحي وأثر معنوي على بقية الدول الاسلامية ، لأنها مهد الاسلام ومنطلق النور الذي عمر قلوب العالم برسالة الخير والحرية والسلام .

ولا بد من القول ان مصر قد نهجت الطريق القويم ، بعيداً عن المزايدات الكلامية والطفولية اليسارية ، حين تحركت في أعقاب الهزيمة في المجالين السياسي والعسكري ، ولم تنجر وراء المغامرات الخطرة والأوهام العقيمة ، فقررت اعادة بناء قواتها وكأن المعركة الفاصلة آتية غداً ، وعملت في حقل الديبلوماسية السياسية وكأن السلام آت قريباً ، موقنة بأن ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة .

كفاح الشعب الفلسطيني حق مقدس

وقد تناولت المحادثات المصرية السعودية في ذلك اللقاء المصيري ، فيما

تناولته ، قضية نضال الشعب الفلسطيني في سبيل تقرير مصيره ، وحقه في الكفاح ضد الصهيونية التي اغتصبت أرضه وأقامت عليها دولة العدوان ، وقد جاء في البيان تأكيد الجانبين على « تأييدهما الكامل لنضال الشعب الفلسطيني في سبيل استعادة أراضيه المغتصبة ، ويريان في هذا النضال وتدعيمه واستمراره من جانب الدول العربية عاملاً هاماً في مواجهة العدو الاسرائيلي » .

فحركة التحرر الوطني الفلسطيني حركة عربية مشروعة يقوم بها شعب شُرّد من أرضه ، وأبعد عن دياره ، وله الحق كل الحق في العودة وشق السبيل اليها بقوة السلاح ، تحريراً لأرضه وقضاءً على الكيان الصهيوني الدخيل الغاصب .

ومن واجب الدول العربية جمعاء تقديم العون ومد يد المساعدة للنهوض بقدرة حركة التحرر الوطني الفلسطيني لتكون بمستوى القضية المصيرية . وقالت « الأهرام » بصدد دعم النضال الفلسطيني والالتزام باهدافه النضالية، ان البيان جاء « بمثابة تأكيد بأن حقوق الشعب الفلسطيني أمانة عربية شاملة ، بالاضافة الى ان النضال في سبيلها اقتناع له من القدسية ما يفرض التعبئة المستمرة من أجلها » .

غير ان النقطة الهامة التي أوردها البيان في سياق حديثه عن نضال الشعب الفلسطيني ، هي تقييمه الصحيح له وبأنه ذو دور فعال وهام في معركة العرب الكبرى في مواجهة العدو الصهيوني الغاصب .

واستراتيجية الكفاح المسلح ، وخوض النضال وراء خطوط العدو ، ذو أهمية بالغة سبق للملكة السعودية ان طرحتها منذ أمد بعيد يعود الى عهد المغفور له الملك عبد العزيز الذي دعا لمثل هذه الاستراتيجية التي تمثل الجهاد

الأسمى في سبيل القضية المقدسة ، والتي تحمل في تضاعيفها كل معاني الفـداء والتفاني ونكران الذات ، فاما الشهادة واما النصر .

الا ان الاتفاق بين المملكة السعودية ومصر على ضرورة دعم النضـــال الفلسطيني ، لم يقف عند حدود طرح الشعار ، وانمـــا تحول الى صيغ عملية وأشكال فعالة ، للتدليل على انه فعلاً أمانة في أعناق الشعوب العربية ، وقد بادر الفريقان للعمل على ايقاف نزيف الدم ، ووقف اقتتال الاخوة وتوحيـد الجهود كلها وتوجيهها شطر العدو المشترك .

يبقى على الفدائيين الشرفاء ، ان يطهروا صفوفهم من المخربـــين الذين يتسترون بستار الفداء لتمزيق المجتمعات العربية ، وترويج شعارات هـدامة لا هدف لها الا تحويل معركتنا القومية عن هدفها القومي الصحيح ، واثارة الفوضى والبلبلة والتفرقـــة في صفوف المناضلين الحقيقيين . وسوف تكشف الايام المقبلة بأن الاتفاق السعودي المصري دانية ثماره الايجابيـة في القريب العاجل ، وستكون ترجمته العملية تعزيز الجبهة العربية الداخلية ، ووقوف أمة العرب قلباً واحداً في معركة المصير ورسالة التحرير .

نحو جبهة عربية إسلامية موحدة

لقد كان لقاء المملكة العربية السعودية ومصر ، لقاء للعروبة والاسلام ، للعمل على اقامة قلعة صمود عربية اسلامية تحشد سائر القوى العربية ، وتجند كافة الطاقات الاسلامية ، لمجـــابهة أخطر تحدٍ استهدف العرب والمسلمين في بقعة من ديارهم هي النور من العين والخفقة من القلب .

وبرزت في البيان الذي صدر في أعقاب ذلك اللقاء ، قضية هـــامة هي

التمسك بالشريعة الاسلامية السمحاء كعقيدة للعرب والمسلمين ، وانه لا يمكن ان تنمو عقيدة أخرى دخيلة في هذه المنطقة من العالم هي مهبط الوحي ومهد الاسلام .

وتمسك العرب بالاسلام عقيدةً ومبدأ ، خطوة كبرى لتحقيق النصر ، فالاسلام دين الجهاد ، ورسالة الحرية والعدالة الاجتماعية ، وهو الدعوة المثلى لاقامة المجتمعات على اسس انسانية صحيحة ، وان في تعاليمه الخالدة — كما يقول البيان — ما يكفل تحقيق حياة أفضل لجميع الشعوب ، وفي تضامن العرب والمسلمين ما يقيهم الأخطار التي تتربص بهم ، وتهدد مستقبلهم ومصيرهم » .

ان الاسلام عقيدة كفاحية هائلة الطاقات ، قفزت بالعرب تلك القفزة الرائعة في مضمار التاريخ بعد ان صهرت تلك القبائل المتنافرة المتناحرة وجعلت منها أمة عظيمة ، وان هذه العقيدة يمكن لها ان تستعيد مجدها التالد ودورها الحضاري الخالد .

وبديهي ان هناك العديد من العوامل لضعف العالم العربي ، ولا شك في ان أهمها تشتت كلمة العرب ، كأنما يعيشون من جديد حالة ملوك الطوائف ، او الحياة القبلية قبل الاسلام ، وذلك التناقض القائم بين ايديولوجية بعض الحكام العرب ، والعقيدة الروحية للشعوب العربية المؤمنة . ولا ريب في ان عودة هؤلاء الحكام الى الاصول العربية والينابيع الاسلامية ، أمر يمهد لاجتماع كلمة العرب قمماً وقواعد تحت راية واحدة ، ومعاودة تلك القفزة التي ملأت صدر التاريخ اجلالاً واكباراً ، يوم ارتفعت للعرب والاسلام راية في تخوم الصين ، وخفقت أخرى بشواطىء الأطلسي .

مصر تتمسك بتراثها وتنبذ كل عقيدة دخيلة

وقد كانت الرسالة التي وجهها الفيصل الى الشعب المصري خلال ذلك

اللقاء ، التتويج الرائع لنجاح المساعي العربية التي أخذ العاهل السعودي خط المبادرة فيها . فقد تأكد له من خلال الحفاوة الشعبية الرائعة التي عبرت عن نفسها حناجر هاتفة وأيدي مصفقة ، وقلوباً عامرة بالايمان ، ونفوساً مترعة بالأمل ، ان الاسلام هو أبداً شعلة الحق في أرض الكنانة ، مما ارتد في نفسه الكبيرة ثقة ويقيناً عبر عنهما بقوله : « وما من شك بأن مـــا لقيته وجميع اخواني أعضاء الوفد المرافق ، من حفاوة بالغة وترحيب حـار ، مردّه الى تعلق هذا الشعب المسلم بالأراضي المقدسة مهبط الوحي ومنطلق النـور الذي رسم للبشرية طريق الخير والحضارة الحقيقية » وقوله : « وكم كان سروري عظيماً حينما تأكد لي ما كنت أعتقده من أصالة هذا الشعب وتمسكه بالعقيدة الاسلاميـــة ، مسترشداً بكتاب الله وسنة رسوله ، وسائراً على وحي من الرسالة الاسلامية الخالدة » .

ولم يغفل جلالته القوات المصرية المسلحة الرابضة على خطوط النار، والتي تتحين بفارغ الصبر ساعة مقارعة العدو ، والالتحام به في معركة البطـــولة والجهاد المقدس ، فتوجه اليه بهذه التحية : « والى اولئك الأبطال الأشاوس من ابناء هذا الشعب الذين يقضون بعزم وتصميم على خط النار ، يتطلعون بتلهف لخوض معركة المصـــير لاسترداد الأراضي العربية المغتصبة ، وتحرير المقدسات التي استباحت حرماتها أيدي الصهيونية الغادرة ، واضعـين نصب أعينهم الفوز باحدى الحُسنيين : النصر او الشهادة، أبعث اليهم بخالص تحياتي القلبية ، راجياً من الله عز وجل ان يكتب لي الشهادة في ساحة الجهـــاد مدافعاً عن دينه ومقدساته » .

واغتنم العاهل الكبير رسالته ليؤكد تصميم العربية السعودية ، والساعين ما بين الحرمين من أروقة العروبة الخالدة ، على الوقوف الى جانب الأشقاء في معركة البطولة والفداء ، وان يتقاسموا معهم السراء والضراء .

انها لصفحة جديدة أشرقت في تاريخ العرب الحديث ، مبشرة بالأمل ، موحية بالثقة ، مؤكدة كما قال الرئيس السادات « على ان العرب جميعاً قـوة متماسكة ، وانه بفضل اجتماع كلمتهم ، واتحاد وجهتهم ، وتضامن مسعاهم ، سيكتب الله للأمة العربية النصر والعزة » .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمـة ، انك انت الوهاب .

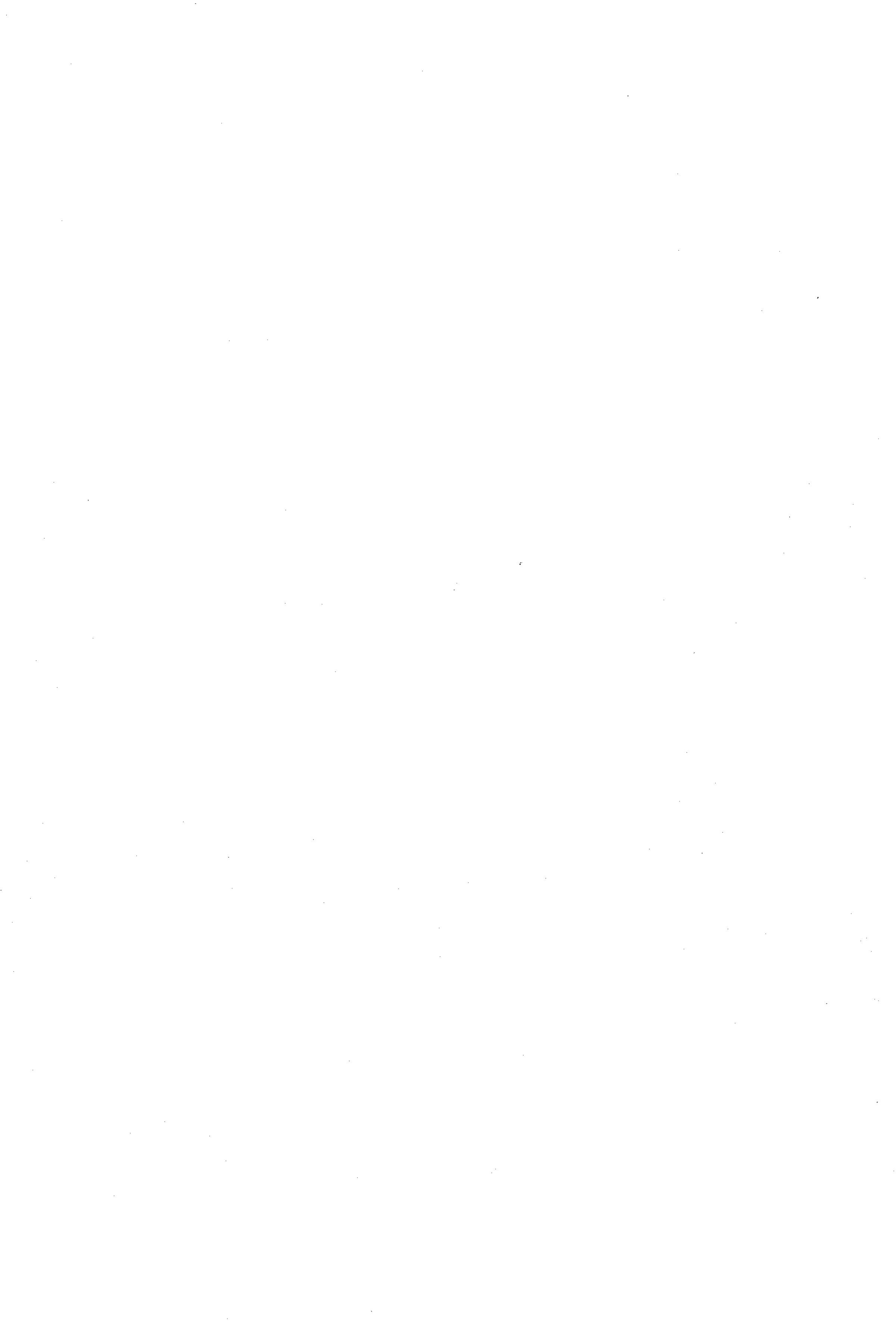


الفصل الثاني عشر

المؤتمر الإسلامي

قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل،
فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ،
انه لا يفلح الظالمون .

قرآن كريم



أساء العرب التصرف

حين عقـــد مؤتمر القمة الاسلامي في ايلول – سبتمبر ١٩٦٩ ، كتب الاستاذ جوزيف ابو خاطر وزير التربية وعضو الوفد اللبنـــاني الى المؤتمر ، مقالاً سجل فيه ببراعة الديبلوماسي اللبق وحكمة المفكر الأصيل ، انطباعاته عن المؤتمر ، وتساءل عن حصيلته ، وهل أتى بنتائج ايجـابية أم انتهى الى اخفاق ، وما معنى الافتراضين في الحالة الراهنة . وقد أجـاب بأن مجرد التمكن من جمع ٢٥ دولة اسلامية للتباحث في قضيـــة المسجد الأقصى ، وانطلاقاً حتمياً منها في قضية فلسطين ، يعد بحد ذاته نجاحاً ، اذ لم يكن من اليسير أن تشارك هذه الدول في مؤتمر يهم العالم العربي بالدرجة الأولى .

وقال الاستاذ ابو خاطر : « ومهما كان من أمر فمن الواجب ان نقـــرر بصراحة ، ان العرب فوّتوا على أنفسهم ، مرة أخرى ، فرصة طيبة لو عرفوا استغلالها لأمكن ان تنقلب لمصلحتهم سياسات هـــامة في الشرق الأوسط ، ذلك انهم وهم يجتمعون الى الأتراك والايرانين وغيرهم لأول مرة ، كان من مصلحتهم ان لا يحاولوا اقحامهم فوراً في صميم قضاياهم، وخلافاتهم مع الغرب. ولعل بُعد النظر كان يقضي بأخذ الأمور بتؤدة ويجذب هذه العناصر شطرهم في محاولات لبقة ، ولكننا بدلاً من ذلك استمعنـا الى بيانات عنيفة أخرجت المؤتمر فوراً عن السبب الرئيسي الذي انعقد لأجله، وطورت البحث الى موضوع النزاع العربي الاسرائيلي بكامله ، والى حمـــلات على بعض الدول الكبرى . وطبيعي ان لا ترتاح الى هذا الشيء معظم الدول غير العربية وان

ترفض الانزلاق . هذا الى ان النزاعات بين العرب القائمة بعضهم مع بعض ، تضعهم في معسكرات مختلفة ، فكيف يريدون أن ينعقد الاجماع على تفهم ومساندة قضاياهم ، في مؤتمر يضم دولاً سياستها وأهدافها وغاياتها غير سياسة العرب وأهدافهم ؟

وروى الاستاذ ابوخاطر مثلاً على سوء تصرف الدول العربية في مؤتمر تحضره دول آسيوية وافريقية مختلفة من أجل قضية تهم الدول العربية بالدرجة الأولى ، فقال : « ان رئيس وفد احدى الدول العربية الذي تكلم مرات بتعقل ولباقة ، توجه الى شاه ايران بكلمات يحض فيها على « المساندة والصمود » من أجل قضية فلسطين ، ويذكره بشجاعة أبيه وبمكافحته الاستعمار ، وبصمود الملك حسين ، وبدت تلك عثرة غير موفقة ، فأية علاقة لشاه ايران بالقضية الفلسطينية كي يدعى الى « الصمود » والى التشبه بسواه ؟ وهل كان من الحكمة ان يسدي أحد النصح والارشاد العلني الى رجل في مثل سلطان الشاه الصارم وسيطرته على بلاده ؟ » .

وما رواه الاستاذ ابو خاطر واستغربه ، او استنكره ، عن موقف بعض الوفود العربية في مؤتمر القمة الاسلامي ، انما يعكس صورة مؤسفة عن بعض الملابسات التي أحاطت بهذا المؤتمر ، وحاولت ان تدفع به الى الاخفاق ، فكان الاخفاق نصيبها هي ، ونجح المؤتمر برغمها ، بالقدر الذي كانت تسمح به الظروف التي عقد في ظلها .

التمزق العربي أدى الى الهزيمة

والواقع انه لم يكن في الوسع الحكم على مؤتمر القمة من خلال الأسابيع القليلة التي سبقته ، او الأيام المعدودة التي عقد خلالها ، ولا بد من عودة



التعلم الديني : ما أروعه مشهداً .. وأسماه موقفاً .

سريعة الى عشرين عاماً من التاريخ والديبلوماسية والمذهبية والمواقف والسلوك الفردي والجماعي ، لمعرفة حقيقة العوامل السياسية والنفسية التي مهدت له او التي حاولت تخريبه .

ان البلاد العربية قد دخلت بعد قيام اسرائيل في امتحان عسير بالنسبة لوجودها وكرامتها وجدارتها بالبقـــاء . فانتزاع هذه الدولة المغتصبة جزءاً غالياً من الأرض العربية كان منها بمثابة القلب ، والترابط العضوي بينها وبين الاستعمار ، يجعل خطر الحرب بينهـا وبين الدول العربية ماثلاً باستمرار ، ليس فقط من أجل استعادة الحق العربي السليب وهذا هو الواجب الاول ، بل من أجل ألا يسلب منا أيضاً حق جديد وهذا هو أضعف الايمان !..

وعندما يكون الحق المغتصب على هذا القدر من الأهمية ، ويكون الخطر الماثل على هذا الحجم من الضخامة ، لا تكون القضية مشكلة عـــابرة ذات ابعاد محدودة بالنسبة لدولة عربية معينة ، وانما تغدو قضية مصيرية بالنسبة للدول العربية كلها ، تشترك جميعاً في نتائجها ومسؤولياتهـا ، فتسهم حقاً وصدقاً في مواجهتها مواجهة جادة سليمة راشدة ، بتوحيد الكلمة ، وتنسيق الجهود والخطط ، وحشد سائر الامكانات والطاقات ، لكي تأتي هذه المواجهة الجماعية للعدو المشترك على مستوى القضية ، وتحيط بجميع جوانبها وأبعادها. وفي وسعنا القول دون ان نتهم بالحمـــاس العاطفي والغرور القومي ، ان الامكانات والطاقـات العربية كانت كافية لكسب المعركة ، لو ارتفعت الى مستواها من ناحية التنظيم والتكنيك ووحدة العمل والهدف .

ولكن ذلك الأمر البدهي الذي يقضي به شرف الوطن ، وتوجبه كرامة العروبة ، وتدعو اليه الحاجة الملحة القاهرة ، لم يحدث ، وانمـا الذي حدث نقيضه تماماً ، فطغت الخلافات العربية على الهدف العربي الاول ، ووضعت النظرات الاجتماعية والمذاهب السياسية فـــوق الواجب القومي ، وأعطت بعض الفئات العربية نفسها حق تصنيف الفئات الأخرى واتهامهـــا بالرجعية

والخيانة ، وغدت رسالة أجهزة الاعلام الصحفية والاذاعية التهجم على الدول الاخرى والعمل على تهديمها والتشهير بها أمام شعوبها وشعوب العالم .

وكان من نتائج هذه المواجهة الخاطئة لواقعنا ومصيرنا ، ان طرح في افق السياسة العربية شعار جديد هو « وحـدة الهدف » . ولقد كنا قبل ان يطرح هذا الشعار نعتقد بأن هدفنـــا القومي الاول هو قضية فلسطين ، ونتخيل ان وحدة الهدف هذه هي التي تقضي بوحدة الصف ، فاذا بالهدف يعني الثورة والاشتراكية ، فلا وحدة في الصف ان لم تكن ثمة وحدة في هذا الهدف بالذات .

وهكذا تمزقت البلاد العربية صفوفاً وكتلاً ومحاور ، فمنها المتطرف يميناً ومنها المحافظ المعتدل ، ومنها المتطرف الى اليسار . وانتقلت جيوش عربية الى بلدان عربية أخرى لتقاتل شعوباً عربية شقيقة من أجـــل هذا الهدف الجديد ، مبتعدة بذلك عن ميـدان المعركة مع اسرائيل . واسرائيل تنظر وتستبشر وتطمئن ، لان هـــذا الخلاف العربي المصطنع ، الذي تحركه أيد أجنبية وتغذيه مطامع خارجية ، هو الذي يمكـّنها من ترسيخ أقدامهـا في البلاد العربية المغتصبة والتمادي في عدوانها لتحقيق نصر جديد .

وقد بلغت المزايدات الحماسية حدها الاقصى في المرحلة التي سبقت كارثة الخامس من حزيران وأدت الى هذا اليوم الرهيب ، إذ أصرت بعض الفئات التي أعطت نفسها حق التفرد بالقيادة والتوجيه ، على ان المعركة مع اسرائيل هي معركتها لوحدها ، ووجهت الانتقاد المر الشديد الى دول عربية أخرى لأنها تتزود بالسلاح والعتاد كأنها ترتكب بذلك جريمة الخيانة العظمى ، ولم تكتم في فورة حماستها ان الطريق الى تل أبيب انما تمر في عواصم عربيـــة معينة يجب ان تجتاحها القوات العربية الثورية قبل ان تجتاح اسرائيل ! . .

دعوة الملك فيصل إلى التضامن

ذلك ما حدث على الصعيد العربي ، اما على الصعيد الدولي فقد كنا نظن

ان اقدار الدول الكبرى في أيدينا ، فنحن نستطيع ان نقضي عليها ساعة نشاء ونهبها الحياة ساعة نريد ، فكان اختيارنا ينصبّ على المواقف السلبية ، وسياستنا تقوم على معاداة الآخرين ، وبدلاً من محاولة التقرب منهم بالمحاسنة والموادعة والاقناع الهادىء الرصين ، كنا نلجأ الى التهديد والتنديد والتهويل بتصريحات أبعد من رغبتنا وأكبر من قدرتنا ، في لحظات تهور وتشنج ونزوات غضب ونزق ليست من شيم رجال الدولة ومناقب المسؤولين عن مصائر الشعوب .

وبينما كنا نهدم جسور التقارب ، ونقطع حبال المودة، كانت اسرائيل لا تدع سبيلاً لكسب عطف العالم الا وتسلكه ، حتى بدأنا نظهر نحن أصحاب البلد السليب والحق المغتصب ، وكأننا نحن المعتدون الظالمون الذين ينبغي حماية اليهود من عدواننا وهمجيتنا .

ولقد مضينا في هذا السبيل الى منتهاه ، واندفعنا في هذا المسلك الى أقصى مداه ، حتى ابتعدنا عن حلفائنا الطبيعيين وخاصمنا أصدقاءنا الأولين ، اذ اشتبكنا في حرب مفتعلة مع الدول الاسلامية التي تشدنا اليها صلات تاريخية وروابط روحية تؤلف رصيداً ضخماً كان يمكن ان نفيد منه في جميع الميادين ولا سيا في قضية فلسطين .

وكان الملك فيصل بن عبد العزيز اول من انتبه الى هذا الواقع المؤلم وأدرك نتائجه الوخيمة ، فأخذ يدعو بوحي المبادىء التي يدين بها ، والرسالة التي اؤتمن عليها ، الى ازالة تلك الخلافات المفتعلة، واحياء التضامن الاسلامي، وانشاء رابطة بين الدول الاسلامية ، العربية وغير العربية ، تنشىء فيا بينها وحدةً في النهج والعمل والتوجيه .

وكان من الواضح ان قضية فلسطين هي الرابحة في هذا المسعى النبيل ،

وان الحشد العربي سيشد أزره بعد الآن حشد اسلامي ، وان تنوع العلاقات الدولية للحكومات العربية والاسلامية سيعطي امكانات لا حد لها لتكوين رأي عام دولي أكثر تفهماً لقضايانا وتجاوباً مع أهدافنا ، فقضية فلسطين عربية بقدر ما هي اسلامية ومسيحية ، وليس من مصلحتنا ان ننفي عنها هذه الصفة ، وان نجردها من هذا المحتوى ، ما دامت هذه الصفة وهذا المحتوى يكسبانها مزيدا من المؤيدين والأنصار .

حملة التضليل والافتراء

وقد تكللت مساعي جلالته بنجاح كبير، فاستقبل في كل عاصمة اسلامية زارها بأقصى الحفاوة والترحيب والتأييد ، وفي كل عاصمة اسلامية كان يظفر بتأكيد من المسؤولين بتأييد الجهود التي تبذل لاحقاق المطالب المشروعة للشعب العربي الفلسطيني وكفاحه من أجل استرداد حقوقه المغتصبة .

وبدلاً من ان يبتهج العرب لنجاح العاهل السعودي ، والتفاف اقطاب المسلمين من حوله باعتباره الرائد والقائد لجمع شمل المسلمين ، والزعيم الذي جمع رسالتي العروبة والاسلام في قلبه الكبير ، تجاوبت بعض الدول العربية مع دول المعسكر الاشتراكي التي أرهبتها دعوة التضامن الاسلامي وخشيت ان تؤدي الى يقظة اربعين مليون مسلم يعيشون تحت نيرها وجورها، وتكتل الدول الاسلامية المجاورة لها التي تعيش في خوف دائم من عدوانها المفاجىء تحقيقاً لمطامعها القديمة والمستجدة ، فاتخذت هذه الدول العربية موقفاً سلبياً عنيفاً من مساعي التضامن الاسلامي ، واتهمت دعاة هذا التضامن بالعمالة للاستعمار والتواطؤ مع اسرائيل ، والعمل لانشاء حلف استعماري خططت له واشنطن وباركته لندن وبرلين !

وانطلقت أجهزة الدعاية المختلفة في حملات التشهير والتدجيل ، لتحطيم الحلف المزعوم ، وكان الملك فيصل أرفع من ان يجيب على مثل هذا التضليل والتحريف ، الا بدعوة الحق وكلمة اليقين ، وتجديد الدعوة الى التضامن والتآخي ووحدة الصف ، مجنباً الوضع العربي المزيد من التردي والتمزق والانهيار .

وقد تركزت حملات التشهير والاتهام والعداء والافتراء ، اكثر ما تركزت على الدول الاسلامية الكبرى : باكستان وتركيا وايران ، فما من تهمة في قاموس المخربين الا ووجهت اليها ، وما من وسيلة من وسائل الاعلام الا وجندت لمحاربتها ، وما بحثت قضية من قضاياها المصيرية في منظمة الامم المتحدة وخارجها الا واتخذ الثوريون العرب فيها المواقف المعادية لها ، حتى بات ذكر الاسلام جريمة لا تغتفر ، وغدت كل دولة اسلامية رمزاً وتجسيداً للرجعية والخيانة والعمالة ، الأمر الذي ترك في هذه الدول أسوأ الأثر ، وجعلها تبتعد عن كل ما هو عربي ، وتنأى عن المشاركة في أية قضية عربية ، لئلا تعتبر دخيلة ومتطفلة ، وتتهم بالتآمر والتواطؤ ، وتوصم بكل اكذوبة وافتراء .

٥ حزيران كشف الأخطاء

وما إن وقع عدوان الخامس من حزيران – يونيه ، حتى تبين خطأ السياسة التي تتبعها الدول الثورية في المجالين العربي والدولي على السواء ، وأدرك كل عاقل ان الحق العربي في فلسطين كان يجب ان يظل في معزل عن أي خلاف ، وفوق تباين الآراء في النظرات والمذاهب الاجتماعية ، واننا كنا في حاجة قصوى الى نوع من القيادة الجماعية ، فلا تتصرف أية دولة عربية في القضايا المصيرية الا بمشاورة بقية الدول وموافقتها ، كي لا تدفع هذه الدول

ثمن خطايا الآخرين ، وان هذا اللقاء بين الدول العربية من أجل عمل موحد متكامل ، هو لقـــاء حتمي تقضي به القضية المصيرية المشتركة ، وان رفع الشعار الاجتماعي الى المصاف الأول بدلاً من الشعار القومي ، هو ضرب من الخطأ المميت ، ونوع من التخريب على الصعيدين العربي والداخلي معـــاً ، لا سيما وقد أثبتت المعركة ان الدولة العربية التي اتهمت اكثر من غيرهـــا ، وأحيطت بالشكوك والظنون ، هى التي قاتلت اكثر من غيرها ، وصمدت في مواقف الشرف والتضحية ببطولة رائعة ووطنية نادرة المثال ! ..

أما في المجال الدولي فقد بادرت الدول الاسلامية الى القـــاء كل ثقلها الى جانب العرب ، وأعلنت منذ اللحظة الأولى انها لن تضن بأية مساعدة مادية او معنوية. وقد أدهش هذا الموقف اولئك الذين كانوا يعتقدون بأن مساعيهم التقدمية ومآثرهم الثورية ، قد مزقت وحـــدة الصف الاسلامي كما مزقت وحدة الصف العربي ، فاذا بهم يفاجأون بوحدة العالم الاسلامي ، كما فوجئوا بوحدة العالم العربي ، لأن كل دولة عربية او اسلامية قد اعتبرت العدوان موجهاً اليها ومنتهكاً لمقدساتها ، وحافزاً لها على البذل والتضحية والفداء . وهكذا تبين بجلاء – بعد ان تحطم كل اتهـــام وسقطت كل حجة وبطل كل افتراء – ان أعمالنا وأساليبنا ومخططاتنا لم تكن على مستوى القضية ، وكانت أبعد ما تكون عن الواقع ، وان العاهل السعودي – ببعد نظره ورجـاحة رأيه وصفاء ايمانه – هو الذي كان على حق ! ..

الصّهيونية تحرّض الثوريّين العرب

ولما دعا الملك الى عقد مؤتمر قمة اسلامي ، إثر احراق المسجد الأقصى ، اسقط في أيدي الدول الثورية للوهلة الأولى ، ولم يسعهـا الا تأييد الدعوة ،

معتقدة اول الأمر ان هذه الدعوة لن تجد الاستجابة اللازمة لدى الدول المعنية . ولكن دعوة الملك لم تكن في الواقع الا صدى عميقاً لمشاعر المسلمين، وسرعان ما لاقت التجاوب الواسع لدى الدول الاسلامية بصورة فرضت نفسها وصار من المستحيل تجاهلها .

وتبارت أوساط الصهيونية العالمية والدول الاستعمارية والشيوعية الدولية، في حملة تشكيك وتضليل حول المؤتمر قبل وبعد انعقاده ، فالأوساط الصهيونية تزعم ان المؤتمر يقوم على دعوة عنصرية تبعث التعصب الديني وتثير الأحقاد الدفينة ، والأوساط الاستعمارية تدعي ان خلافات الدول الاسلامية والعربية اعمق من ان تلتقي على صعيد واحد وتناضل من أجل قضية بعينها، والأوساط الشيوعية تعلن بهذا الكلام البذيء : « ان المؤتمر تفوح منه رائحة الحلف الاسلامي ، فنهاية البيان الصادر عنه ، في تحدثها عن الرسالة الخالدة والتقاليد الروحية للدين الاسلامي ، هي من بعض الدلائل على ان وراء الأكمة ما وراءها » !! ..

وكانت الصهيونية اكثر صراحة ، فاتجهت صحفها واذاعاتها الى الثوار العرب قائلة ان المؤتمر الاسلامي خليق بأن يقوي الرجعية التي يحاربونها ، وينتزع منهم المبادرة في قيادة العالم العربي ، ويقوض المكاسب الثورية التي حققوها « فالنار التي اشتعلت بالمسجد الأقصي قد أخمدت بسرعة ، ولكنها أشعلت نيراناً أخرى هي أشد تخريباً وأسوأ أثراً . انها نيران الحماس الديني تسعرّها بعض الأوساط الدينية والسياسية في العالم العربي ، فاذا لم يجر استئصال هذه النيران قبل امتدادها ، فستمحو كل ما حققه التقدميون العرب من خطوات تقدمية في السنين الأخيرة ، وستعزل العالم العربي من جديد وراء جدران من التعصب » .

محاولات التخريب قبل المؤتمر وبعده

والواقع ان الثوريين العرب لم يدّخروا وسعاً في محاولة تخريب المؤتمر ، وبدلاً من ان يحكّموا العقل والضمير ، ويعملوا بوحي المصلحة القوميـة ، فيقابلوا بالمودة والعرفان بادرة الدول الاسلامية التي رحبت بالدعوة واشتركت في المؤتمر على أرفع مستوى ، وبدلاً من ان يعملوا على استعادة ثقتها بعد كل مواقفهم السلبية ضدها ، ويتخلوا عن تصرفاتهم العدائية التي مبرر لهـا ، وأساليبهم الاستفزازية التي لم تُجن من ورائهـا سوى النكبات والكوارث ، جعلوا مهمتهم الأولى وهدفهم الأول تخريب المؤتمر بأي شكل ممكن والعمل على اخفاقه بأي سبيل كان ، فامتنع بعضهم عن حضوره ، وحضره غـيرهم بمستوى الوزراء والسفراء ، وراحوا يضعون في طريقه العقبات ، ويزرعون في داخله الألغام ، يضخمون الهنـات ويفتعلون الهفوات ، ويخلقون جواً من المشادة والتوتر والجفاء تؤدي به الى الانفجار .

لقد روّعهم المؤتمر الذي اراد ان ينقل القضية الفلسطينية الى المجال الدولي ، ويرفع عنها الحصار الذي ضرب من حولها وجعل منها قضية خـاصة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وموضوع مساومة بينهما ، فمضوا يتلاعبون به في حدود سياساتهم ومفاهيمهم والتزاماتهم كما تلاعبوا بقضية فلسطين طوال بضعة عشر عاماً ، وينقلون اليه ما افتعلوه من خلافات داخل العـالم العربي حطمت قدرته على الصمود وتركته تحت رحمة العدو الغادر .

وقد ظلوا يحـاربون انعقاده ، ويقللون من أهميته وضرورته ، حتى اذا خرجت الامور من أيديهم ، وفرضت الارادة الاسلامية نفسها ، وعقد المؤتمر في موعده المحدد وبعدد أكبر من العدد الذي كان ينتظر ان يشترك فيـه ،

أخذوا يطلبون منه المستحيل ، وراحـــوا يحصون حركات المشتركين فيه ويعددون سكناتهم ، موهمين الناس بأن نجاحه او اخفاقه على الشكل الذي يهوّلون به ، سيكون حكماً على دعوة التضامن الاسلامي ، وكادوا يقولون انه حكم على العقيدة الاسلامية ، ونسوا او تناسوا كم من مؤتمر دعوا اليـــه وأخفقوا ، وكم من اجتماع عقدوه دون ان ينتهوا فيه الى قرار ، وكم من دعوة وجهوها للتمثيل والتضليل ، وكم مدّ بعضهم الى بعض يد التآخي والتصافي ، وهو يخفي في اليد الأخرى خنجر الغدر والوقيعة .

الحلم الجميل الذي داعب الضمير الإسلامي

والواقع ان مؤتمر القمة الاسلامي لم يخفق ، بالرغم من جميع المحاولات التي تعرض لها من قبل الاوساط الصهيونية والاستعمارية والشيوعية ، وبالرغم من جميع المحاولات التي قام بها الأصنام والأزلام والطبول والأبواق ، وبالرغم من مساعي المخربين الذين يأبون في كل مجـــال وموقف الا ان تتغلب لديهم الروح الحزبية على الروح القومية والدفاع عن انظمتهم بدل الدفـــاع عن أرضهم ووطنهم . وقد توصل المؤتمر الى النتائج الباهرة التالية :

● رفض أي حل للقضية الفلسطينية لا يعيد مدينة القدس الى الوضع الذي كانت عليه قبل ٥ حزيران ـــ يونيه ١٩٦٧ .

● اعلان تمسك المسلمين القوي بمدينـــة القدس وعزم حكوماتهم الأكيد على العمل من أجل تحريرها ، وان شعوبهم وحكوماتهم لتشعر بقلق عميـــق من جراء استمرار الاحتلال العسكري الاسرائيلي للأراضي العربية منـــذ شهر حزيران ـــ يونيه ١٩٦٧ ورفض اسرائيل اعارة أدنى اعتبار لقرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة .

● الاهابة بالحاح بجميع أعضاء الاسرة الدولية وخاصة الدول الكبرى التي تتحمل مسؤولية خاصة في الحفاظ على السلام الدولي لكي تبذل المزيد من الجهود المشتركة والمنفردة لتحقيق الانسحاب السريع للقوات الاسرائيلية من كل الاراضي التي احتلتها بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، وذلك تمشياً مع المبدأ الذي يقضي بعدم شرعية اكتساب الاراضي عن طريق الغزو العسكري .

● تقديم المساندة التامة للشعب الفلسطيني لاسترجاع حقوقه المغتصبة ولمواصلة نضاله من أجل تحرير وطنه .

ولا ندري أي اجتماع او مؤتمر او بيان اشتراكي او عدم انحيازي او افرو آسيوي ، من المجتمعات والمؤتمرات والبيانات التي تحتضنها الشيوعية الدولية وتوجه خطاها وترسم أهدافها وتملي مقرراتها ، قد تضمن ما تضمنه بيان مؤتمر القمة الاسلامي . ويكفي ان يتضمن هذا البيان الفقرة المتعلقة بمساندة الشعب الفلسطيني لاسترجاع حقوقه المغتصبة ولمواصلة نضاله من أجل تحرير وطنه ، حتى يسجل خطوة كبرى تخطوها القضية الفلسطينية على الصعيد الدولي ، وتخرج بها من وصاية الشيوعية الدولية ، وتعيدها الى أيدي الشعب الشهيد صاحب الحق الاول والمسؤولية الاولى ، بعد ان اصبح شعار بعض الدول وجماع مطالبها ازالة آثار العدوان وليس استعادة الحق السليب في فلسطين .

وثمة أمر آخر قرره مؤتمر القمة الاسلامي في الرباط ، وكانت له نتائجه الايجابية الهامة ، وهو تكليف وزراء الخارجية في الدول الاسلامية الاجتماع في آذار – مارس ١٩٧٠ في مدينة جدة لانشاء أمانة عامة تكون الصلة بين مختلف الاعضاء في المؤتمر كل مرة تدعو الحاجة الى ذلك. فان هذه الأمانة تحقق استمرار المؤتمر الاسلامي ، وتؤلف القاعدة الصلبة لانطلاقات اسلامية جديدة تساعد على مزيد من التقارب والتفاعل والتضامن ، وتضع الأسس

الوطيدة لتعاون مثمر يشمل كافة ميادين الحياة ، ويحقق حلماً جميلاً ما فتىء يداعب الضمير الاسلامي منذ قرون طويلة ، وتنبثق عنه منظمات علميـــة وندوات فكرية وحركات شعبية تبحث موقف الاســـلام من تحديات العصر بروح التطور والتقدم والتسامح التي هي من صلب تعـــاليم الاسلام . وليقل أزلام الشيوعية الدولية في ذلك مـــا يشاؤون ، وليطلقوا عليه اسماء العمالة والخيانة والتحالف مع الاستعمار ، فليست هذه بالمرة الاولى التي يطلق فيهـا الهدامون صفاتهم على الآخرين .

إنشاء الأمانة العامّة

والواقع ان موضوع انشاء الأمانة العامة كان أهم الموضوعات التي بحثهـا مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذي عقد في الموعد المحدد له من شهر آذار — مارس ١٩٧٠ (محرم ١٣٩٠ هـ) ، وعبثاً حاولت وفود بعض الدول العربية الثورية الحيلولة دون اتخاذ قرار بهذا الشأن ، فـــان الخطى البصيرة والثابتة التي خطاها الملك فيصل بدعوة التضامن الاسلامي كان لا بـــد من ان تحقق أغراضها المرسومة لخـير العرب والمسلمين جميعاً . وهكذا خرج المؤتمر بقرارين هامين :

أولهما : الاجتماع مرة في السنة للأغراض التالية :

أ — مراجعة التقدم الذي أحرزه بتطبيق قراراته .

ب — مناقشة المسائل ذات الأهمية المشتركة وتقديم التوصيات للعمـــل المشترك .

ج — تعيين مكان وزمان مؤتمرات القمة الاسلامية .

وثانيها : انشاء أمانة عامة تكون مهمتها :

أ ـ ان تكون حلقة اتصال بين الدول الاعضاء .

ب ـ متابعة تنفيذ القرارات المتخذة من قبل المؤتمر ، وخاصة ما يتعلق منها بالقضية الفلسطينية .

ج ـ الاعداد لدورات انعقاد المؤتمر وتنظيمها .

وقد تقرر ان يرئس الامانة أمين يعين لمدة سنتين من قبل مؤتمر وزراء الخارجية ، وان تتحمل الدول الأعضاء نفقات ادارة ونشاط الأمانة ، وان تكون جدة هي مقر الامانة الى ان تحرر القدس .

وقد اختير السيد تنكو عبد الرحمن رئيس وزراء ماليزيا ، رئيساً للأمانة العامة ، فبادر الى الاستقالة من رئاسة الوزارة لتولي المسؤولية الجديدة .

أمنية كبرى تتحول إلى حقيقة واقعة

وهكذا كانت فكرة المؤتمر الاسلامي تنتقل في التطبيق العملي ، من نصر الى نصر ، ومن أمنية خالجت الضمير الاسلامي الى حقيقة واقعة ذات جهاز معين وتنظيم دقيق وأهداف محددة . وقد تجلى هذا النصر بصورة أوضح في مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذي عقد في جدة في ٢٩ شباط ـ فبراير ١٩٧٢ ، اذ حضرت المؤتمر هذه المرة وفود احدى وثلاثين دولة اسلامية ، ووفدا الجامعة العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وتوقفت أعمال التخريب التي كانت تقوم بها بعض الدول العربية الثورية في قلب المؤتمر بعد التنسيق العربي الذي تم بين المملكة السعودية ومصر ، وكان مما استرعى الأنظار

وأثار الاهتمام موقف الوفد المصري الذي أبدى حماسته للنتائج الايجابية التي توصل اليها المؤتمر ، وندد بالغزو الفكري الرهيب الذي تتعرض له البلاد العربية والاسلامية من جراء تغلغل المبادىء المستوردة .

وقد عقد هذا المؤتمر في حقبة من أخطر الحقب التي يمر بها العالم العربي ، ومن ورائه العالم الاسلامي ، لما حملت وتحمل في طياتها من أحداث متلاحقة ، ووقائع مذهلة مروعة ، ذات أثر بالغ في مستقبل العرب والاسلام ، واذا كان لهذه الأحداث من معنى ايجابي ، فهو الترجمة الصادقة لسلامة الخط السياسي الذي انتهجه الملك فيصل ، وما رمى اليه من تحقيق للتضامن الاسلامي ، نصرةً لقضايا العروبة الكبرى ، ودفاعاً عن صفاء العقيدة السمحاء ، في وقفة بطولة وحق درءاً للهجمات الاستعمارية الخطرة ، ورداً لسموم نصالها الى صدور مطلقيها ، في ثبات قادر تجاه التحديات العديدة التي واجهت وما تزال تواجه العالم الاسلامي .

ونظرة واحدة على الخارطة السياسية المعاصرة تكفي لترجمة واقع أمة العرب وامم الاسلام ، فالعدوان الاسرائيلي يستشري ويستفحل ، حتى رأينا العرب بعد نكسة ١٩٦٧ يتخبطون بسرداب اللاسلم واللاحرب ، والدول الكبرى تتلهى بنا بلعبة جر الحبل فيما بينها ، وإحكام الانشوطة على أعناقنا، ناهيك بسيل المؤامرات الجارية هنا وهناك لتوسيع رقعة العدوان والاغتصاب على حساب جنوبي لبنان ، حتى اذا لم تبلغ المؤامرة هدفها المنشود ، حاولت الايقاع ما بين المواطن اللبناني والمجاهد الفلسطيني ، ليراق الدم العربي باليد العربية ، باضافة فصل جديد على هذه الملهاة — المأساوية من تلك المسرحية .

وهل يمكن ان يغرب عن بالنا اخبار تلك المؤامرات التي بلغت جنوبي الجزيرة العربية ، وما تخططه الفصائل الثورية من الفئات اليسارية التي ترفع شعارات الماركسية واللينينية ، وتحلي صدورها بصور لينين وماوتسي تونغ ، وتحمل البندقية بيد ، وباليد الاخرى المؤلفات الماركسية ، لقلب الأنظمة

القائمة ، واسقاط الشرعية تحت ستار تحرير عمـــان والخليج العربي ، سعياً للقضاء على التراث الاسلامي ، وقتل الروح العربية ، وتنفيذ مخططـــات الشيوعية الدولية .

أما ما جرى في شبه القارة الهندية ، فمؤامرة اكبر من ان توصف بأنهـا خطيرة ، وحسبنا ان نعرف ان شباك خيوطها قد حيكت بتحالف هندي شيوعي استهـدف وحدة الباكستان الاسلامية ، وخلق دولة بنغلاديش التي وثبت من موقع الكرامة والاستقلال الى موقع التبعية والاستغلال ، كل ذلك بقوة الجزمة الهندية تباركها وتدعمها القوى الشيوعية .

وقبل ذلك استطاع الاستعمار ان ينثر بذور الفرقة الطائفية مـــا بين الفيليبين ، فوقعت المعارك المؤسفة ما بين البوذيين والمسلمين ، التي لا تستفيد منها سوى القوى الاستعمارية السوداء ، والاتجاهات المذهبية العمياء الغريبة عن واقع الفيليبين .

وواقع هذه أبعاده ، انما يدلنا على مـــا يجب ان نتحلى به من وحدة الموقف العربي ، وتوحيد الصف الاسلامي ، لاحبـــاط المؤامرات ، وتجنب النكسات ، بتصفية البؤر الاستعمارية ، وشل نشاط الصهيونية ، والقضاء على المخططات الشيوعية ، واستعادة حقوقنا المغتصبة ، واسترجاع مقدساتنـــا ومواطن حرماتنا التي انتهكت ودنست ، فسامتنا خساراً وجللتنا عاراً .

الدور التاريخي للمملكة العربية السعودية

لقد كانت المملكة العربية السعودية منذ نشأتهـــا قلعة حصينة للاسلام ، ومعقلاً منيعاً للفكر الاسلامي ، ترتد عنها التيارات التحريفية والاتجـاهات الدخيلة مدحورة كليلة ، كما مثلت بحكم موقعهـا الجغرافي وواقعها التاريخي ،

الدور الريادي لتحقيق التضامن الاسلامي ، ورفع شأن العروبة والاسلام .

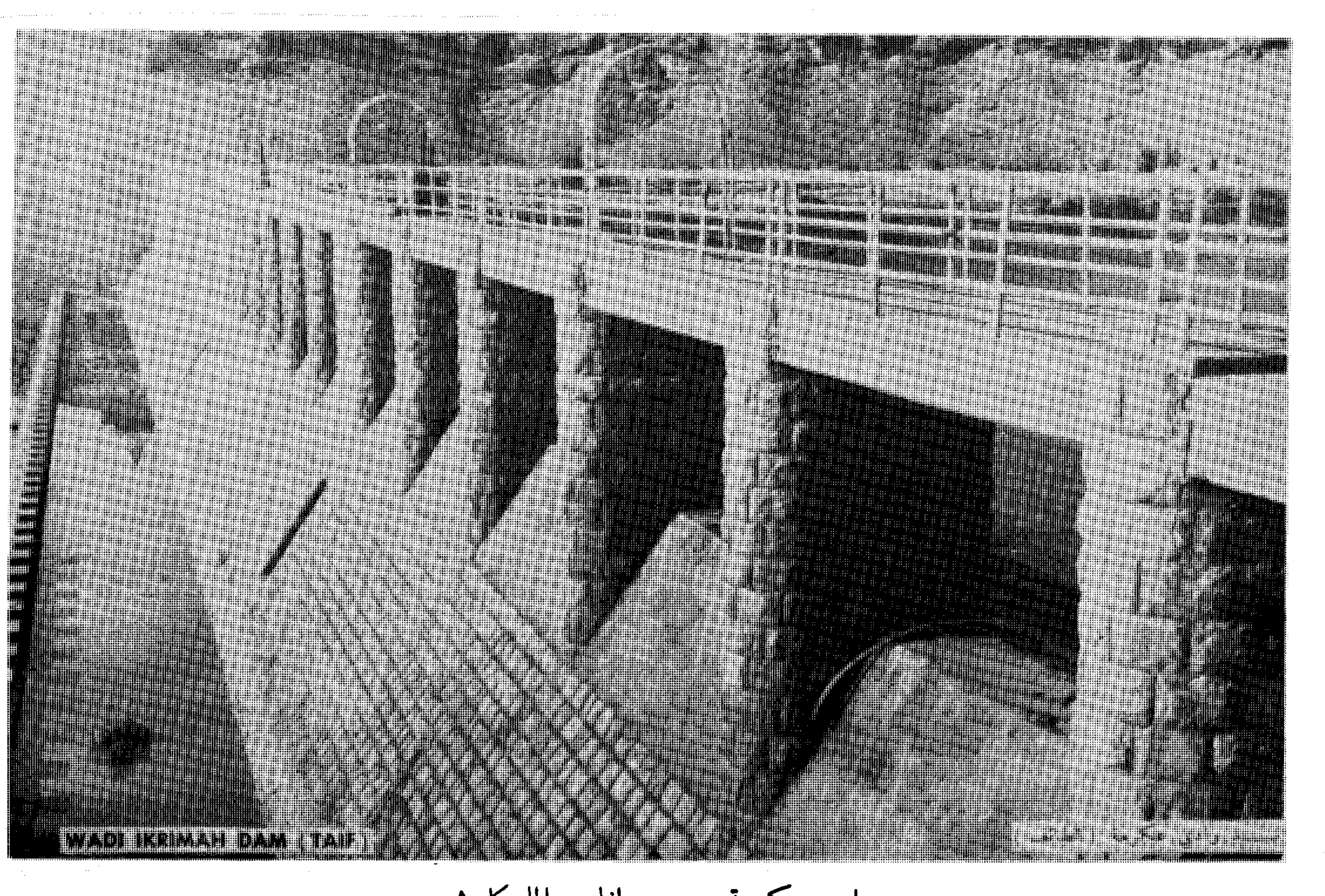
وكان لقيادة الملك فيصل اثرها البالغ في توجيه هذه السياسة المخلصة للواقع القومي والمعطيات الروحية ، والدور البارز في تحقيق اللقاء الاسلامي، بأبعاده الجديدة ومضامينه الرشيدة .

لقد أدرك الفيصل براجح فكره وثاقب نظره ، ما يحيط بعالمي العروبة والاسلام من مخاطر لا يمكن الظهور عليها الا بتضافر الجهد ووحدة العمل ، على الصعيد العربي ، وفي نطاق العالم الاسلامي ، فكان القائد الهادي الى الصراط المستقيم ، وجهته الحق ، وسبيله قوة التضامن . ومن هذا المنطلق أرسى قواعد الاخاء ما بين الدول العربية لنبذ الخلافات السياسية والمذهبية ، مستهدفاً احقاق الحق العربي في فلسطين ، وتحرير الوطن والانسان العربيين من كل ما يقعد بهما عن اللحاق بركب الامم المتحررة المتطورة .. منطلقاً من المحيط العربي، مطلاً على العالم الاسلامي ، مستشرفاً الآفاق الانسانية عامة .. منافحاً عن العروبة ، مكافحاً في سبيل الاسلام ، ممكّناً لهما في الأرض ، مجدداً سيرة السلف الصالح من الحكام الذين كانت سيرتهم منارات هدى وأعلام رشاد .

وقد آتت السياسة الفيصلية ثمارها العملية في طريق التضامن الاسلامي ، وكانت العربية السعودية المنبر الأعلى والمنارة الأسمى ، تنطلق عن ذراها دعوة الاسلام ، وتنعقد في رحابها المؤتمرات الاسلامية ، وكان آخرها المؤتمر الذي نحن بصدده ، والذي سيلقي الظلال المضيئة على مستقبل التضامن الاسلامي ، وما يتبعه من مصير وضاء .

في سبيل وحدة الرؤية لوحدة الهدف

وقد افتتح الفيصل هذا المؤتمر بكلمة هي من البلاغة روحها ، ومن



سد وادي عكرمة ... وجعلنا من الماء كل شيء حي .

الوضوح معناه ، ومن الجـــلاء سناه ، إذ عرف كيف يركز شعاع فكره ، ويترجم نبضات فؤاده ، بالكلمة التي تجمع بعد تفرق ، والحرف الذي يؤلف بعد تشتت ، يحيط بالساحة الاسلامية جغرافياً ، لينتقل بهـــا الى الصعيد العالمي الذي كم أُغرق بدعاوى ، وأُرهق بأباطيل ، وجُلي فيه الباطل بصورة الحق ، وأُبرز الاغتصاب بحلة القـــانون الدولي ، وقد آن له ان يسمع كلمة الاسلام ، ويعي بعض المضامين الاسلامية ، ليعيش غد الهناء ، ومستقبـــل الرخاء ، يتنفس رياح الطمأنينة ويحيا أجواء السلام .

قال جلالته :

« انه لمن دواعي سروري واعتزازي ان أرحب بكم أيها الأخوة ، بهذه المناسبة السعيدة وهي عقد المؤتمر الاسلامي في هذا البلد . ولا شك اننا جميعاً نقدر ما يترتب علينا من مسؤوليات تجاه ديننا وعقيدتنا وشريعتنا وأمتنـــا الاسلامية . والأمل بالله ان تكون مجهوداتكم أيهـــا الأخوة مقرونة بالتوفيق ان شاء الله للوصول الى الأهداف النبيلة التي يحث عليها ديننا وشريعتنـــا ، وهي نشر الايمان بالله سبحانه وتعالى ، والقيام بما يتوجب على كل فرد وكل دولة وكل مجموعة في خدمة امتنا ووطننا الاسلامي ، وخدمة كل فرد من أفراد الأمة الاسلامية ، وكذلك ان نسعى بقدر امكاننا لنشر الســـلام والاستقرار في العالم أجمع » .

ومسيرة الايمان تقتضي اول ما تقتضيه من المسلمين ، وحدة الرؤية لوحدة الهدف ، ولكن لا لحب الذات او الاندفاع بتيار الأنانية ، وانما اشاعة للخير في المجموعة البشرية :

« فشريعتنا الاسلامية تقتضي منا العمل لما فيه خير المسلمين ، ولمـــا فيه

كذلك خير البشرية » .

وترمي وحدة الرؤية لوحدة الهدف أول ما ترمي ، الى التسلح بالحق ، وانطلاق الحق من مركز القوة ، رداً على كل هجمة استعمارية ، وفرية فكرية ، ومؤامرة صهيونية او شيوعية ، نهوضاً بالعالم الاسلامي سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وروحياً ، ولذا يقول جلالته :

« علينا ألا نتخلى عن مسؤولياتنا في الدفاع عن ديننا وعن عقيدتنا وعن شريعتنا وعن أمتنا وأوطاننا ، فهذا حق من حقوقنا ، ان نكافح ونرد كل معتد ، بكل قوة ، وبكل ثبات ، وبكل ايمان واخلاص واني أرجو الله سبحانه وتعالى مخلصاً ان يوفقنا جميعاً للقيام بما يجب علينا . ونحن علينا واجبات كثيرة ، وهي التعاون في كل شيء ، في الحرص على تحقيق ايماننا بالله سبحانه وتعالى ، والتمسك بعقيدتنا وشريعتنا ، وكذلك التضامن فيما بيننا ، في ما تقتضيه احتياجاتنا من امور اقتصادية وثقافية واجتماعية وتربوية مما لا يتعارض مع ديننا وشريعتنا » .

وقد وصف جلالته حالة المسلمين ، وما هم فيه من فرقة وتشتت ، واختلاف بالرأي وتباين بالهدف ، وما ينتج عن هذه الفرقة والتشتت ، مما يسهل مهمات الأعداء ويدمي أفئدة الأوفياء :

« ان حالة المسلمين اليوم أيها الاخوة لا تخفى عليكم طبعاً ، وما يتعرضون له من نكبات وكوارث وتفتيت وتفريق ، حتى وصل العدو لدرجة صار معها يستغل بعضنا ضد البعض الآخر ، وصار يستغل أفرادنا ضد جماعاتنا ، وهذه كلها مخططات الأعداء ، فيجب ان ننسى كل هذه الأشياء فيما بيننا ، ونترابط ونتكاتف ، ونتعاون في كل ما فيه مصلحة ديننا وعقيدتنا وشريعتنا ووطننا وامتنا » .

تجاوز واقع التجزئة وتخطي مواقف التخلّف

وفي مجال حديثه عما يعانيه العالمان العربي والاسلامي ، وما يتعاقب على ارضها من نكبات وكوارث واحداث ومصائب ، أشار جلالته الى ما حل بساحة لبنان ، وما عانت الباكستان ، وما أصاب الفيليبين وما دهى فلسطين ، مركزاً بشكل خاص على الأحداث اللبنانية الأخيرة ، قائلاً :

« قبل يومين او ثلاثة وقع العدوان الصهيوني على لبنان الشقيق . ما هي حجة الصهيونيين في هذا ؟ يقولون : لماذا يكافح الاخوة الفلسطينيون ويقاتلون في سبيل حقهم وفي سبيل وطنهم وفي سبيل كرامتهم ؟ فهل يريدون من أي فرد في العالم ان يتخلى عن مسؤوليته ؟ » .

ويتابع جلالته شرح شرعية العمل الفدائي ، والنضال لتحرير الأرض وتقرير المصير ، بدعوة ملحاح لدعم كل من لبنان والمقاومة الفلسطينية لتكون على مستوى المسؤولية والقدرة على الصمود في مواجهة المخاطر المقبلة ، فيقول :

« ان اخواننا الفلسطينيين سواء في لبنان او في غيره ، ما قاموا بأي عمل الا دفاعاً عن حقهم المشروع ، ودفاعاً عن وطنهم ، ودفاعاً عن كرامتهم ، ولذلك وجب علينا جميعاً أيها الاخوة ان نقف بجانب اخواننا في لبنان وجانب اخوتنا في المقاومة الفلسطينية حتى نمكنهم من أن يصمدوا لأعدائهم وان يكافحوا من اجل حقوقهم وكرامتهم . والمسألة ايها الاخوة لا تقتصر فقط على اخواننا الفلسطينيين او اللبنانيين ، لكنها تهم كل المسلمين ، من عرب وغيرهم ، لان الكل مشترك في المسؤولية » .

ويختم جلالته كلمته هذه ، مبيناً ما على المسلم تجاه المسلم ، فرداً لفرد

وجماعة لجماعة ، لتجاوز واقع التجزئة ، وتخطي مواقف التخلف ، والظهور على الكوارث ، والتقاء الجميع على صعيد الوحـــدة والتحرر ، والانطلاق والازدهار ، قلباً واحداً ويداً واحدة ، في معركة الانشاء والابداع ، لبناء الغد الأمثل والمستقبل الأفضل :

« وعلى المسلمين ان يكونوا مترابطين متكاتفين متعاونين ، وان يتفاهموا فيما بينهم بكل محبة واخلاص وايمان بالله سبحانه وتعالى ، حتى نكون يداً واحدة وصفاً واحداً ، كما أراد لنا ربنا . وعلى كل حال أرجو الله سبحـانه وتعالى ان يوفقنا جميعاً للقيام بكل ما يجب علينا وان نصل الى اهدافنا بكل سرعة وكل قوة وكل وفاق ، وان لا يميتنا ان شاء الله الا ونحن نرى زوال كل هذه الكوارث وهذه المشاكل وهذه النكبات التي حلت بالمسلمـين ، وان تعود صفوف المسلمين لما ينبغي لها ان تعود اليه من تعاون وترابط وتكاتف وتفاهم في كل شيء ، فيكونون أبداً يداً واحدة وصفاً واحداً وقلباً واحداً ان شاء الله » .

لابديل لهذه الدعوة الخيّرة الواعية

وقد تم انتخاب السيد عمر السقاف وزير الدولة السعودية للشؤون الخارجية رئيساً للمؤتمر ، فألقى خطاباً تحدث فيه عن منجزات المؤتمرات الاسلامية السابقة ، وما آتته سياسة التضـامن الاسلامي التي كانت ضرورة من أشد الضرورات للرد على الهجمات الاستعمارية العنيفة ، وقد جاء فيه :

« ان تعاقب الاحداث على مسرح العالم الاسلامي المترامي الأطراف ، قد أظهر بما لا يقبل الشك ان لا بديل لهذه الدعوة الخيرة الواعية ، ولا مناص من حتمية تضامن المسلمين وتعاضدهم أينما وجدوا ، اذا أرادوا ان يعيشوا على

هذا الكون العيش الكريم الذي أراده الله لهم ، وان يحافظوا على وجودهم وكرامتهم ، وان يتمكنوا من تطوير امكاناتهم وطاقاتهم من أجل حياة أفضل لهم ، وان يحافظوا على وجودهم وأرضهم وزرعهم من طمع الطامعين وجشع المتكالبين » .

وتطرق السيد السقاف الى ارهاص المرهصين ، وافتراء المفترين ، وما ينعتون به التضامن الاسلامي من نعوت هي أبعد ما تكون عن فحواه ، وصفات لا يمت اليها بصلة ، لكن التضامن الاسلامي يتدعم ويترسخ برغم تلك التخرصات والافتراءات ، وان كان سيظل « يلاقي في مسيرته الطويلة الكثير والكثير من الأغراض والتشويه والدس ، فمن زعم بأنه لا أكثر من تجمع ديني اسلامي مغلق ومتعصب ، الى الزعم بأنه تكتل جديد ، الى القول بأنه سلبية جديدة مما يحفل به عالم اليوم من سلبيات. وغني عن القول ان جميع هذه الافتراضات وغيرها ، ليست سوى الدليل الحق على جدية وعملية هذا التجمع الخيّر » .

ولم يقف السيد السقاف عند حد التعميمات ، وانما عمد استناداً الى السياسة السعودية الرشيدة ، الى تجسيد هذا التضامن بمعطيات حسية أربعة فقال : « فبفضل الجهود المتضافرة المتعاونة على تحقيق الخير والنفع لأبناء الأمة الاسلامية ، ومن ثم لخير سكان المعمورة ، تيسر لمؤتمركم هذا ان يكون أمامه مشروعات اربعة هي من الحيوية بمكان أسمى وأعظم » .

ثم عدد هذه المعطيات او النقاط الأربع وهي :

١ — اصدار ميثاق الأمانة .

٢ — مشروع البنك الاسلامي الدولي .

٣ — مشروع انشاء وكالة الانباء الاسلامية الدولية .

٤ — مشروع انشاء وتقوية المراكز الثقافية عبر العالم .

وتناول النقطة الأولى بالشرح فقال : « ان اصدار ميثاق الأمانة العامة واقراره في هذا المؤتمر عمل تاريخي عالمي لا شك في قيمته وأهميته العظمى على كل صعيد . فلأول مرة منذ عهد الرسول الأعظم ، تصدر عن الأمة الاسلامية مجتمعة وثيقة عظمى تنظم تعاونها وتضامنها المشترك ، محددة مبادئه وأهدافه وأبعاده وطرائقه وغاياته السامية » .

وتعرض السيد السقاف للهجمة الاستعمارية على شعب فلسطين الذي شرد عن وطنه ، رابطاً تلك الهجمة بالأهداف البعيدة التي ترمي اليها الصهيونية العالمية ووليدتها الشيوعية الهدامة ، وما ترمي اليه هاتان القوتان الغاشمتان اللتان تخططان للنيل من الاسلام وزعزعة أركانه ، ولكنه سيظل برغم كل تلك المؤامرات والمخططات القلعة الصامدة في وجه العوادي والأعاصير ، سواء أكان ذلك في فلسطين أم في باكستان او أية بقعة من بقاع العالم الاسلامي ، لأنه لا بد من ان تخوض « الأمة الاسلامية في فلسطين وفي باكستان وغيرهما غمار المعركة القدرية المفروضة عليها ، وستنتصر حتماً مهما طال الزمن او قصر تحقيقاً للارادة السماوية الحقة . وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » .

نتائج المؤتمر ومقرراته

وقد اختتم المؤتمر مساء الرابع من آذار — مارس سنة ١٩٧٢ (١٨ محرم ١٣٩٢) عن رصيد كبير من القرارات العملية التي تزيد وحدة العالم الاسلامي تماسكاً ، وتعاونه تعاضداً ، في أكثر من حقل او ميدان . وحسب المؤتمر نصراً ان مقرراته غدت ملزمة التنفيذ لجميع الدول التي شاركت فيه ، وهو

أمر لا يقدر بأي ثمن مادي ، اذ أظهر المؤتمر على الوجه الذي أراده له الملك فيصل قوة ً روحية فاعلة مجدية في الحقل العالمي ، تعرف كيف تدعمه بايجابياتها وتنفي عنه سلبياته قدر المستطاع .

ومن حصيلة المؤتمر التي تبشر بالخير العميم ، وترفع من شأن الاسلام ، وتعزز مكانة الدول الاسلامية :

١ ـ اقرار ميثاق المؤتمر الاسلامي ، وذلك لدعم التضامن بين الدول الاسلامية في المجالات الاقتصادية والثقافية والعملية .

٢ ـ اقرار مشروع تأسيس وكالة الانباء الاسلامية الدولية .

وهل يخفى ان اسرائيل قد حاربتنا في الميدان الاعلامي على الصعيد العالمي ، وكان لها قصب السبق علينا ، اذ كانت تعرف كيف تبرز باطلها بصورة الحق ، على حين لم نكن في مستوى شرح حقنا ، واذا حاولنا أسأنا استعماله ، فكنا في هذا الصدد أعدى لأنفسنا من عدونا . وكم كان المتنبي على حق حين قال :

الرأي قبل شجاعة الشجعان	هو أول وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس حرة	بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه	بالرأي قبل تطاعن الأقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم	أدنى الى شرفٍ من الانسان

٣ ـ اقرار مشروع انشاء المنظمات والمراكز الثقافية الاسلامية بغية « نشر وحماية العقيدة والثقافة الاسلامية في جميع البلدان» كما أقر في الوقت نفسه موضوع « نشر الكتب التي تتناول الدين الاسلامي والثقافة الاسلامية وتاريخ فلسطين والقضية الفلسطينية » مع التركيز على ضرورة « الاهتمام بالقضية الفلسطينية في النشرات والندوات والمحاضرات » .

٤ — اقرار دراسة انشاء البنك الاسلامي الدولي ، وهو يهدف « للعمل على اعادة بناء المجتمع الاسلامي وتدعيم اقتصاده على اسس مثالية شرعية من العدل الالهي والقيم الانسانية ، والسعي لتحرير المعاملات المصرفية من المحظورات الشرعية بما يتفق مع الأسس الاقتصادية المتطورة » كما أقر المؤتمر « ان تنشأ بالأمانة العامة ادارة مالية واقتصادية لخدمة العالم الاسلامي وتتولى الدراسة واعطاء المشورة في المواضيع الاقتصادية والبنوك الاسلامية » .

المؤتمر والقضية الفلسطينية

وناقش المؤتمر فيما ناقشه ، التطورات السياسية والعسكرية التي طرأت على أزمة الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية ، واستمرار احتلال اجزاء من اراضي ثلاث دول عربية اسلامية ، وقد جاء في البيان :

« وإذ يعتبر المؤتمر ان مساندة وتدعيم الدول العربية الشقيقة لاسترداد أراضيها واستعادة الحقوق الوطنية المشروعة لشعب فلسطين ، مسؤولية وواجب يحتمه التضامن الاسلامي ومبادىء العدالة والسلام » .

كما أعلن المؤتمر تمسك الدول الاسلامية « بانسحاب اسرائيل من جميع اراضي الدول العربية التي احتلتها في ٥ حزيران — يونيه عام ١٩٦٧ ، تنفيذاً لمبدأ عدم شرعية اكتساب الأراضي بالقوة ومبدأ احترام وحدة وسلامة أراضي الدول » .

ولم يغفل المؤتمر ادانة استمرار الاعتداءات الاسرائيلية ضد الدول العربية المجاورة ، وأقر في ما أقره : « تأييد الدول العربية الشقيقة في جهودها الرامية الى تحرير أراضيها من الاحتلال الاسرائيلي بالوسائل والطرق التي تراها متفقة مع مصلحتها وأمنها وسلامتها ، وان لا يتعارض ذلك مع حقوق

الشعب الفلسطيني حيث انه صاحب الحق في تقرير مصيره » .

كما أقر « وجوب اتخاذ الدول الأعضاء جميع الوسائل للمساهمة في ازالة اثار العدوان الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة بما في ذلك اتخاذ اجراءات الزجر السياسية والاقتصادية ضد اسرائيل » .

وأعار المؤتمر جانباً كبيراً من نشاطاته ومقرراته ، واقع الشعب الفلسطيني وكفاحه المشروع لاسترداد ما اغتصب من حقه ، ودعم هذا الكفاح بكل الوسائل المادية والمعنوية ، وقد جاء في المقررات حول هذا الموضوع :

● احترام حقوق شعب فلسطين ونضاله المشروع من أجل تحرير وطنه وحقه في تقرير مصيره ، لأن ذلك هو الأساس في اقامة سلام دائم في الشرق الأوسط .

● تقديم الدعم السياسي والمادي والمعنوي لشعب فلسطين ليتمكن من تحرير بلاده .

● استنكار الحركة الصهيونية بوصفها حركة عنصرية عدوانية توسعية تتعارض مع جميع المثل الانسانية النبيلة وتشكل تهديداً دائماً للسلام العالمي .

وأكد المؤتمر التزامه بقررات مؤتمر القمة الاسلامي ، وما صدر عنه بصدد ضرورة ايقاف عملية « ضم وتهويد المدينة المقدسة وتغيير معالمها الدينية والتاريخية . والمؤتمر اذ يحي صمود اهل القدس والمناطق العربية والفلسطينية المحتلة ، يؤكد لهم مساندة ودعم اخوانهم في الدول الاسلامية لوقفتهم البطولية هذه أمام مخططات الاحتلال والتهويد ودفاعهم عن تراثهم ومقدساتهم » .

ولم يتوقف المؤتمر عند رسم الحدود النظرية لعدالة الكفاح الفلسطيني ،

وانما تخطى ذلك الى المجال العملي ، توسلاً لتحرير الأرض وتقرير المصـــير ، فأوصى فيما أوصاه « بانشاء صندوق باسم صندوق الجهاد من أجـل فلسطين ، تجمع فيه التبرعات الشعبية والحكومية في مختلف بلدان الدول الأعضاء لصالح صندوق الثورة الفلسطينية وتخصيص مساعدات مـالية وعينية سنوية لدعم نضال الشعب الفلسطيني » .

وصفوة القول ان المؤتمر قد حقق خطوات عمليـة وبناءة في طريق دعم التضامن الاسلامي ، لما فيه خير الأمة الاسلامية جمعـــاء ، وشد أزر الدول العربية ، ودفعها في الطريق الأقوم والسبيل الأسلم ، والعمل على جعل العرب والمسلمين بمستوى تحديات العصر ، يطرقون باب المستقبل بالعـــين الساهرة ، والعقل المتفتح ، والقلب اليقظ.

ومن حق الملك فيصل ان نذكر له هذه اليد ، ونقدر له هذا المسعى ، اذ لولا نضاله وصبره ودأبه ، لما كان المؤتمر الاسلامي ، ولما تحقق هـــذا التضامن الوثيق بين الدول الاسلامية ، ولما تمت هذه الانجازات الكبرى التي تبشر بخير عميم ومستقبل عظيم .

فتى لا يستظل غـــداة حرب ... الى غـــير الأسنة والبنود
اذا انبعثت على أمل بعيـــد ... فقد أدنت من الأمل البعيد
شهدتُ : لقد أوى الاسلام منه ... غداتئذ الى ركن شديـــد



الفصل الثالث عشر

ملحمة النهضة الحضارية للمجتمع العربي السعودي

ليس العظيم هو الذي يجعل سائر الناس يشعرون بضآلتهم ، ولكن العظيم حقاً هو الذي يجعل كل انسان يشعر بأنه عظيم .

تشترون

النهجُ الإصلاحيّ ووثبة التقدّم الحضاريّ

ان من أدق قواعد علم الاجتماع ، لدراسة أحوال وأوضاع مجتمع معاً ، تلك النظرة التي لا تدرس ظواهر الامور فقط ، او تدرسها بحالتها الراهنة فحسب ، وانما تتعمقها دراسة وتمحيصاً من خلال تطورها كينونةً فصيرورة، والا لم تعدُ مهمة المصور الفوتوغرافي ، وهذا أبعد ما يكون عن الواقعية والموضوعية وسنة الحياة التي لا تعرف التوقف والجمود .

وهكذا نرانا محمولين لاستحضار صورة ذلك النضال الاسطوري الذي خاضه المغفور له الملك عبد العزيز ليلة تسلق أسوار الرياض بنفر قلة ، لينتهي بقفزة عملاقة الى تكوين مملكة متكاملة تخطو بتؤدة وحذر خطواتها الاولى من واقع الحياة القبلية ، ثم لا تلبث وقد رسخت قدمها بتربة الواقع المتطور ، ان تقفز قفزتها الجبارة لبناء المجتمع العصري ، بعد ان مهد فيصل بن عبد العزيز لذلك ، بكل ما عرف عنه من حكمة وعقلانية ، لتكسب ملحمة النضال الحضارية ، في تجربة فريدة مثلى ، نموذجاً لتقدم دولة من دول العالم الثالث .

ويمكن التأكيد بكل ثقة، ان تاريخ التطور في المملكة العربية السعودية، قد ارتبط بجلالة الفيصل منذ وفاة المؤسس العظيم عام ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٣ م، اصلاحاً وقيادةً وريادة .

وبدهي ان مناخ النهج الاصلاحي لاحتواء المنجزات الحضارية في المجتمع المتطور ، هو الحكم الراسخ سياسياً ، المتصل عضوياً ببنائه الاجتماعي ،

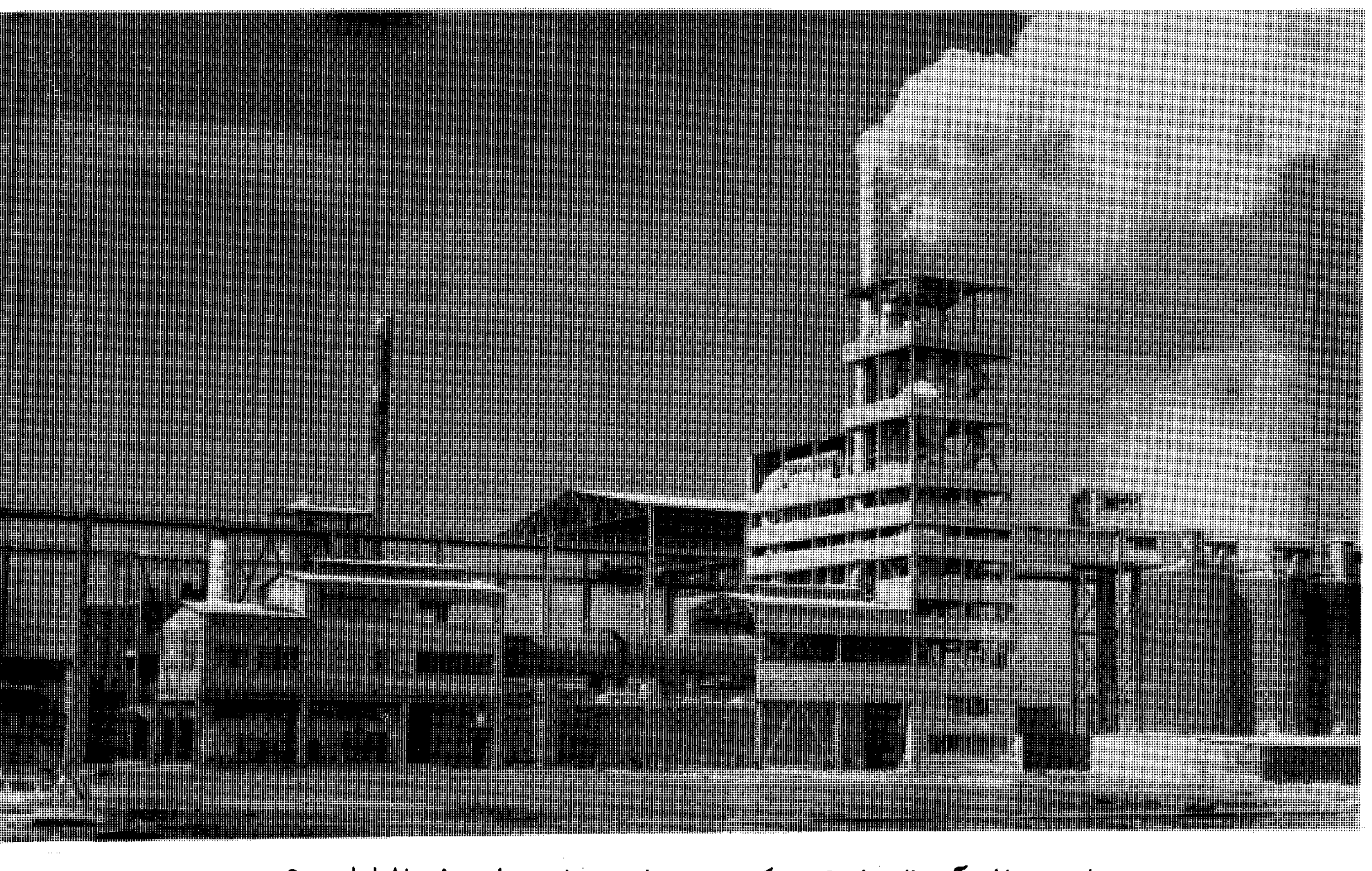
والمتمكن مادياً ببنائه الاقتصادي .

وقد جهد الفيصل خلال فترة ترؤسه مجلس الوزراء لخلق الأساليب التنظيمية لتطوير الحياة اقتصادياً واجتماعياً في المملكة ، مما ينعكس بصيغة بيانه الوزاري لعام ١٣٨٢ هـ ١٩٦٢ م اذ قال :

« وتؤمن حكومة صاحب الجلالة بأن التطور الاقتصادي والتجاري والاجتماعي الذي ساد مجتمعنا في السنوات الأخيرة ، لا يزال في كثير من مجالاته يفتقر الى التنظيم ، ولذلك فان مجموعة كبيرة من الانظمة الهامة ، ستأخذ طريقها تباعاً الى الصدور ، بحيث تصبح الدولة بعد فترة غير طويلة ولديها تراث تنظيمي شامل يساعد على تقدم النشاط ، وسرعة الحركة ، واجتذاب رؤوس الأموال ، وسوف تنشىء الدولة أجهزة مستقلة تتولى تطبيق مختلف الأنظمة التي تصدرها ، وسيكون كل ذلك متمشياً مع شريعة الله الخالدة ومحققاً لمصالح الأمة العليا » .

وقد كان التطور الاقتصادي للمملكة الشغل الشاغل للفيصل ، من خلال تحقيق برامجه الاصلاحية الكفيلة باحداث التبدلات الجذرية في مجتمع العربية السعودية ، وبالتالي النهوض بالمستوى المعاشي والحياتي للمواطن السعودي ، كما جاء في ذلك البيان الوزاري :

« أما الانتعاش المالي والتطور الاقتصادي ، فهو شغل الحكومة الشاغل ، والى جانب الاحتفاظ بالمركز المالي القوي الذي تمتاز به المملكة بين مختلف دول العالم ، فقد اتخذت حكومة صاحب الجلالة وسوف تتخذ ، اجراءات هامة وحازمة لوضع برامج اصلاحية ملموسة ينتج عنها انتعاش دائم للحركة الاقتصادية ، لتكون هذه المملكة في مستوى عال للمعيشة لكل أفرادها . ومن أهم ما سيبرز الى حيز الوجود قريباً ان شاء الله ، برنامج ضخم للطرق يربط جميع أطراف المملكة ومدنها ببعضها البعض ، وسنبذل عشرات



احدى المنشآت الصناعية .. كم من يد عاملة وراء دخان هذه المعامل ..؟

الملايين من الريالات لدراسة مصادر المياه وتوفيرها للزراعة والشرب ، وسوف تبني الحكومة السدود اللازمة لحفظ مياه الأمطار وتوفير المراعي ، وسوف تمد الصناعة الخفيفة والثقيلة بعون فعال يحميها ويجذب رؤوس الاموال اليها ، وستكون المملكة السعودية بحول الله في القريب دولة صناعية ولها اكتفاء زراعي ذاتي ، فتتعدد مصادر دخلها وتتنوع ، بما يسهل لها القيام بواجباتها نحو شعبها الكريم » .

وهكذا يمكن الجزم بأن السيرة الفيصلية العطرة ، هي المسيرة البناءة المقدام للنهوض الاجتماعي والاقتصادي في المملكة ، وابرازها دولة عصرية متطورة ، بوجه حضاري لا زيف فيه ولا قتام او أوشاب من نظم دخيلة ، يستلهم خير مُثُلنا التليدة لبناء حضارة جديدة ، متفتحة للمستقبل ، سائرة اليه بخطا الواثق المطمئن الى ذاته :

« اننا نريد ان ننهض ببلادنا وشعبنا في كل فعل يكون فيه الاصلاح والاعمار والتقدم ، ونحن ماضون بحول الله وقوته في السير في طريقنا مهما تعرضنا له من مصاعب ومشاكل » .

ومن خلال هذه النظرة المتفائلة ، والارادة المصممة ، والطموح النبيل ، حقق الفيصل نهجه الاصلاحي في كافة المجالات الحياتية : اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً .

التطوّر الصّناعيّ

مضى الفيصل قدماً بانفاذ برنامجه الاصلاحي، يناضل على أكثر من جبهة ، ويفوز بأكثر من معركة من معاركه البنائية ، حتى غدت العربية السعودية ورشة عمل كبرى ، تسير بنهج مبرمج ، وتخطو حسب خطة مدروسة ،

وتبني على الأسس العلمية ، لا تحقق هدفاً الا تجاوزته الى هدف آخر .

وانطلاقاً من الواقع ، اخذت المملكة بعين الاعتبار ضرورة ايجاد الأجهزة الادارية السليمة ، وما وراءها من خبرات علمية وفنية ، فعملت على اجـراء الدراسات الوافية الكفيلة بمسح موارد الدولة وامكاناتها الاقتصادية المتطورة ، والأسواق العالمية والمحلية المتوافرة لصناعاتها .

وبما ان الثروة البترولية هي العمود الفقري للاقتصـاد العربي السعودي ، الى جانب الثروات المعدنية الأخرى ، رأت الدولة ان تحقق أساليب التنمية الاقتصادية بشكل تنسجم فيه الطاقة الاقتصادية والخبرات العلمية الفعالة ، وهكذا تم تأسيس « كلية البترول والمعادن » لامداد الشعب العربي السعودي، بالطاقة المبدعة لأخذ دوره الفعال على صعيد التطور الاقتصادي .

ويترجم نظرة الفيصل الى هذه القضية قوله :

« أعتقد انه من الأفضل ان نهيء أنفسنا قبل كل شيء ، لنكون قادرين على ان نقوم بمهامنا ومشاريعنا بذاتنا دون الاعتماد على الاجنبي » .

ومن هنا كانت القضية الاساسية في منظاره ، اعادة تكوين المـــواطن السعودي ، عقلياً ونفسياً ، ووضعه في الصعيد الملائم له ، وتجهيزه بمـا يلزم من معارف العصر لخـــدمة وطنه ، لان الفيصل لا يرضى باستمرار استيراد « جيوش الخبراء والفنيين وجيـوش المهندسين لكي يشرفوا على كل مرفق من مرافق الحياة » اذ ان هذا الامر — حسب تعبير جـــلالته — لا يتفق مع « مصلحتنا او مصلحة وطننا ، فلا يجوز ان تدار وتسيّر بلادنا من الخارج ». وهو يكرس هذه النظرة الصائبة بهذا الرأي الصائب :

« نريد ان نبني أنفسنا بأنفسنا، وان نعتمد على مجهوداتنا وقوتنا الذاتية»، كما « ان التوسع في المشاريـع يجب ان يكون على أساس من الخبرة وعلى أساس

ضمانة هذه المشاريع لان تكون نافعة ومنتجة » .

وقد كانت للمملكة العربية السعودية تجربتها الفذة ، وهي تحقيق تنميتها الاقتصادية ، من خلال تكافل وتكامل القطاع العام مع القطاع الخاص ، في ظل النظام الحر الذي سبق ان تناولنا مفهومه الفيصلي في بحث السياسة الداخلية للمملكة ، بتعاون فعال مثمر ما بين الدولة والشعب ، تنعكس نتائجه على المجتمع العربي السعودي بأسره ، وكانت نتيجة هذا التعاون بتكافله وتكامله انشاء « المؤسسة العامة للبترول والمعادن » التي عرفت باسم « بترومين » التي كم وكم من صناعة سيتولد عنها .

لقد لعب البترول دوره الكبير الفعال في الاقتصاد العربي السعودي ، منذ تم اكتشافه قبيل الحرب العالمية الثانية ، واخذ يدخل شيئاً فشيئاً في مجمل الحياة الاقتصادية ، اذ كانت عائداته الركيزة الأساسية التي تقوم عليها عملية تطوير المجتمع وتحويله من مجتمع قبلي الى دولة عصرية .

ومن المعروف ان العربية السعودية هي من اكبر الدول المصدرة للنفط ، وانها تملك منه احتياطياً ضخماً ، ويقدر انتاجها باكثر من ثلاثة ملايين برميل من النفط الخام يومياً ، بينما يبلغ احتياطيها منه اكثر من ٩٠ بليون برميل . وقد وضعت المملكة نصب عينيها الاستفادة وطنياً الى أقصى حد ممكن من ذهبها الأسود ، وهكذا عمدت الى تضييق مناطق امتيازات شركات البترول الأجنبية ، والعمل على رفع نسبة أرباحها من العائدات النفطية ، واتجهت أخيراً الى تحقيق انشاء الصناعة البترولية ، وأخذ المبادرة بالتنقيب بمساعدة الشركات الأجنبية .

وهكذا قامت المؤسسة العامة للبترول والمعادن بتأسيس شركة النفط العربية وتملك ٥١٪ من أسهمها برأسمال قدره عشرة ملايين ريال سعودي ، وذلك بالاشتراك مع شركتي « فوريكس » و « لونجدسيان فورنكو »

الفرنسيتين .

وعملت بترومين بالاشتراك مع شركة المصافي العربية السعودية على تأسيس شركة مصفاة جدة عام ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م ، وتم بناء تلك المنشأة الصناعية الضخمة بطاقة انتاجية مقدارها ١٢٠٠٠ برميل يومياً ، كما تم اقرار مشروع زيادة طاقتها بمعدل ٣٣٠٠٠ برميل ، وبذا تصبح طاقتها الاجمالية تكرير ٤٥٠٠٠ برميل يومياً .

وتسعى هذه المؤسسة الوطنية لانشاء اسطول من ناقلات البترول ، لايصال النفط السعودي ، انطلاقاً من موانىء المملكة الى الدول المستوردة .

وقد دلت التقارير ان أهم مصدر من مصادر الثروة الطبيعية في المملكة بعد الزيت ، هو الغاز الطبيعي الذي تختزن المملكة كميات هائلة منه ، تندفع مع الزيت المستخرج من مناطق الامتياز التي يجري استغلالها حالياً . ويبلغ معدل الانتاج اليومي للمملكة من الغاز الطبيعي ، ما يعادل الفاً وتسعمائة مليون قدم مكعبة ، بينما يبلغ احتياطيه ما يناهز اربعين الف بليون قدم مكعبة .

وفي مجال الصناعات البتروكيمائية ،تعمل الدولة على تطوير صناعة الأسمدة، وقد تم لهذا الغرض تأسيس شركة عربية سعودية (سافكو) قوامها المؤسسة العامة للبترول والمعادن (بترومين) التي تملك ٥١٪ من الأسهم بالاشتراك مع القطاع الخاص وحصته ٤٩٪ من اسهم الشركة . ويعمل مصنع الأسمدة الآن في الدمام ، بطاقة انتاجية يومية قدرها ١١٠٠ طن من اليوريا و ٣٥ طناً من الكبريت الخام .

وتعمل المملكة الى جانب ذلك على انشاء مصنع لانتاج الكبريت في الدمام ، ستبلغ طاقة انتاجه السنوي ٢٣٠٠٠ طن ، كما انها بنت مصنعاً آخر لصناعة حامض الكبريتيك في الدمام أيضاً ، وقد بدأ هذا المصنع انتاجه في

هذا العام .

وتجهد المملكة لتحقيق نوع من التوازن الاقتصادي من خلال استغلال ثرواتها المعدنية الدفينة ، وعدم قصر الاعتماد على الصادرات النفطية فقط ، وتشير التقارير الصادرة عن المملكة الى ان « اقتصادها يكاد يعتمد اعتماداً شبه كلي على العائدات في انتاج الزيت (نحو ٧٦٪ من انتاج واردات خزينة الدولة) » وتتابع تلك التقارير قائلة : على ان « الثروة المعدنية المتوفرة في المملكة لم يكن لها بعد أي نصيب في تكوين الدخل الوطني ، كاحدى دعامات نموه وازدهاره » .

وانطلاقاً من هذه النظرة بدأت المملكة تسعى لاستثمار ثرواتها المعدنية حبيسة تربتها الطيبة ، وتؤكد المصادر العليمة على ان حكومة المملكة قد وضعت « نظاماً للتعدين يستهدف العمل في تطوير مصادر الثروة المعدنية تطويراً فعالاً ، وتهيئة فرص العمل لشعب المملكة . ثم ان هذا النظام يشجع رأس المال والخبرة الأجنبيتين على المساهمة في هذا التطوير ، وذلك بتمكينها من تحقيق أرباح عادلة ومعقولة » .

وكانت الترجمة العملية لهذه النظرة السليمة التي تعمد الى تطوير جوانب الاقتصاد المختلفة في المملكة،انشاء مصنع الحديد الصلب في جدة عام ١٣٨٨ ﻫ ١٩٦٨ م ، لانتاج القضبان الحديدية ، وتقدر طاقته الانتاجية بـ٤٥٠٠ طن سنوياً، وتعتبر هذه الخطوة في طريق تحقيق التحول الصناعي « نواة مشروع متكامل لصناعة الحديد والصلب تقوم على استغلال خام الحديد المتوفر بكميات هائلة » .

وجدير بالذكر ان استثمار معدن الحديد ، هو الخطوة الأولى في انطلاقة العربية السعودية ، لاستثمار المعادن المكتشفة في المملكة ، فضلاً عن ان الدولة تستثمر العديد من مناجم الذهب والفضة والنحاس والزنك والرصاص الى



النهضة الزراعية : خضرة وماء ... بعد الرمال اللافحة ...

جانب المعادن اللافلزية .

وليس الا من تقرير الواقع القول بان العربية السعودية حققت الكثير من المنجزات التي هي المنطلق السليم في طريق تصنيع البـــلاد ، وتطويرها اقتصادياً ، وانها قطعت في مرحلة وجيزة شوطاً كبيراً في هذا المضمار ، من خلال النهج الاصلاحي الفيصلي . وقد قال جلالته في هذا الصدد :

« اعتقد انه اذا قدرت الأزمنة والأيام على أعمـــار الأمم ، فان الأيام والسنوات التي قضيناها من يوم ان اتجهنا الى الاصلاح ، بعد ان مكّن الله لكم ولنا في ايجاد الموارد ، هذه المدة الزمنية أقلّ بكثير مما توصلنا اليه ».

وهكذا تقدم المملكة السعودية ، بين دول العالم الثالث ، الامثولة الحية لطاقة التقدم ، بعد ان استطاعت تحطيم أصفاد التخلف ، والاندفاع قدماً في الركب الحضاري .

النهضة الزراعيّة

الزراعة توأم الصناعة ومكملتها ، وكثيراً مـــا كانت في بلدان كثيرة قاعدتها ، ومنجزات النهضة الزراعية في حركة الاصلاح الفيصلية ظـــاهرة بارزة بكل أبعادها الاقتصادية والانسانية ، يرعاها الفيصل برعاية حبة الرمل التي كم تقلّبت على الظمأ تحت الشمس المحرقة ، وهي تحمل في أعمـــاقها كل اسباب الثراء والنماء ، حتى اذا ما استخرجت يد الحضارة كنوز ثروتهـــا الدفينة ، قامت تلك الحركة الناشطة في تحويل الصحارى القاحلة والكثبان الرملية ، الى واحات خضراء وجنائن معطاء ، وذلك بانشاء السدود وشق الترع ، لري الأرض العطشى ، ومن ثم لتوطين البدو في المنتجعات الزراعية ، وأخيراً لتحقيق الاكتفاء الذاتي من الانتاج الزراعي .

وهكذا يكون الشمول بحركة الفيصل الاصلاحية : تغيير الواقع الاقتصادي ، يتبعه ويلازمه تغيير في البنى الاجتماعية ، لما فيه الأصلح والأفضل .

وجدير بالذكر ان تقارير بعثة البنك الدولي للانشاء والتعمير ، وكذلك بعثة منظمة الاغذية والزراعة ، قد أشارت عام ١٣٧٨ هـ ١٩٥٨ م ، الى ان مساحة الأراضي المزروعة في المملكة تقدر بحوالي ٣٠٠ الف هكتار ، والأراضي الحرجية بحوالي ٤٠ الف هكتار ، من أصل ٢٢٠ مليون هكتار ، وبصورة اجمالية ، كان معظم الأراضي الزراعية يعتمد الأساليب التقليدية في الري ووسيلتها الآبار والينابيع والأمطار ، وتحويل مياه الفيضانات الى الأراضي عن طريق السدود المتواضعة .

ثم كان النهج الفيصلي ، ونشطت حركة البناء الزراعي باشادة السدود ، والعمل الجاد لاستخراج المياه الجوفية ، بما يتلاءم والحاجة الملحاح الى تحقيق نهضة زراعية شاملة . ووجهت المملكة جهدها لوضع الخطط العملية للتطوير الزراعي ، من خلال تطوير ميزانية الزراعة .

وتشير التقارير الرسمية في هذا الصدد الى ان الحكومة السعودية قد عملت « على تدعيم موازنة الزراعة والمياه وتطويرها سنة بعد أخرى ، وقد أمكن خلال عشر سنوات تحقيق زيادة قدرها ٢٩٨٪، فبعد ان كانت موازنة وزارة الزراعة والمياه ٢١،٣٤٨،٦٠٠ ريال في العام ١٣٨٠ – ١٣٨١ هـ (١٩٦٠ – ١٩٦١ م) أصبحت في العام ١٣٨٩ – ١٣٩٠ هـ (١٩٦٩ – ١٩٧٠ م) ٣٨٢،٣٠٠،٧٠٠ ريال ، ومنها مبلغ ٢٩٩،٩٦٠،٣١٠ ريالات مجموع ما خصص للمشاريع » .

كما قامت الحكومة بانشاء « البنك الزراعي السعودي » في مدينة الرياض، وبرأسمال قدره ٣٠ مليون ريال، بهدف مساعدة المواطنين السعوديين، ودفعهم

للعمل الزراعي ، وذلك عن طريق تقديم القروض ، والمساعدة العملية ، على شكل آلات ميكانيكية في حقل الزراعة ، وكذلك بتحقيق عمليات الحفر ، وتعميق الآبار .

وأرست المملكة في العديد من مناطقها ، أسس الوحدات الزراعية ، وقد « روعي في تكوين كل وحدة ، تزويدها بعدد من الفنيين للقيام بأعمال الارشاد والتوجيه ، كما زودت بالمعدات الزراعية والبذور المحسنة والأسمدة . وألحقت بكل منها مزرعة نموذجية ، وحقل للتجارب والأبحاث ، ومغرس لاستنبات بذور الخضراوات والأشجار » .

وفي مقدمة الانجازات الكبرى التي حققها النهج الاصلاحي الفيصلي ، « مشروع الفيصل النموذجي للتوطين » ، لانعاش بادية الشمال ، ومساعدة البدو على الاستيطان ، ولتجنيبهم عقابيل سنين الجفاف التي تتعرض لها المملكة .

ولا يقتصر هذا المشروع على المنطقة الشمالية ، وانما يشمل كذلك المنطقة الوسطى ، وذلك للاستفادة من الدراسات التي أشارت الى وجود خزين ضخم من المياه الجوفية في منطقة حرض ، وهكذا « تقرر تطوير منطقة مركزة هناك بمساحة ٤٠ الف دونم ، وتجهيزها تجهيزاً كاملاً للزراعة حتى يمكن توطين الف عائلة من أفراد البادية بهذا المشروع الحديث المركز كي يكون نواة وتجربة عملية للاسكان » .

ويشمل هذا المشروع حفر ٥٠ بئراً للري والشرب مزودة بالمضخات ، واقامة محطة كهربائية ، وانشاء مراكز اجتماعية ، وانجاز شبكات للري وتوزيع المياه ، وشق الطرق ، وبناء مزرعة للتجارب والارشاد مساحتها حوالي اربعمائة دونم .

والى جانب « مشروع الفيصل النموذجي للتوطين » تجهد المملكة لتحقيق

عدد من المشاريع الزراعية الكبرى ومنها :

١ – مشروع الري والصرف بالاحساء ، وقد بوشر العمل به عام ١٣٨٦هـ ١٩٦٦ م ، ويهدف الى استصلاح مساحة من الأرض مقدارها ٢٠ الف هكتار، وتطبيق وسائل الري الحديثة عليها ، ومدّ شبكة من القنوات الرئيسية والفرعية والجانبية طولها ١٦٠٠ كيلومتر .

٢ – مشروع تحسين الري والصرف بالقطيف ، ويهدف الى زيادة الرقعة الزراعية ، وتوفير المياه للزراعة ، وتبلغ مساحة المشروع حوالي ٥٠ الف دونم .

٣ – مشروع حجز الرمال في الاحساء ، ويهدف الى حماية هذه المنطقة التي تعتبر واحة فسيحة ، من الرمال المتحركة التي تهدد المناطق الزراعية ، وذلك عن طريق حجز هذه الرمال ، كما يهدف الى تجفيف المستنقعات الناشئة نتيجة لطمر العيون ، بغية استعادة الأراضي الزراعية التي اجتاحتها الرمال ، ومن ثم العمل على تشجير المنطقة .

ولم تتوقف المملكة عند هذا الحد ، وانما هي تعمل لبناء عدد كبير من السدود يبلغ تعدادها خمسة عشر سداً ، في العديد من مناطق المملكة، وذلك لحجز مياه السيول ، للاستفادة منها في الزراعة وتوفير مياه الشرب والري . ويأتي في مقدمة هذه السدود ، سد وادي جيزان لما له من ميزات خاصة مثل كثرة الأمطار ، « والتكوين الطبيعي للسهل الساحلي المنبسط والممتد بمحاذاة ساحل البحر الأحمر ، أوحى بضرورة اختيار مكان مناسب لانشاء سد ضخم لتنظيم الاستفادة من الايراد المائي المتكون من السيول والأمطار لتطوير الزراعة ورفع مستواها » .

ويبلغ ارتفاع هذا السد في المحور ٤١,٧ متراً ، أما البحيرة التي ستتكون خلفه فستختزن ٥١ مليون متر مكعب من مياه الأمطار ، مما سيؤمن ري

٨٠٠٠ هكتار من الأراضي التي ستحقق محاصيلها للمملكة اكتفاءها الزراعي الذاتي ، ناهيك عن انها ستحمي المنطقة من السيول الجارفة ، فضلاً عن ان هذا المشروع سيتيح لعدد كبير من المواطنين فرص العمل الشريف ، وتقوم الى جانبه محطة نموذجية للتجارب والارشاد .

وثمة ظاهرة مهمة جداً يجدر التوقف عندها ، وهي ان النظام الذي اتخذته المملكة في ٦٨/٩/٢٨ ينص على توزيع الأراضي البور على المواطنين والمؤسسات بهدف استصلاحها بمعونة الدولة ، وقد جاء في هذا النظام :

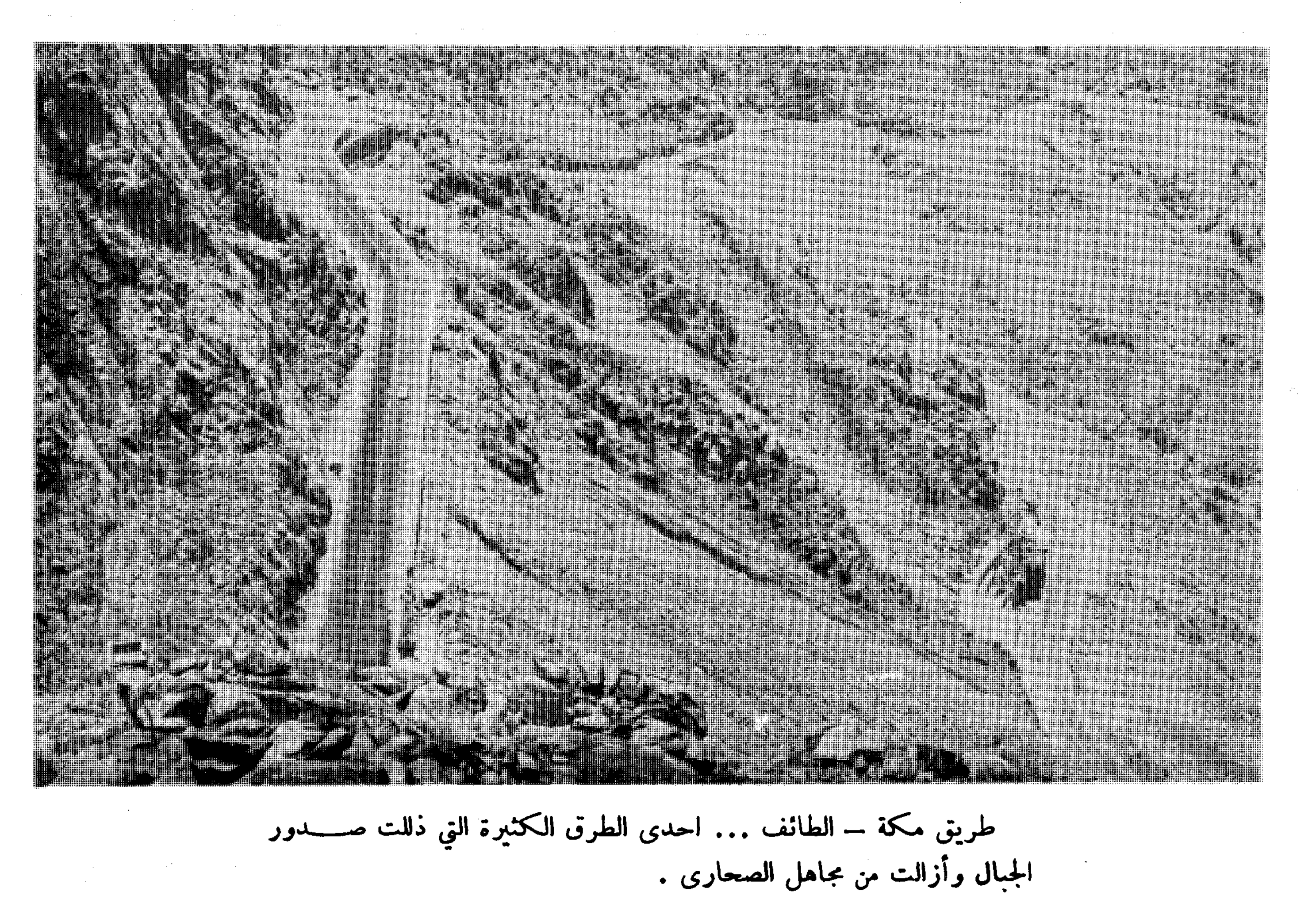
١ — المساحة التي تعطى لغرض الاستثمار للفرد الواحد كافية لاقامة مزرعة اقتصادية مساحتها ٥٠ دونماً كحد أدنى و١٠٠ دونم كحد أعلى ، وللشركات والمؤسسات ٤٠٠ دونم .

٢ — يستهدف هذا النظام زيادة دخل المزارع وتحسين ظروفه المعيشية من جهة ، ومن جهة أخرى زيادة الرقعة الزراعية عن طريق استصلاح الأراضي واحيائها ، وافساح المجال لرؤوس الأموال الخاصة باستثمار الأراضي .

وقد حققت هذه المشاريع الشيء الكثير في ظرف قصير ، وهي تحمل في جوانبها العميم من بشائر النجاح في تطوير الحياة الزراعية والثروة الحيوانية ، وكلها تهدف لتطوير الواقع المعاشي والحياتي للمواطن في ظل مجتمع الأمن والعدالة .

ملامح التطوّر العمراني

النهضة العمرانية سمة بارزة من سمات تطور المجتمعات ، والمملكة العربية



طريق مكة – الطائف ... احدى الطرق الكثيرة التي ذللت صدور الجبال وأزالت من مجاهل الصحارى .

السعودية الناشئة استطاعت بفترة وجيزة جداً أن تخطو خطوات عملاقة في هذا الميدان ، اذ حقق النهج الاصلاحي في هذه الفترة ، منجزات عمرانية قلما يسبق وتيرتها أي بلد من البلدان المتقدمة . يقول الفيصل في هذا الصدد :

« نحن جديدون على التجربة العمرانية، وحديثو عهد في التنظيم والتوجيه وفي العلم وفي كل نواحي الحياة ، لأننا اذا قسنا ما مضى من الزمن الذي قضيناه منذ أن اتجهنا الاتجاه الصحيح ، رأينا انه زمن قصير جداً ، ولكن هذا ليس بعبء يثنينا أو يثبط من عزائمنا ، لأننا نعمل كل ما في امكاننا لخير هذا البلد وخير هذا الشعب » .

وسارت النهضة العمرانية بخطا ثابتة ، مواكبة حركة النهضة الشاملة للمجتمع العربي السعودي ، انتقالاً به من واقع قديم الى واقع حديث فيه كل معاني التجديد والتطوير والرقي والازدهار .

وهكذا أخذت تتعالى المنشآت الضخمة والمباني الرائعة والجامعات والمراكز الثقافية الهامة، ومثل التخطيط العلمي دوره الفعال في تنظيم المدن ، واقامة الحدائق فيها ، وتوسيع شوارعها ، واناراتها بالكهرباء ، مما يبرز الوجه الحضاري للمملكة بشكل يروق النظر ، ويريح النفس ، ويحمل على الاعجاب والاكبار .

والمواصلات ، وهي شرايين المملكة وأوردتها وأداة التقائها بالعالم الخارجي ، جانب فعال من جوانب النهضة العمرانية ، وسمة من سمات التطور ، وكان لها حيز كبير من اهتمام الفيصل . فعملية شق الطرق وتعبيدها تتطور بحركة متسارعة في طول البلاد وعرضها ، تشق قلب الصحراء ، وتأخذ سبيلها في الجبال ، تقرّب المسافات ، وتربط ما بين المدينة والمدينة والقرية والقرية .

وخلال العامين ١٣٨١ — ١٣٨٢ هـ (١٩٦١ — ١٩٦٢ م) بلغ مجموع

أطوال الطرق الجديدة التي شقت في المملكة ٤٣٠٧ كيلومترات ، واعتباراً من عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) وضعت وزارة المواصلات خطة جديدة للقيام بمشاريع حديثة ، وقد تم البدء في هذا البرنامج حين تم توقيع اتفاقيات هندسية مع بعض الشركات العالمية لدراسة وتصميم شبكة طرق يبلغ مجموع أطوالها ٤٨٤٢ كيلومتراً ، كما تم في ما بعد اضافة مشاريع أخرى بحيث أصبح المجموع ٧٦٧٠ كيلومتراً . وفي نهاية شهر ذي الحجة عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) ، وبعد أن تم تنفيذ بعض مشاريع البرنامج الرئيسي للطرق حسب الخطة الموضوعة لذلك ، بلغ مجموع أطوال الطرق المعبدة بالاسفلت ٨١٢٠ كيلومتراً . وفضلاً عن ذلك شقت في المملكة المسالك الجبلية والطرق الصحراوية ، وبلغت مجموعة هذه الطرق الفرعية حسب تقارير سنة ١٩٦٨ : ٢٣١٦ كيلومتراً .

والى جانب حركة شق الطرق ، تشهد المملكة تطوراً مماثلا في انشاء السكك الحديدية ، وتسيير المزيد من القاطرات الحديثة عليها . كما توجه اهتماماً ملحوظاً لتطوير موانئها البحرية وتوسيعها ، فالى جانب ميناء جدة الذي بني عام ١٩٤٨ ، تم بناء ميناء ينبع عام ١٩٦٣ ، ويجري توسيع ميناء الدمام لزيادة عدد الأرصفة فيه ، وربطه بشبكة من الخطوط الحديدية .

وفتحت العربية السعودية باباً من أبواب الحضارة ، بتطوير وسائل البرق والبريد والهاتف. ويبلغ عدد الخطوط الهاتفية في المملكة ٢٨٠٠٠ خط، وعدد مكاتب البريد ٤٠٠ مكتب ، وعدد الخطوط البريدية ٣٥ خطاً ، وتعمل المملكة على تنفيذ مشروع جديد يهدف الى تعميم الخدمة الهاتفية الآلية في كافة مدنها .

ولا تقتصر وسائل الاتصالات الهاتفية على داخل المملكة ، وانما تربط المملكة بالعالم الخارجي ، وتعمل الحكومة على تأسيس مرافق التلكس والجنتكس الذي سيعمم على كافة مدن العربية السعودية ، وتحقق المملكة

اليوم مشروع بناء « محطة أرضية » في مدينة جدة ، بهدف تأمين الاتصالات اللاسلكية عن طريق استخدام الأقمار الصناعية .

قفزة كبرى في التعليم

أرسى المغفور له الملك عبد العزيز ، الأسس الصحيحة لنهضة علمية كبرى . وحسبه فخراً انه استطاع التغلب على المعارضة المتزمتة التي مانعت في ادخال مواد التعليم الحديث على البرامج التعليمية ، خائضاً في سبيل ذلك معركة من أشق المعارك .

ودرج الفيصل على سنن والده الكبير ، فخلق النهضة العلمية الشاملة ، محققاً شعار : العلم مجاناً وللجميع .

واذا كانت الشريعة السمحاء قد حثت على طلب العلم ، فان المملكة السعودية تؤمن للمواطن – مستلهمة أقدس أقداس الروح الاسلامية – كافة أساليب التعليم ، ليس بتقديم العلم بالمجان فحسب ، وانما بتقديم المساعدات والاعانات الشهرية لطالب العلم .

وتشهد أرقام موازنة التعليم في العربية السعودية على انها قد زادت خلال عشر سنوات بنسبة ٢٧٪ سنوياً «فبعد ان كانت ميزانية التعليم ١٥٨٠٠٠١٠٠ ريال في العام ١٣٨١/٨٠ هـ (١٩٦١/٦٠ م) ، أصبحت في العام ١٣٩٠/٨٩ هـ (١٩٧٠/٦٩ م) ٥٨٧٤٤٢٢٠٧ ريالات . وخلال هذه الأعوام ارتفع عدد الطلاب والطالبات في المرحلة الابتدائية من ٩٣٧٢٥ الى ٣٤٢٥٩٦ طالباً وطالبة . وقد بلغ عدد المدارس عام ١٣٨٨/٨٧ هـ (١٩٦٨/٦٧ م) ٢٤١٦ ، أما عدد الطلاب في المدارس الابتدائية والثانوية فبلغ ٤٣٤٧٦٦ طالباً وطالبة » .

وبعد ان انطلقت العربية السعودية بعيداً في المضمار العلمي النظري ، أخذت ترسي قواعد التخصص على الصعيد التعليمي ، وذلك لسد الثغرة الكبيرة في الملاكات العلمية في المجالات الصناعية والزراعية والتجارية ، وانطلاقاً من هذه الحاجة تم انشاء المدارس الصناعية التي ترتبط ببعض الجوانب الحياتية للمجتمع العربي السعودي ، وتتطابق مع مستوى التعليم الثانوي .

وتجاوباً مع تطور الواقع الصناعي للمجتمع العربي السعودي ، عكف الحكم الرشيد على اعداد اصحاب الكفايات والخبراء الفنيين لسد تلك الثغرة الكبرى .

وقد تعددت المعاهد الصناعية في المدينة وجدة والهفوف ، كما تم تأسيس المعهد الملكي المهني في الرياض ، ويضم هذا المعهد : ١ – مدرسة مهنية ثانوية ، ٢ – المعهد الفني الصناعي ، ٣ – مركزاً للدراسة التخصصية للمراقبة والاشراف الفني .

وعملت الحكومة أيضاً على تأسيس المدارس الزراعية لاعداد المرشدين الزراعيين ومساعدي الخبراء .

واتجهت المملكة الى انشاء المدارس التجارية لاعداد الموظفين التجاريين والاداريين ، لتسيير دفة الأعمال التجارية والشركات والبنوك ، مما يؤهل المواطن السعودي لتبوأ مكانه المناسب في تطوير الحياة الاقتصادية لمجتمعه .

أما على صعيد الدراسة الجامعية، فقد تم تشييد عدد من الجامعات وهي : جامعة الرياض ، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، كلية البترول والمعادن ، جامعة الملك عبد العزيز الأهلية في جدة .

وقد تطورت الدراسة الجامعية في العربية السعودية تطوراً واسعاً ، اذ بدأت جامعة الرياض عامها الدراسي الاول ١٩٥٧ بواحد وعشرين طالباً ،

وبلغ عدد الطلاب في العـــام الدراسي ٦٨ / ١٩٦٩ : ٢٠٩٨ طالباً و ١٣٩ طالبة ، وتقوم الحكومة بتقديم ٣٥٠ ريالاً اعانة سنوية لكل طالب .

وتضم جامعة الرياض عدداً من الكليات : كلية الآداب وكليـات العلوم ، الصيدلة ، الطب ، التجارة ، الهندسة ، الزراعة ، والتربية .

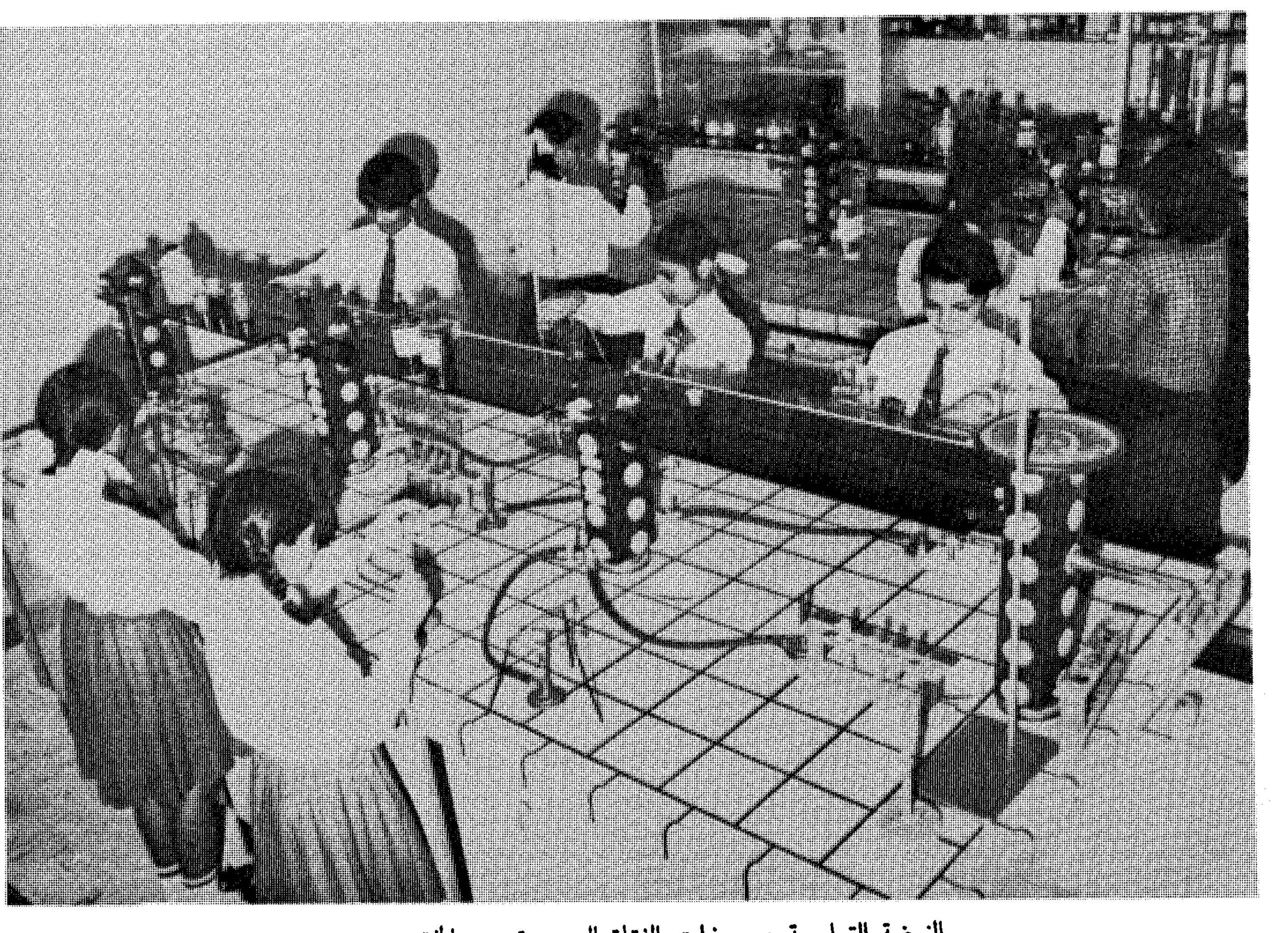
وفي هذه الجامعة مكتبة كبرى في سائر العلوم والفنون وبسبع وعشرين لغة أجنبية ، أما عدد الكتب فيها فهو ٤٨٦٢٠ مجلداً .

وتولي المملكة السعودية التعليم الديني بالغ اهتمامها ، فهي أرفع منبر لشعار التضامن الاسلامي ، والعمل على نشر الدعوة الاسلامية ، والدفاع عن الشريعة السمحاء . وقد انشئت الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة لتحقيق هـــذا الهدف النبيل ، ولا تقتصر هذه الجامعة على قبول الطلاب السعوديين ، وانما تضم طلاباً من جنسيات مختلفة تبلغ ٦٣ جنسية ، وفي عـام ١٩٦٧ تم تخريج ١٨٥ طالباً ينتمون الى ٢٢ جنسية .

ومع اتجاه المملكة الى استثمار ثرواتها النفطية والمعدنية ، والعمـــل على توفير الخبراء الوطنيين ، تم تأسيس « كلية البترول والمعادن » عـام ١٩٦٥ ، وقد افتتح جلالة الفيصل هذه الكلية بكلمة جاء فيهـــا : « انه لمن دواعي سروري وفخري ان اشترك في افتتاح هذا المعهد العظيم الذي أقل ما يقـال عنه انه يمثل احدى دعائم نهضتنا العلمية والاقتصادية والصناعية » .

وبدأت هذه الكلية سنتها الأولى بخمسين طـــالباً سعودياً و ١٥ طالباً جزائرياً ، وارتفع هذا الرقم في عام ١٩٦٨ الى ٣٣٠ طالباً منهم ٤٦ طالباً ينتمون الى بلدان عربية واسلامية ودول صديقة .

وستتحول هذه الكلية قريباً الى جـــامعة تضم ثلاث كليات هي : كلية العلوم الهندسية ، كلية العلوم التطبيقية ، كلية العلوم .



النهضة التعليمية : ودخلت الفتاة السعودية عهد المختبر . .

اما جامعة الملك عبد العزيز الأهلية بجدة ، فهي تضم ثلاث كليات : كلية الآداب والعلوم الانسانية ، كلية العلوم ، كلية البنات . وبلغت ميزانية هذه الجامعة للعام الدراسي ٦٨ / ١٩٦٩ : ٣٧٠٧٢١٠ ريالاً سعودياً. وتضم مكتبة هذه الجامعة ١٠٢٢٨ مجلداً .

ومن المعروف ان تعليم البنات وتنشئتهن على العلم والفضيلة ، قد شغل بال المصلحين في اوائل هذا العصر ، لأن المرأة نصف المجتمع أولاً ، ولأنها المدرسة الأولى لأبنائها ثانياً . ومن تلك الصيحات المخلصة قول شاعر النيل حافظ ابراهيم :

من لي بتربية النساء فانها	في الشرق علة ذلك الإخفاق
الأم مدرسة اذا أعددتها	أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم روض ان تعهده الحيا	بالريّ أورق ايما ايراق
الأم استاذ الاساتذة الأولى	شغلت مآثرهم مدى الآفاق

وتمشياً مع هذه القاعدة الذهبية ، درجت العربية السعودية على تطوير تعليم البنات ، ليمتلكن ناصية المعارف من علوم وآداب ، وبما يتناسب مع مقومات الدين الاسلامي .

وقد بدىء تعليم الفتيات رسمياً مع عام ١٩٦٠ ، وتم افتتاح خمس عشرة مدرسة ، ولم يلبث السلم التعليمي للاناث ان أخذ بالارتقاء حتى بلغ عدد المدارس الابتدائية وحدها ٢٨٦ مدرسة تضم ٩٦٨٢٤ تلميذة .

ودرجت الفتاة السعودية من الدراسة الابتدائية الى الدراسة المتوسطة ، اذ تم افتتاح أربع مدارس عام ١٩٦٣ ضمت ٢٣٥ طالبة . وتابع الخط التعليمي تطوره صعداً ، فغدا عدد المدارس المتوسطة ١٢ مدرسة ضمت ٣١٨١ طالبة للعام الدراسي ٦٨/١٩٦٩ .

ولم تلبث المدارس المتوسطة ان ضمت فصولاً ثانوية ، وبلغ عدد طالباتها ٣٠٣ طالبات .

وتقرر عام ١٩٦٠ انشاء معاهد للمعلمات، وضم اول هذه المعاهد في ذلك العام ٢١ طالبة ، على حين ارتفع عدد هذه المعاهد عام ١٩٦٩/٦٨ إلى ٢٦ معهداً تضم ٣٨٩٢ طالبة .

هذا هو الجانب الثقافي بالنسبة لتعليم الفتاة السعودية ، اما العماد المادي فقد ارتفعت ميزانيته من ٢٠٠٠٠٠٠ ريال عام ١٩٦٠ إلى ٩٥٤٤٠٤١٠ ريالات عام ١٩٦٩/٦٨. ومن هنانلحظ كم تخطو المملكة السعودية قدماً في هذا المضمار الحي ، لاعداد جيل ناشىء على روح العلم ، متشرب بالمفاهيم الاسلامية الرفيعة .

وعندما اتجهت المملكة الى تحقيق نهضتها التعليمية ، وضعت نصب عينيها هدفين نبيلين : الجانب العلمي والجانب الانساني . وهكذا انشئت معاهد خاصة لتعليم المعاقين من المواطنين السعوديين ، ومنها معاهد النور للمكفوفين، ومعاهد الأمل للصم والبكم ، لتسليح اولئك المعاقين بسلاح العلم والمعرفة ليشقوا طريقهم في الحياة بأمان ، حتى لكأن اولئك المسؤولين البررة من قادة المملكة يعبرون عن تمنيات وأماني شاعر النيل اذ قال :

إن حق الضرير عند ذوي الأبـ ـصار حق مستوجب التقديس
لم يضره فقدانه نور عينيـ ـه اذا اعتاض عنهما بأنيس
آنسوا نفسه اذا أظلم العيـ ـش بعلم ، فالعلم انس النفوس

وقد غدت معاهد النور والأمل عشرة معاهد،تضم ١١٣٢ طالباً وطالبة ، منهم ١٠٦٦ في المرحلة الابتدائية و٦٦ في المرحلتين المتوسطة والثانوية .

وتتجه المملكة الى افتتاح مدارس خاصة بالمتخلفين عقلياً وذهنياً، لتأهيلهم لدخول معترك الحياة بيقين راسخ في غد مشرق .

وتضيف المملكة الى هذه الأيادي البيضاء يداً جديدة هي نهوضها لمكافحة الأمية ، للأخذ بأيدي من فاتتهم فرصة الدراسة في حداثتهم ، وانطلاقاً من هذه النظرة الانسانية كانت حملة افتتاح مدارس الثقافة الشعبية للتدريس المسائي . وتقسم الدراسة في هذه المدارس الى مرحلتين مدة كل منهما سنتان: مرحلة مكافحة الأمية، مرحلة المتابعة . وهدف هذه المدارس اعداد المواطنين للحصول على شهادة التعليم الابتدائية ، وقد بلغ عددها عام ١٩٦٧–١٩٦٨ : ٥٥٠ مدرسة تضم ٣٤٨٢٤ مواطناً من مختلف انحاء المملكة .

واذا كنا قد قلنا بصدد النهضة الصناعية ان المملكة العربية السعودية قد غدت ورشة كبرى ، فلسنا بمبالغين انها الى جانب ذلك مدرسة كبرى ينهل فيها المواطن ، صغيراً وكبيراً ، ذكراً وانثى ، من ينابيع المعرفة ، في بلد العلم والنور فيه مرادفان لمعنى واحد :

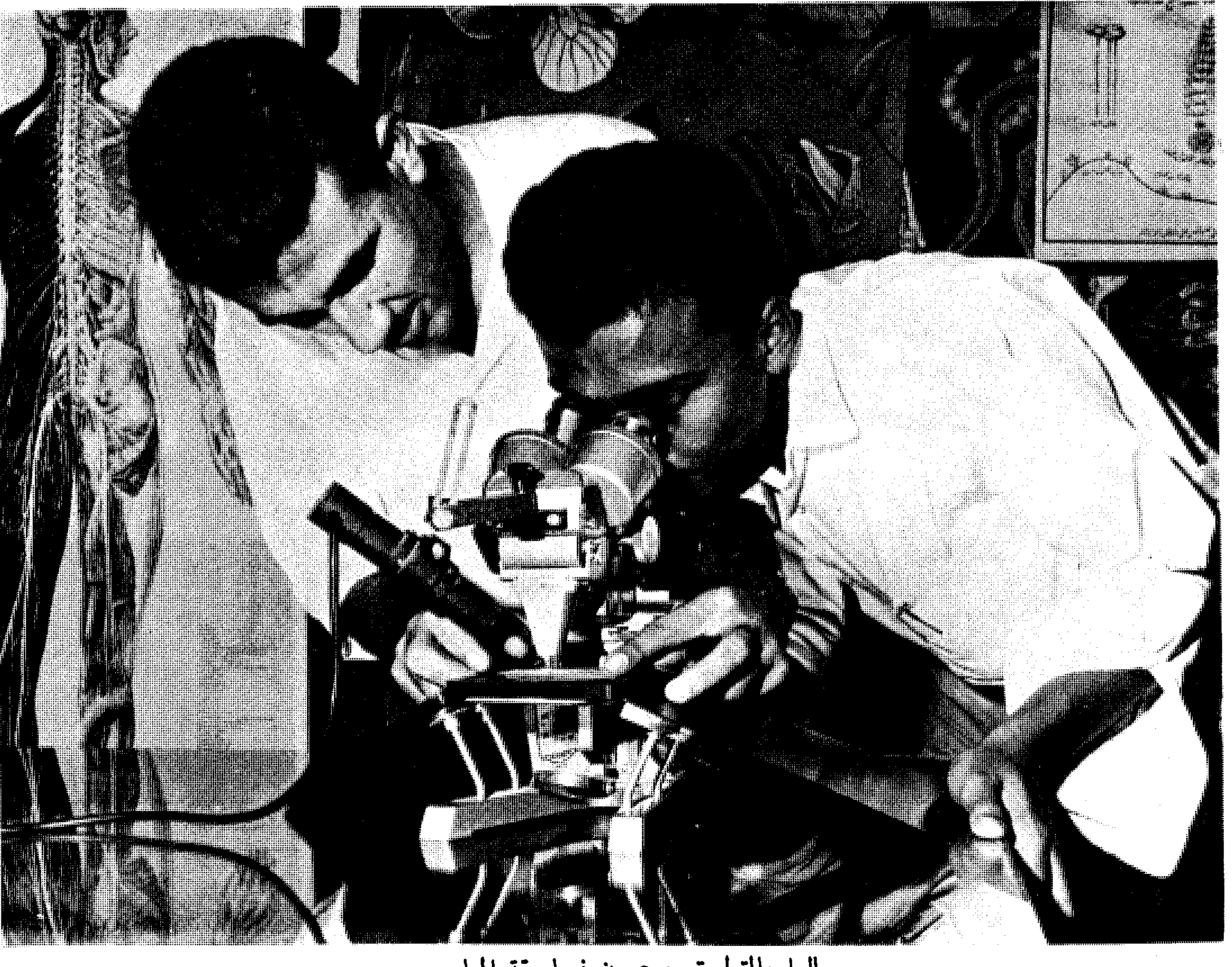
ذلك الكتاب الذي يخرج الناس من الظلمات الى النور .

الصحّة للجميع

تولي المملكة العربية السعودية العناية بالصحة العامة اهتماماً بالغاً ، حتى لكأن التربية النفسية والعقلية التي عرضناها في حديثنا عن التعليم ، تكملها هذه الناحية عناية بالجسد مكملة العناية الروحية .

وحق للعربية السعودية ان تعير المجال الصحي عناية كبيرة ، ولا سيما الصحة الوقائية ، لأن الديار المقدسة ليست وطن السعوديين وحدهم ، وانما هي الوطن الثاني لجميع المسلمين في العالم ولا سيما في مواسم الحج .

وقد رصدت السعودية المبالغ الطائلة في ميزانيتها للصحة العامة ، لخلق



العلم بالتطبيق : عيون فيها دقة المجاهر

مجتمع سليم ، وحسبنا القول في هذا الصدد ان ميزانية الصحة ارتفعت خلال عشر سنوات بنسبة ٨٨٪ ، فبعد ان كانت في العام ١٣٨٠–١٣٨١ هـ (١٩٦٠–١٩٦١ م) ٥٨٣٧٢٥٠٠ ريال ، غدت في العام ١٣٨٩ – ١٣٩٠ هـ (١٩٦٩–١٩٧٠ م) ١٦٨٢٥٦٩١٣ ريالاً سعودياً .

وركزت المملكة على الصحة الوقائية تركيزاً بالغاً ، لحفظ سلامة الحجاج من جهة ، وضمان صحة المواطن السعودي من جهة ثانية ، وهكذا انشئت مؤسسات الصحة الوقائية ، ومكاتب الصحة ، ومراكز مكافحة الأمراض السارية ، ولاسيما التدرن الرئوي والجدري والبلهارسيا والتراخوما. وأسهمت المملكة في الحملة العالمية لاستئصال الأمراض الوبائية ، وأصدرت قانون مراقبة المحلات المضرة ، ومكافحة الغش التجاري فيما يتعلق بالمواد الغذائية والصحية، كما عملت وتعمل على مراقبة المياه والمجاري ومكافحة الحشرات الناقلة للأمراض .

وأنشأت وزارة الصحة « حزاماً وقائياً طوقت به جميع مناطق الحدود، لاسيما المنافذ التي يدخل منها الحجاج الى المملكة. ويتألف هذا الحزام الوقائي من ٣٣ محجراً ومختبراً وبنكاً للدم ، وبالتالي فهو يعطي المملكة المناعة الكافية ضد تسرب الأمراض الوبائية الكورنتينية اليها من وراء الحدود، وفي موسم حج كل عام تصدر وزارة الصحة تعليمات يتم بموجبها تحديد منافذ المملكة البرية والجوية لتسهيل عملية المراقبة الصحية ، كما انه لا يسمح لأي حاج بعد ادائه فريضة الحج ، بمغادرة البلاد قبل اعلان نظافة الحج وسلامته من جميع الأمراض الوبائية او الكورنتينية ، ويتم هذا الاعلان بالاتفاق مع البعثات الصحية التي ترافق وفود الحجيج من مختلف بلدان العالمين العربي والاسلامي » .

ويعتبر المحجر الصحي في جدة بمثابة مدينة صحية تضم ١٥٠ مبنى ، وقد تم تشييده على أرض مساحتها ٢٢٨ الف متر مربع، ويشمل المحجر مستشفيين

أحدهما للعزل ويضم ٢٠٠ سرير ، وآخر للجراحة ويضم ١٠٥ أسرة ، كما تم تجهيزه بعدد من المختبرات ومراكز للأشعة والصيدلة ، وهو يتسع لما يزيد عن ٢٤٠٠ شخص دفعة واحدة .

وتطبق المملكة برنامجاً اجتماعياً شاملاً ترجمته العملية : الصحة للجميع ، كما وجد تعبيره بهذه الكلمات الانسانية التي لم تطلقها وزارة الصحة كشعار ، وانما مضت به تطبيقاً مثالياً :

« تأتي أهمية الموضوع الصحي في المجتمع ، من انـــه العنصر المشترك في عملية التطور في كل حقل . فبغير تحسين الصحة العامة لن يستطيع المواطن ان يسهم بفعالية في تطوير مجتمعه وتحسين شروط حياته ، وبالتالي مواجهـة التحديات التي يفرضها عليه عالم سريع الحركة سريع التقدم .

من هنا كان مبدأ « الصحة للجميع » هو أفضل مـــا يختصر السياسة الصحية لحكومة المملكة العربية السعودية ، فهي سياسة تأخذ في حسابهـــا الحق المشروع لكل مواطن في رعاية صحة لائقة ، حسنة المستوى ، قادرة على توفير ظروف حياة طبيعية له » .

وعمدت المملكة الى رعاية الطفولة والأمومة لانشاء جيـــل سليم البنية ، صحيح الجسم ، متفتح التفكير ، وكانت حملة انشاء مراكز رعايـة الأمومة والطفولة تغطي بها أرجاء المملكة .

ومثلت المدرسة في النهج الفيصلي دورين متكاملـــين : التنشئة الفكرية السليمة ، والتربية البدنية الصحية ، فكانت لوزارة المعارف ادارتها الصحية الخاصة ، وانشىء عدد من المستشفيات الخاصة بالطلاب ، الى جانب ٢٥ وحدة علاجية مدرسية منتشرة في أرجاء المملكة .

وتطبيقاً للمثل السائر القائل : « درهم وقاية خير من قنطار عـلاج » ، عممت الحكومة العديد من المراكز الصحية في كافة أرجاء المملكة ، وأمدتها

بالعديد من المستوصفات والوحـــدات الصحية السيارة تطوف على الأرجاء البعيدة ، لتوفير وسائل الوقاية ومعالجة المصابين والمرضى .

وأخذت الدولة بعين الاعتبار النقص في ملاكات العاملين في المجـــالات الصحية ، فسدت هذه الثغرة بانشاء عـــدد من المعاهد الصحية في الرياض وجدة وصفوى ، لتخريج العاملين في حقل المراقبة الصحية ، وبلغ عـــدد المتخرجين من هذه المعاهد ٣٨٩ متخرجاً ، كما انشىء في الوقت نفسه عـدد من مدارس التمّريض النسائي في الرياض وجدة والهفوف .

وتجاوباً مع النهضة العلمية في المملكة ، أسست حكومـــة الفيصل كلية الطب في جامعة الرياض ، وتم افتتاحها سنة ١٣٨٩ — ١٣٩٠ ﻫ (١٩٦٩ — ١٩٧٠ م) وكان عدد منتسبي السنة الأولى ٣٥ طالباً ، وتهدف المملكة الى أن يكون لديها العدد الكافي من الأطباء خلال فترة وجيزة ، ليأخذوا دورهم الطليعي في النهضة الصحية . ووضعت الحكومة خطة مدروسة ترمي الى ان يبلغ عدد الأطباء المتوقع تخرجهم من الكلية وتوظيفهم خـلال فترة الخطة ٣٠٠ طبيب ، وذلك بعد حذف عدد الراسبين ومن يتوقـــع ان يستمر في الدراسات العليا منهم .

وبأمر من الفيصل يجري الآن في الرياض انشاء مستشفى سيكون الأول من نوعه في الشرق الأوسط ، وسيتم التعاقد مع كبار الاختصاصيين العالميين للعمل فيه . وقد قدم الفيصل قطعة أرض من املاكه الخاصة مساحتها ٤٠٠ الف متر مربع ، لهذه المنشأة الصحية الفريدة وما تضم من أجنحة وحدائق، وتبلغ نفقاته الأولية ما عدا قيمة الأجهزة الطبية مائة وعشرين مليون ريال .

ويتزايد عدد المستشفيات سنة بعد سنة، ففي حين كان عددها عام ١٩٦٠ — ١٩٦١ : ٢٩ مستشفى، ارتفع هذا العدد الى ٤٩ في العام ١٩٦٩—١٩٧٠، وخلال هذه الفترة نفسها ارتفع عدد الأسرة من ٢٦١٧ الى ٦٢٩٩ ، وارتفع

عدد المستوصفات من ٤٥ الى ١٨٠ ، وعـــدد الوحدات الصحية من ٢٨ الى ٢٧١ .

واذا كان لنا من تعليق على هذه الأرقام التي تمثل خط التطور الصحي في العربية السعودية خلال مسيرتها الحضارية المستمرة في الحقل الصحي ، فليس أبلغ من الرقم عندما يتكلم .

الرّعاية الاجتماعية

الانسان الفرد هـــو اللبنة الأساسية في البناء الاجتماعي ، منه منطلق الشعب ، ومن خلال تطوره الحياتي تنهض المجتمعات وتحقق المزيـــد من الانتصارات ، في مجالات لا يحدها حد : علماً وصحة ، في تربية نفسية قيمة، وتثقيف ذهني رفيع ، كأنما هي المحيطات التي لا سواحل لهـا ، وهي تسير قدماً مستشرفة آفاق المستقبل .

تلك هي بعض المنطلقات التي ارتفعت على أسسها ملحمة النهضة الحضارية التي يخوضها المجتمع العربي السعودي ، في مسيرته المتواصلة والمنطلقة أبداً الى الأمام ، لتجاوز مراحل التخلف ، والتغلب على جوانبها السلبية ، توصلاً الى مراحل العطاء الايجابي والنهوض الشامل ، وعلى رأس هذه المسيرة قائدهـا الملهم ، ربان نهضتها ، وموجه معركتها البنائية ، ومحقق انتصاراتها الفذة ، الملك الرحيم والفيصل العادل .

ومن هنا كان اهتمام حكومة صاحب الجلالة البالغ، استيعاباً بعين الرعاية للشؤون الاجتماعية ، وعكوفاً حـــدباً على قضايا العمل والعمال ، في رعاية للشباب ، وتعاون بنـّاء بـين الحكومة والمؤسسات الأهلية ، نهوضاً بالقضايا الاجتماعية ، في حل عادل للمشكلات التي تعترض المواطنين .

وفي مجتمع العدالة والكرامة هذا ، ترصد الحكومة المبالغ الضخمة في سبيل تحقيق الضمانات الاجتماعية ، وقد بلغ رصيد مصلحة الضمان الاجتماعي لعام ١٣٨٩ - ١٣٩٠ هـ (١٩٦٩ - ١٩٧٠ م) مبلغ ٤٣٧٩٨٣٠٠ ريال .

وعملت الحكومة السعودية على دفع حركة الرعاية الاجتماعية النسوية التطوعية ، تجاوباً مع تطور دور المرأة السعودية في مجالات النهضة العلمية والصحية والعمل في الحقل الاجتماعي ، وانطلاقاً من هذا التشجيع قام العديد من الجمعيات الأهلية الخيرية، وذلك بدعم من الحكومة التي تمدها بالمساعدات المادية . وهذه هي الجمعيات الخيرية المسجلة رسمياً : جمعية النهضة السعودية بالرياض ، الجمعية الخيرية بجدة ، جمعية اليقظة السعودية بالطائف ، الجمعية النسائية بالدمام ، جمعية الصفا الخيرية ببلدة صفوى، جمعية الخدمات الاجتماعية بسيهات .

ومثلت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية دوراً خلاقاً في تحقيق مجتمع العدالة والكرامة ، متوسلةً سبل تحقيق الخدمات الاجتماعية لكافة أفراد الشعب ، وكانت حصيلة عملها في فترة وجيزة من الزمن ، انشاء ستة عشر مركزاً للتنمية والخدمات الاجتماعية . وذلك من خلال التعاون والتنسيق بين هذه الوزارة وغيرها من الوزارات (الصحة والمعارف والزراعة) ، وكل مركز من هذه المراكز يحتوي على أربع وحدات هي : الوحدة الاجتماعية ، والوحدة الثقافية ، والوحدة الصحية ، والوحدة الزراعية ، ويقابلها في مراكز الخدمة بالمدن : الوحدة المهنية والاقتصادية . ويقدم كل مركز خدماته لعشرين الف نسمة ، ويستعان في ذلك بخطط ينظم سير العمل وتعاون الوزارات الأخرى في مجال التنمية والخدمة الاجتماعية . وبلغت تكاليف انشاء هذه المراكز ٨٩٨٩٩٥١ ريالاً .

وفي السادس من رمضان سنة ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م ، صدر مرسوم ملكي لنظام التأمينات الاجتماعية وسبل تطبيقه عملياً . وراعى هذا النظام شؤون

عمال القطاع الخـــاص والأجراء ، كما نص على تحقيق التعويضات لهم في الحالات التالية :

١ – اصابات العمل والأمراض المهنية .
٢ – العجز والشيخوخة والوفاة .
٣ – تعويضات العجز الموقت (في حالات المرض والأمومة) .
٤ – تعويضات المتعطلين عن العمل .

وأخذت المملكة بعين الاعتبار موضوع حماية الاسرة، لبنة المجتمع الأولى، فوفرت لها الحماية والضمانات الاجتماعية ، اذا ما توفي عائلها ، أو طرأ عليهـا طارىء . وعلى ذلك قررت الدولة صرف الرواتب « للاسرة التي تواجـــه مشكلة اجتماعية او اقتصادية لا تلبث ، بعد حـــل المشكلة ، ان تعود الى حياتها الطبيعية من جديد ، كمرض رب الاسرة أو سجنه ، الى غير ذلك من الأسباب » .

وفي الوقت نفسه يعمل هذا النظام على توفير العمل المناسب لأي مواطن ، ليكون قادراً على تمثيل دوره في المجتمع . ولم تغفل الدولة الجانب الانساني في نظام الضمان، وذلك عن طريق تدريب العاجزين واعدادهم لشق سبل حياتهم بجدارة . وهكذا يبرز النظام وجه المجتمع المشرق ، ويجسد القيم الانسانية في عطائها البناء .

وفضلاً عن هذا وذاك عمد النظام الى « احالة افراد الاسرة الضمانية الذين لا تتوفر لهم الرعاية الاجتماعية في أسرهم ، الى احدى دور الرعاية الاجتماعية لتوفر لهم سبل الرعاية الاجتماعية على مختلف انواعها » .

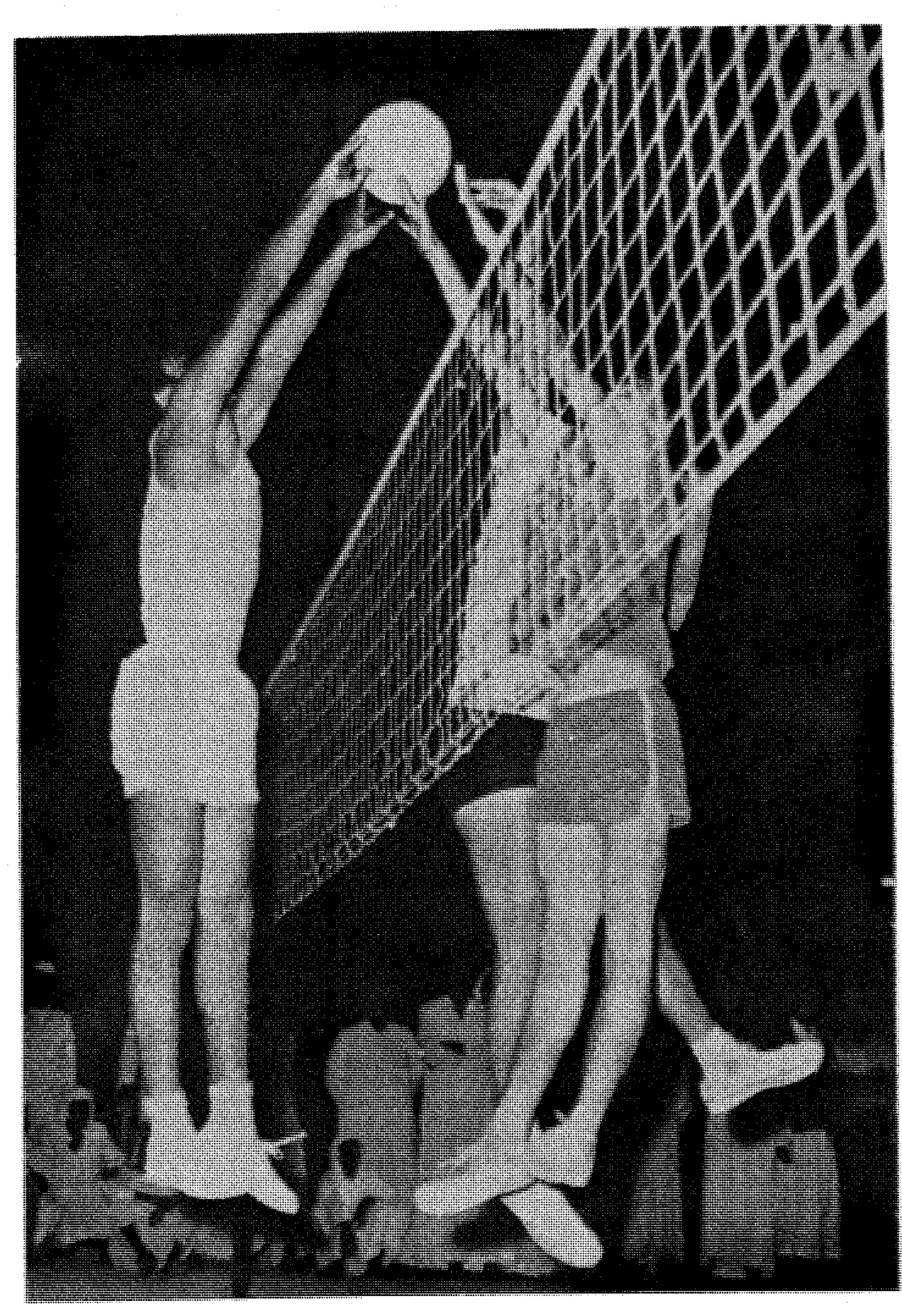
الا ان اهم ناحية تعمل لها مصلحة الضمان الاجتماعي جاهدة ، هي الانتقال بمشروع الضمان الاجتماعي من مشروع انفاق الى مشروعات انتاجية ، تمكّـن كل مستحق من الاعتماد على نفسه في كسب قوته .

وعمدت الدولة ، في حقل رعـــاية الشؤون الاجتماعية ، الى تشجيع التعاونيات في البلاد ، تدعمها المعونات النقدية والعينية ، اذ قدمت لهـا عام ١٩٧٠ مبلغ ٢٢٥٦٠٠ ريال . كما تم انشاء ادارة التعاون في وزارة الشوؤن الاجتماعية للاشراف على هذه الجمعيات وتطويرهـــا وتشجيع العمل الجماعي التعاوني .

وقد ذكرت التقارير الرسمية ان عدد الجمعيات التعاونية المسجلة رسمياً حتى عام ١٣٨٨ — ١٣٨٩ ﻫ (١٩٦٨ — ١٩٦٩ م) قد بلغ ٣٣ جمعية تنتشر في مدن وقرى المملكة ، وينتظم في عضويتهـــا ١٦٥٩٤ تعاونياً من مختلف فئات المواطنين تزيد أموالهم الخاصة على ٥ ملايين ريال ، وتستثمر في تطوير الزراعات المحلية بتقديم الاسمدة الكيماوية وأجهزة الري ، وتشجيع وتمويل الصناعات الريفية ، وتوفير السلع الاستهلاكية لأعضائها بأسعار مخفضة . وقد بلغ تعامل الاعضاء التعاونيين مع جمعياتهم لعام ١٣٨٨ — ١٣٨٩ ﻫ (١٩٦٨ — ١٩٦٩ م) ٤٧٤٢٠١٢ ريالاً .

ولدفع التطور قدماً في حقل الخدمات الاجتماعية ، وبرمجته معاً ، عمدت الحكومة الفيصلية الى تأسيس المعهد الثانوي للخدمة الاجتماعية . وقـــد بلغ عدد المتخرجين منه حتى العام ١٣٨٧ — ١٣٨٨ ﻫ (١٩٦٧ — ١٩٦٨ م) : ٨٢ متخرجاً . وجميع هؤلاء الخريجين يعملون في مختلف الميادين الاجتماعية . وتتجه النية الى تطوير هذا المعهد ليصبح معهداً عالياً للخدمـــة الاجتماعية ، لتأمين متطلبات الانعاش الاجتماعي في السنوات المقبلة .

وتعير الحكومة الفيصلية رعاية الشباب : بناة المستقبل ، عناية خاصة ، وذلك لاعداد جيل صحيح الجسم سليم العقل ، ومن هنا كانت النهضة الرياضية والثقافية ، وحركة انشاء الأندية ، وبلغت حتى الآن ٤٥ نادياً ، ناهيك عن تنفيذ عدة مشاريع تدخل في نطاق النشاطات الرياضية بلغت تكاليفهـــا ٤٤٦٥٤٩٧ ريالاً ، ومن هذه الأندية مركز رعاية الشباب في الرياض وبلغت



متعة الرياضة في المملكة . .

تكاليفه ٢٥٠٠٠٠٠ ريال .

وتشير التقارير الى ان ميزانية وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، ازدادت خلال العشر سنوات الماضية بنسبة ٥٠٫٤٦٪ تقريباً ، فبعد أن كانت ١٩٥٠٨٠٠ ريال في العام ١٣٨٠ — ١٣٨١ هـ (١٩٦٠ — ١٩٦١ م) أصبحت في العام ١٣٨٩ — ١٣٩٠ هـ (١٩٦٩ — ١٩٧٠ م) ١٠٠٣٩٣١٤٣ ريالاً .

وهكذا تعزز المملكة سائر جوانب نهضتها، اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً ، مستلهمة في كل ذلك اسس الدين الاسلامي ، وقواعده الانسانية الشاملة ، لتحقيق مجتمع العدالة والرخاء ، باعتبار ان الانسان ببعده الاجتماعي هو الأساس الأول في قواعد النهضة المثلى .

الإعلامُ وَجْهُ المملكةِ المُشْرِق

أنشئت وزارة الاعلام عام ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ م ، لابراز الدولة بوجهها المشرق ، على سائر الأصعدة وبكافة المجالات ، انطلاقاً من ايمان الفيصل بأن « وسائل الاعلام تلعب دوراً حيوياً في توعية الشعوب وتوجيهها ، وفي تقديم وسائل الترفيه لتلك الشعوب » .

وأخذ الاعلام السعودي يمثل دوره الناشط الفعال لابراز وجه المملكة على حقيقته ، على الصعيدين العربي والاسلامي ، وتسجيل نشاط حكومة الفيصل وتجسيد سياسته الحكيمة في دعوة التضامن الاسلامي ، والعمل الجاد لتحقيق الاخاء والتناسق ما بين الدول العربية الشقيقة ، وابراز دور السعودية على صعيد الحياة الدولية ، رفعاً للواء الحياد الايجابي ، وبالدعوة المخلصة للتعايش السلمي ، والمساواة بين الأمم ، وحق الشعوب في تقرير مصيرها .

فالعهد الفيصلي هو عهد تفتح المملكة وانفتاحها على حقائق الحياة الدولية،

من خلال ذلك التفاعل المثمر والبناء ، وتمثل الجوانب الايجابية في التقدم الحضاري للدول المتطورة ، دون المساس بالجانب الاخلاقي الذي تنفرد العربية السعودية بالتمسك به وهو التجسيد الحي لأخلاق العروبة في أسمى معانيها .

وكان من معطيات هذا الانفتاح تبديل النظرة المتحاملة بل العدائية لبعض أجهزة الإعلام الى العربية السعودية ، ولم يتحقق ذلك الا لأن المملكة عرفت كيف تقدم نفسها للمجتمع العربي والدولي من خلال مؤسساتها الاعلامية .

وقد جاء في التقارير الرسمية ان وزارة الاعلام منذ قيامها « اتخذت قراراً بسياسة الباب المفتوح للصحفيين ، ووجهت دعوات لوفود صحفية كثيرة من مختلف بلاد العالم لزيارة المملكة والتعرف عليها تعرفاً موضوعياً ، وسهلت قدوم الصحفيين الراغبين في زيارة المملكة ، واستقبلت المملكة نتيجة لهذه السياسة المرنة خلال السنوات السبع الماضية عدداً من الصحفيين والوفود الاعلامية لم يستقبله أي بلد من بلدان الشرق الأوسط في هذه الفترة ذاتها . واستكمالاً لهذا التعريف على الصعيد الخارجي أصدرت الدولة عدة ملاحق اعلامية في كبريات الصحف الامريكية والاوروبية ، وأنتجت أفلاماً اعلامية في مختلف اللغات سعياً وراء المزيد من التعريف والاطلاع على الواقع الحضاري للمملكة » .

وجدير بالذكر ان اذاعة المملكة أخذت توجه بثها لقارات العالم الخمس ، وباللغات العربية والانكليزية والفرنسية والفارسية والسواحلية والأوردية (لغة الهند وباكستان) والملاوية (لغة ماليزيا وأندونيسيا) .

وكما تبوأت المرأة السعودية مكانتها الطبيعية في المجتمع ، وأخذت تمثل دورها الايجابي والفعال في الحقول التعليمية والصحية والرعاية الاجتماعية ، ونشطت كذلك في مجالات الأعمال الكتابية والصحافية والاسهام في البرامج

الاذاعية والتلفزيونية ، ولم تقصر في أي ميدان خــاضته ، اجتماعياً وثقافياً وتوجيهياً .

ويعتبر التطور الصحافي في المملكة العربية السعودية سمة بارزة من سمات التطور الاعلامي، وقد عمدت الدولة الى مساعدة المثقفين والأخذ بأيديهم لاصدار الصحف ، ومدهم بالمعونات المادية الكبيرة ، فازداد عــدد الصحف ازدياداً ملحوظاً ، وفي حين لم يكن في المملكة سوى صحيفتــين يوميتين وبعض الصحف الاسبوعية ، ارتفع هذا الرقم الى خمس عشرة صحيفة مـا بين يومية واسبوعية وشهرية . وجدير بالملاحظة ان الفيصل كان قد أصدر قبل عشرة اعوام ، بوصفه رئيساً لمجلس الوزراء ، أمراً برفع الرقابـة عن الصحف ، لادراكه مدى أهمية الصحافة الحرة في مجال الحياة الاجتماعية المتطورة .

وركز الاعلام العربي السعودي أهمية بالغة على تطوير النشاط التلفزيوني ، فانشأت وزارة الاعلام خمس محطات تلفزيونية في مختلف انحاء البلاد ، حتى غدت المملكة تملك أضخم شبكة تلفزيونية في الشرق الأوسط .

وتجاوبت مع النهضة الاعلامية، نهضة متممة في الحركة الفنية والمسرحية، وظهور المذاهب الفكرية المتفتحة ، التي تقــدم العربية السعودية الى العالم الخارجي وجهاً مشرقاً في حضارة جديــدة اسسها تراث العرب وتعاليم الاسلام .

رجل المهمات الكبرى

الاصلاح هم الفيصل الأول ، والنهضة العمرانية شغله الشاغل ، والتعليم هو القضية التي لا تفارق ذهنه ساعة من ليل أو نهار ، وصحة النــاس وحياتهم

الاقتصادية الرخية هي الأمانة التي أناطها الله بعنقه فرضي الاضطلاع بها طوعاً واختياراً بل كواجب أول، وتنشئة الجيل الصاعد على تراث العرب ومبادىء الاسلام رسالته الى المملكة بل الى العالمين العربي والاسلامي ، وهو ان حقق الوثبة الصناعية الكبرى ، أتبعها بالقفزة الزراعية العظمى ، في سبيل تحقيق نهضة شاملة متكاملة .

وجه الحق بين أخـذ واعطا ء ، وقصْدٍ في الجمع والتبديد
فاستوى الناس فالقريب قريب عنده ، والبعيد غـير بعيد

لقد أثبتت التجارب والوقائع انه ، على مدار حياته ، أميراً ونائباً للملك ورئيساً للوزراء وملكاً للمملكة العربية السعودية، كان رجل المهمات الكبرى والمواقف الحاسمة في اللحظات المصيرية الحرجة .

فقد تسلم رئاسة مجلس الوزراء عام ١٣٧٨ هـ ١٩٥٨ م ، والمملكة تعاني ازمة اقتصادية خانقة ، وتقف على شفا الافـلاس ، وكانت الصيحة التي أطلقتها البلاد : وافيصلاه ! .. وبادر الرجل الكبير الى قيادة الدفة ليوجه سفين الحكم نحو الشاطىء الأمين ، رغم ما فجأه من واقع مذهل هو ان مؤسسة النقد السعودي لا تملك الا ٣١٧ ريالاً ، وان الدولة مـدينة بألفي مليون ريال . ومع ذلك لم يدر رأس القائد الكبـير ، واضطلع بالامانة على اكمل وجه .

وحين كان ما لم يكن منه بد ، وبايعته البلاد بالملك ، كان المنقذ المقدام والمصلح البصير ، في كل ما يخطط وينفذ ، ويقول ويترجم كلامه الى منشآت عمرانية ، ومؤسسات انسانية ، ومشاريع جبارة ، ومآثر وفضائل ، رفعته داخلياً وعربياً ودولياً الى مصاف الأفذاذ من قادة الأمم .

واذا كانت ملحمة الكفاح التي قادها المؤسس العظيم قد تمخضت عن وحدة الجزيرة العربية ، شعباً واحداً في مملكة واحدة ، فان الملحمة الحضارية التي

قادها الفيصل قد نهضت بالمجتمع القبلي امة ذات وجه حضاري عريق ، عرفت كيف تتمثل تراث العرب وروح الاسلام في عهد الجاهليات الحـــديثة ، كما وعت مشاكل الانسان المعاصر ، فراحت تسابق الزمن بناء واصلاحاً ، تأخذ من الغرب لباب حضارته وهي متمسكة بأخلاقها العربية الاسلامية ، تنشر انوارها للعالمين رسالة اصلاح واخاء وتعاون ، معيدة للروح العربية أمجـادها وللاسلام صفاء ينابيعه ، داعية الى الحياة المثلى والقيم الفضلى .

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون .

الفهرس

كتب المؤلف

سعد زغلول : رائد الكفاح الوطني في الشرق العربي ـ منشورات دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .

ابرهيم لنكولن : محرر العبيد وموحد الولايات المتحدة الاميركية ـ دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .

مدحت باشا : ابو الدستور العثماني ـ دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .

روبسبيير : بطل الثورة الفرنسية ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .

جمال الدين الافغاني : حكيم الشرق ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .

شوبان : نشيد الوطنية والحرية ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .

صلاح الدين الايوبي : قصة الحروب الصليبية في القرنين العاشر والحادي عشر للميلاد ـ دار الكاتب العربي ، الطبعة الرابعة .

كرومويل : بطل الثورة الانكليزية ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .

ابو ذر الغفاري : اول ثائر في الاسلام ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .

ديموستين : بطل اثينا ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .

محمد عبده : بطل الثورة الفكرية في الاسلام ، دار العلم للملايين الطبعة الثالثة .

غاندي : ابو الهند ، دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة .

سون يات سن : بطل الثورة الصينية ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .

السابقون : دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة .

الحضارة العربية : دار الفجر الجديد ، القاهرة .

حرب الشعوب : منشورات مجلة الطريق .

الحياة القومية : منشورات مجلة الطريق .

اقوى من الموت : عن ايليا اهرنبورغ ، منشورات مجلة الطريق .

أساطير الامم : دار المكشوف .

في قصور الملوك : دار المكشوف .
الناس والاخرون : دار المكشوف .
اعتراف الاجراس : دار النشر العربية .
الف ليلة وليلة : (مجلدان) ، دار النشر العربية .
قلوب معذبة : سلسلة اقرأ ، دار المعارف ، القاهرة .
عبد الرحمن الكواكبي : المكتب التجاري .
لومومبا : دار الكاتب العربي ودار العلم للملايين .
لينين : دار الكاتب العربي .
اكتشاف جزيرة العرب : عن جاكلين بيرين ، دار الكاتب العربي .
اضواء على تاريخ الكويت : دار الكاتب العربي .
الكويت في موكب الحضارة : دار الكاتب العربي .
الخليج العربي : دار الكاتب العربي
وثائق النكسة : دار الكاتب العربي .
السندباد : دار الكاتب العربي .
فلسطين اولا : دار الكاتب العربي .
نحو مجتمع عربي متكامل : دار الكاتب العربي .
جيل الفداء : قصة الثورة الكبرى ونهضة العرب ، دار الكاتب العربي .
تشيكوسلوفاكية وازمة الاشتراكية المعاصرة : دار الكاتب العربي .
تجربة عربي في الحزب الشيوعي : دار الكاتب العربي .
موعد مع الشجاعة : دار الكاتب العربي .
اسرار العالم : ٢٠ جزءاً .



انتهى طبع هذا الكتاب على مطابع التقدم العربي
في الخامس عشر من ذي القعدة ١٣٩٢
الموافق ٢٠ كانون الأول – يناير
سنة ١٩٧٢